جامعة قطر
كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية

الموهبة وأثرها في التفسير

إعداد

حذيفة عبد الرحيم طحان

قُدّمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلّبات
كليّة الشريعة والدراسات الإسلامية
للحصول على درجة الماجستير في

التفسير وعلوم القرآن

يناير 2019/1440

2019 ©. حذيفة عبد الرحيم طحان. جميع الحقوق محفوظة.

لجنة المناقشة

استُعرضت الرسالة المقدّمة من الطالب/ حذيفة عبدالرحيم طحان بتاريخ 2018/11/19، وَوُوفِق عليها كما هو آتٍ:

نحن أعضاء اللجنة المذكورة أدناه، وافقنا على قبول رسالة الطالب المذكور اسمه أعلاه .وحسب معلومات اللجنة فإن هذه الرسالة تتوافق مع متطلبات جامعة قطر، ونحن نوافق على أن تكون جزءًا من امتحان الطالب.

_____

أ.د محمد عبد اللطيف

المشرف على الرسالة

_____

أ.د محمد آيدن

مناقش داخلي

_____

أ.د أحمد خالد شكري

مناقش داخلي

_____

تمّت الموافقة:

_____

الدكتور إبراهيم عبد الله الأنصاري، عميد كلّيّة الشريعة والدراسات الإسلامية

المُلخَّص

حذيفة عبدالرحيم طحان، ماجستير في التفسير وعلوم القرآن :

يناير 2019.

العنوان: الموهبة وأثرها في التفسير

المشرف على الرسالة: أ.د محمد عبد اللطيف

هذه الدراسة تعنى بالتعريف بالموهبة، وبيان أثرها في تفسير القرآن الكريم. والسبب الرئيس في اختياري لهذا الموضوع أن العلماء قد نصوا على أنه شرط في المفسر ليتأهل للتفسير، ولم أجد أحدا كتب فيه بحثا مختصرا أو أعد فيه دراسة مفصلة؛ مع أنه موضوع في غاية الأهمية، لاعتبارات متعددة كشفت صفحات البحث اللثام عنها، وقد جاءت دراستي في مقدمة، وثلاثة فص ول، وخاتمة، أما المقدمة فبينت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره وأهدافه ومنهج البحث فيه وخطته، وجاء الفصل الأول في خمسة مباحث أصلت فيه الموهبة من حيث مدلولها وأدلتها ومكانتها وأسبابها وعلاماتها. ووقع الفصل الثاني في مبحثين بينت فيهما أثر الموهبة في المفسر ونماذج من تفسير الموهوبين، وقابلته بالفصل الثالث في ببيان أثر فقدان الموهبة في المفسر، ونماذج من تفسير المحرومين.

وقد خلصت إلى عدة نتائج من أهمها: أن الموهبة حقٌ وحقيقة دل عليه القرآن العظيم، وحديث نبينا الأمين ﷺ، وأقوال سلفنا الطيبين رضي الله عنهم أجمعين، وأن هذا العلم لابد له من اكتساب، لينال المكتسب وهب الكريم الوهاب، وأن آثار وجوده في المفسر تظهر على تفسيره لكلام ربه، وأن من حرم منه لتفريطه في أسباب تحصيله تخبط في أقواله ووكل إلى نفسه.

أما التوصيات فمنها مواصلة البحث في هذا الموضوع بحيث تتم دراسة تفسير الموهوبين في كل قرن في بحث مستقل، وتفسير المحرومين من الوهب، لكل نوع من أنواع الحرمان في بحث خاص، وبذلك يحصل استيفاء النوعين، ويتمكن الباحث من التمكن من بحثه فيستفيد ويفيد.

شكر وتقدير

أشكر الله سبحانه وتعالى وأحمده على أن أعانني ووفقني لإتمام هذا العمل، وأسأله القبول والسداد وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفعني به إنه ولي ذلك والقادر عليه.

كما أتقدم بجزيل الشكر والامتنان لسيدي وشيخي وقرة عيني الوالد الكريم على ما بذله من توجيه ونصح، وما أفاضه علي من علمه الغزير، والذي كان سببا بعد الله –عز وجل– في توفيقي لإتمام هذا البحث، وكذلك أشكر سيدتي الوالدة الكريمة التي كانت تشجعني على إتمام هذا العمل وتدعو لي على الدوام، فجزآهما الله عني خير الجزاء، ومتعهما بالصحة والعافية، وأمد في أعمارهما على طاعته.

ثم خالص الشكر والتقدير والعرفان لفضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد عبد اللطيف على تكرمه بقبول الإشراف على هذا البحث، والذي كان سخيا نديا علي بعلمه وتوجيهاته القيمة ونصائحه المفيدة في كل المجالات سواء فيما يتعلق بالبحث أو بالحياة العملية، فجزاه الله عني كل خير وأسأل الله أن يحفظه، وأن ينفع به، ويؤيد به الحق إنه على كل شيء قدير.

وكذلك الشكر موصول لعميد كلية الشريعة السابق فضيلة الأستاذ الدكتور/ يوسف محمود الصديقي، والحالي فضيلة الدكتور/ إبراهيم الأنصاري على جهودهما الطيبة المباركة.

والشكر موصول لأساتذتي ومشايخي الأجلاء جزاهم الله عني خير الجزاء ووفقهم لما يحب ويرضى، والشكر موصول لزملائي وإخواني الكرام، أسأل الله كما جمعني بهم في الدنيا على طاعته أن يجمعني بهم في مستقر رحمته وكرامته مع نبينا الأمين ﷺ.

فهرس المحتويات

شكر وتقدير ..... د

المقدمة ١

الفصل الأول: الموهبة: مدلولها وأدلتها ومكانتها وأسبابها وعلاماتها ٨

المبحث الأول: مدلول الموهبة ٩

المبحث الثاني: أدلة الموهبة ٣١

المبحث الثالث: مكانة الموهبة والصلة بينه وبين العصمة ٣٧

المبحث الرابع: أسباب حصول الموهبة ٤٨

المبحث الخامس: علامات وجود الموهبة في الموهوب ٥٣

الفصل الثاني: وجود الموهبة في التفسير وفيه مبحثان: ٧٤

المبحث الأول: أثر الاتصاف بالموهبة في المفسر ٧٥

المبحث الثاني: نماذج من تفاسير الموهوبين ٩٣

الفصل الثالث: فقدان الموهبة في المفسر وفيه مبحثان: ١٢٣

المبحث الأول: أثر فقدان الموهبة في المفسر ١٢٤

المبحث الثاني: نماذج من تفاسير المحرومين من موهبة الله الكريم ١٢٩

الخاتمة ١٧٦

قائمة المصادر والمراجع ١٧٩

المقدمة

الحمد لله الكريم الوهاب، والصلاة والسلام على رسولنا الموهوب من ربنا الكريم بالحكمة وآي الكتاب. وعلى آله الطيبين الطاهرين أولي الرشد والصواب، ورضي الله الكريم عن الصحابة خير أولي الألباب، وعمن تبعهم إلى يوم الحساب وبعد:

إن من رحمة الله الكريم، أن خصَّ هذه الأمة بخاتم النبيين –ﷺ– كما شرفها بكتابه العظيم، فيه الهداية للتي هي أقوم بيقين، وقد بلغ نبينا الأمين –ﷺ– لصحابته الكرام –رضي الله عنهم– ما أُنزل إليهم من ربهم جل وعلا تلاوةً وتفسيراً، فقد آتاه الله الكريم القرآن العظيم ومثله معه[1] قال الإمام الفراهي: "ومثله معه أي من الفهم والبصيرة والنور الذي أشرق به قلب النبي –ﷺ– مع نزول الوحي كما قال تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم} [الشورى:٥٢]".[2]

وقام الصحابة الكرام –رضي الله عنهم– بما يجب عليهم خير قيام، فآزروا رسولنا الكريم –ﷺ– ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه، وبلغوه لمن بعدهم وفسروه، فلهم أجرهم وأجر من جاء بعدهم –رضي الله عنهم وأرضاهم– وهكذا قام التابعون لهم بإحسان بالمهمة خير قيام، ولا تزال تلك العناية بكلام الرحمن تلاوةً وتفسيراً ما تعاقب الملوان.[3]

نعم تنوعت جهود المفسرين الكرام، إلى تفسير بالمأثور، وتفسير بالرأي المحمود، وإلى جامعٍ بينهما بسعيه المشكور، والغرض من جميع ذلك بيان آيات القرآن الكريم، والكشف عن هديه القويم حسب طاقات أئمتنا

---

[1] أخرج الأثر أبو داود في، السنن، رقم: ٤٦٠٤. عن المقدام بن معد يكرب –رضي الله عنه– عن رسول الله –ﷺ– قال: "ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه" الحديث، وأحمد في، المسند ج٤، ص١٣١، والترمذي في، السنن، رقم: ٢٦٦٤، وقال حديث حسن غريب.

[2] محمد إقبال أحمد فرحات، أصول التفسير عند الفراهي، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، سنة النشر: ١٤٢٧ = ٢٠٠٦.

[3] هما الليل والنهار. كما عند ابن فارس في، لسان العرب: ج٢٠، ص١٦٠.

المفسرين، وهداية القرآن الكريم ولطائفه وأسراره لا زالت تتكشف وتظهر للأجيال، ولذلك قال أئمتنا الأبرار: "إن علم التفسير لم ينضج، ولم يحترق إذ لا يحيط بأسرار كلام الله الحكيم إلا الله أحكم الحاكمين".[١]

وقد شاءت حكم العليم الحكيم أن أختار بحثي في أثر الموهبة في التفسير، لأن المطلوب إذا علت رتبته، فله من الشروط ما يناسبه، وأعلى رتب العلوم بيقين، تفسير كلام العليم الحكيم، لذلك بلغت شروطه خمسة عشر شرطاً عند أئمتنا المهتدين، وكان آخرها في العدّ الموهبة[٢] وإليه الإشارة بحديث: "من عمل بما علم، ورثه الله علم مالم يعلم" وإسناد الحديث وإن كان ضعيفاً[٣]، فمعناه حق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأما العلم اللدني فلا ريب أن الله –جل وعلا– يفتح على قلوب أوليائه المتقين، وعباده الصالحين، بسبب طهارة قلوبهم مما يكرهه، واتباعهم ما يحبه مالا يفتح على غيرهم".[٤]

وقد دل القرآن الكريم على معنى "من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم" في غير موضع، ومن ذلك قوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِين} [العنكبوت:٦٩] وقوله: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيم} [الأنفال:٢٩] والفرقان شامل لخمسة أمور حسان كما يفهم من تفسير أئمتنا الموهوبين الكرام وهي: بصيرة عند الشبهات، عزيمة عن الشهوات، فتح وتوفيق عند المشكلات، فرج عند الشدائد والكربات، علو ونصر على أهل الكفر والضلالات.

نعم إن أسرار القرآن الكريم لا يهبها الله إلا لعباده الراسخين، "وأكثر أسرار القرآن الحكيم، معبأة في طيّ القصص والأخبار، فكن حريصاً على استنباطها لينكشف لك فيه من العجائب ما تستصغر معه العلوم المزخرفة الخارجة عنه"[١] وهكذا أيضاً "أكثر لطائف القرآن الكريم مودعة في الترتيبات والروابط".[٢]

---

[١] كما في رد المحتار على الدر المختار (حاشية الإمام ابن عابدين) : ج١، ص٤٩.

[٢] كما قرر ذلك السيوطي في، الإتقان في علوم القرآن: ج٤، ص٢١٥.

[٣] الحديث في الحلية: ج١٠، ص١٥ من رواية أنس –رضي الله عنه– لكن قال أبو نعيم: ذكر أحمد هذا الحديث عن بعض التابعين عن نبي الله عيسى –على نبينا وعليه الصلاة والسلام– فوهم بعض الرواة أنه ذكر عن النبي –ﷺ– فوضع عليه هذا الإسناد لسهولته وقربه. أ هـ.

وقد عدّه السبكي في طبقات الشافعية الكبرى، ج٦، ص٢٩٠ من الأحاديث التي لم يجد لها إسناداً في كتاب إحياء علوم الدين. وانظره في، الإحياء: ج١، ص٧٧ مع كلام العراقي عليه. ومتابعة الشوكاني له في الفوائد المجموعة: ص٢٨٦، والزبيدي في شرحه للإحياء (اتحاف السادة المتقين) ج١، ص٤٠٢.

[٤] ابن تيمية، مجموع الفتاوى: ج١٣، ص٢٤٥.

ولا توهب هذه اللطائف، ولا تفتح تلك الأسرار إلا لمن فتح قلبه للكريم الغفار، وراقبه عند عزمه وقوله وفعله آناء الليل وأطراف النهار.

قال الإمام ابن دقيق العيد: "ما تكلمت كلمة، ولا فعلت فعلاً، إلا وأعددت له جواباً بين يدي الله عز وجل"[٣] وقال شيخ الإسلام محمد بن الفضل البلخي: "ما خطوت من أربعين سنة لغير الله عز وجل"[٤] وفي روضة المحبين للإمام ابن القيم قال شاه الكرماني: "من عمر ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدوام المراقبة، وغض بصره عن المحارم، وكف نفسه عن الشهوات، وأكل من الحلال لم تخطئ فراسته. وكان شاه الكرماني لا تخطئ له فراسة. والله سبحانه وتعالى يجزي العبد على عمله بما هو من جنسه، فمن غض بصره عن المحارم عوضه الله سبحانه وتعالى بإطلاق نور بصيرته، فلما حبس بصره لله أطلق الله نور بصيرته، ومن أطلق بصره في المحارم حبس الله عنه بصيرته".[٥]

ومما لا شك فيه أن من أظلم قلبه بالشبهات والشهوات فهو تعيس مخذول، ولو رام فهم أسرار كلام العزيز الغفور، فهو مغرور مثبور، قال الإمام شيخ الإسلام الفضيل بن عياض: "من استحوذت عليه الشهوات انقطعت عنه مواد التوفيق"[٦] وقال الإمام الزركشي في البرهان "لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي، ولا يظهر له أسراره، وفي قلبه بدعة أو كبر أو هوى أو حب الدنيا، أو إصرار على ذنب، أو غير متحقق بالإيمان، أو ضعيف التحقيق، وهذه كلها حجب وموانع بعضها آكد من بعض".[٧]

---

[١] إحياء علوم الدين: ج٤، ص٣٣٣، وشرحه: إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين: ج٩، ص٦٤٦.

[٢] كما قال الرازي –رحمه الله– في تفسيره الكبير (مفاتيح الغيب) ج١٠، ص١٤٠ ونقله عنه السيوطي –رحمه الله– في كتابه، معترك الأقران في إعجاز القرآن: ج١، ص٥٥، وفي: الإتقان في علوم القرآن: ج٢، ص٢٦٩. وقدم له بقوله: "علم المناسبة علم شريف قلَّ اعتناء المفسرين به لدقته، وممن أكثر منه الإمام الرازي".

[٣] كما في طبقات السادة الشافعية الكبرى: ج٩، ص٢١٢.

[٤] كما عند ابن الجوزي، في ذم الهوى: ٧٨، والمنتظم: ج٦، ص٢٤٠، والبداية والنهاية: ج١١، ص١٦٧. متوفى سنة سبع عشرة وثلاث مئة. له ترجمة عطرة في سير أعلام النبلاء: ج١٤، ص٥٢٣–٥٢٥.

[٥] روضة المحبين: ١٠١ – ١٠٢، وقول شاه الكرماني في حلية الأولياء: ج١٠، ص٢٢٧، والرسالة القشيرية: ص٤٢٨، وفي مجموع الفتاوى: ج١٥، ص٤٢٥ تعليق على قوله بنحو ما في روضة المحبين لتلميذه.

[٦] كما عند ابن تيمية في، ذم الهوى: ص٢٤. وتوفي الفضيل سنة سبع وثمانين ومئة –رحمه الله– وله ترجمة حافلة في سير أعلام النبلاء: ج٨، ص٤٢١ – ٤٤٢.

[٧] الزركشي، البرهان: ج٢ ص١٨٠

وأسال الله ﷻ أن يوفقني في بحثي لما فيه الخير والصلاح، وأن يجنبني الزلل، وأن يجري الحق على يدي، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

إشكالية البحث وأسئلته:

في ضوء ما سبق يمكن تحديد أسئلة البحث فيما يأتي:

١- ما المقصود بالموهبة، وما مكانته، وما أدلة وجود الموهبة؟

٢- هل يمكن تحصيل هذا العلم، وهل هو متوفر في كل من تصدى للتفسير؟

٣- ما الفرق بين الموهبة والعصمة؟

٤- ما أثر اتصاف المفسر بالموهبة في التفسير، وما أثر فقدان الموهبة في المفسر؟

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في أنه يتناول مدى كفاءة من يتصدى للتفسير، وهل يمتلك الأهلية لذلك أو لا، من الوجهة العلمية أو الإيمانية، أمام من يحاول تفسير هذا القرآن في هذا العصر ممن لا يؤمن بأنه وحي، أو يزعم بأنه نص بشري أو منتج تاريخي.

أهداف البحث:

تتبلور أهداف البحث في النقاط التالية:

أولاً: التمييز بين التفسير المقبول والتفسير المردود من خلال توافر أهم شروط المفسر، وهو شرط الموهبة.

ثانياً: بيان أهمية شرط الموهبة في التوفيق واصابة الحق والرأي السديد.

ثالثاً: قطع الطريق على من يزعم تفسير كلام الله واكتشاف أسراره وهو لا يملك أهم الشروط وهو الموهبة.

فرضيات البحث:

تفرض الدراسة مايلي:

١- وجود الموهبة يساعد على الوصول إلى مراد الله -تعالى- في كتابه.

٢- اشتراط الموهبة في المفسر يمنع انحرافات كثيرة في التفسير.

٣- تفاسير المتقدمين والمتأخرين تؤكد أهمية الموهبة في التفسير.

حدود البحث:

يقتصر هذا البحث على بيان الموهبة بياناً شاملاً لتعريفه، ومكانته في الإسلام، والأدلة على وجوده واشتراطه في علم التفسير، ثم بيان أثر المفسر الموهوب من غير الموهوب.

الدراسات السابقة:

من خلال اطلاعي وبحثي عن هذا الموضوع، لم أقف على بحث مستقل كتب في هذا المجال رغم أهميته ومكانته، ولم يدرس بتعمق وعلى حده، وإنما أشار إليه العلماء السابقون -رحمهم الله- ضمن شروط المفسر، وعدّوه الشرط الخامس عشر من شروط المفسر[١] أو ذكروه ضمن علامات الموفقين. وأما الباحثون المتأخرون فلم يكتبوا فيه أيضاً، وإنما ذكروه بشكل مختصر في تعدادهم لشروط المفسر كما ذكر في كتب العلماء السابقين -رحمهم الله تعالى-.

وسيكون هذا البحث سابقاً في هذا الموضوع الذي تدعو إليه الحاجة كما أسلفت، وقد هداني الله تعالى إليه لأبحث في هذا الشرط المهم الذي أرى أنه أهم الشروط، وذلك من خلال كلام العلماء السابقين -رحمهم الله- عن الموهبة، واستشارة مشايخي وأساتذتي الكرام، وبما سيفتح الله به علي في هذا المجال. أسأل الله الكريم التوفيق والسداد.

---

[١] كما في الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج٤، ص١٨٨.

منهج البحث:

اعتمدت في دراسة هذا الموضوع على الجمع بين عدد من المناهج العلمية التي ارتأيت ملاءمتها لطبيعة البحث، والمتمثلة في المناهج الآتية:

١. المنهج الاستقرائي، حيث سأتتبع وأجمع ما له علاقة، بالموهبة وأدلتها من القرآن والسنة.

٢. المنهج التحليلي، سأستخدم هذا المنهج في تحليل تفاسير غير الموهوبين، وعرض تفاسيرهم للقرآن وتحليلها.

٣. المنهج النقدي، سأستخدم هذا المنهج في نقد تفاسير غير الموهوبين في ضوء الضوابط والمعايير العلمية، وبيان مدى عدم ملائمتها للتطبيق على القرآن الكريم.

خطة البحث:

قسمت بحثي إلى مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة

الفصل الأول: الموهبة: مدلوله وأدلته ومكانته وأسبابه وعلاماته

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: مدلول الموهبة

المبحث الثاني: أدلة الموهبة

المبحث الثالث: مكانة الموهبة والصلة بينها وبين العصمة

المبحث الرابع: أسباب حصول الموهبة

المبحث الخامس: علامات وجود الموهبة

الفصل الثاني: وجود الموهبة في التفسير

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أثر الاتصاف بالموهبة في المفسر

المبحث الثاني: نماذج من تفاسير الموهوبين

الفصل الثالث: فقدان الموهبة في المفسر

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أثر فقدان الموهبة في المفسر

المبحث الثاني: نماذج من تفاسير المحرومين من موهبة الله الكريم

الخاتمة

وتشتمل على النتائج والتوصيات

الفصل الأول

الموهبة: مدلولها وأدلتها ومكانتها وأسبابها وعلاماتها

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: مدلول الموهبة

المبحث الثاني: أدلة الموهبة

المبحث الثالث: مكانة الموهبة والصلة بينه وبين العصمة

المبحث الرابع: أسباب حصول الموهبة

المبحث الخامس: علامات وجود الموهبة

المبحث الأول

مدلول الموهبة

سأبين في هذا المبحث مدلول الموهبة من حيث وضعها في اللغة، ومدلولها عند علماء التربية، وعلماء علم النفس، وأخيراً المدلول الشرعي للموهبة، وما أوجه الاشتراك والتباين بين المدلول الشرعي والمدلولات السابقة.

مدلول الموهبة في اللغة:

الموهبة العطية الخالية عن الأعواض والأغراض. وهي: اسم مصدر من: وَهَبَ يَهَبُ وهباً: أي أعطى، وهب الله لك الشيء أي أعطى لك الشيء[1] قال تعالى: {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِين} [الأنعام:٨٤] قال الطاهر بن عاشور في تفسيره لقوله تعالى: {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ} [الأنعام:٨٤] "والوَهْب والهِبة: إعطاء شيء بلا عوض"[2].

ومنه الوهاب: أي كثيرُ الهبات، والوَهَّابُ، مِنْ أسماء اللَّهِ، المنعِمُ عَلَى الْعِبَادِ، واللهُ –سبحانه تَعَالَى– الوهَّابُ الواهِبُ، وكلُّ مَا وُهِبَ لَكَ، مِنْ ولَد وَغَيْرِهِ: فَهُوَ مَوهُوبٌ.

قال الإمام الخطابي: "الوَهَّابُ: هُوَ الذِي يَجُوْدُ بِالعَطَاءِ عنْ ظَهْرِ يَدٍ مِنْ غير استِثَابَةٍ، وَمَعْنَى الهِبَةِ: التمْلِيْكُ بِغير عِوَضٍ يأخُذُهُ الوَاهِبُ مِنَ المَوْهُوبِ لَهُ، فَكُل مَنْ وَهَبَ شَيْئَاً مِنْ عَرَض الدُّنْيَا لِصَاحِبِهِ، فَهُوَ وَاهِبٌ، وَلَا يَسْتَحِقُّ أنْ يُسَمَّى وَهَّاباً إلا منْ تَصَرَّفَتْ مَوَاهِبُهُ فِي أنْوَاعِ العَطَايَا فَكَثُرَتْ نَوَافِلُهُ وَدَامَتْ، وَالمخلُوقُونَ إنما يَمْلِكُونَ أنْ يَهَبُوا مَالاً، أوْ نَوَالاً في حَالٍ دُوْنَ حَالٍ، وَلَا يَمْلِكُوْنَ أنْ يَهَبُوا شِفَاءً لِسَقِيْم، وَلَا وَلَداً لِعَقِيْم، وَلَا هُدَىً

---

[1] انظر كتاب العين أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، ج٤، ص٩٧. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي أبو منصور. ج٦، ص٤٤٢. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، ج١، ص٢٣٥. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، ج٦، ص١٤٧. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، ج١، ص٨٠٣. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادى، ج١، ص١٤٣.

[2] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج٧، ص٣٣٧.

لِضَلَالٍ، وَلَا عَافِيَة لِذِي بَلَاءٍ، وَالله الوَهابُ –سُبْحَانَهُ وتعالى– يملِكُ جَمِيْعَ ذَلِكَ، وَسِعَ الخَلْقَ جُوْدهُ، وَرَحْمَتُهُ، فَدَامَتْ مَوَاهِبُهُ واتصَلَتْ مِنَنُهُ وَعَوَائِدُهُ"·[١]

ومنه الاتهاب: أي قبول الهبة، أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس –رضي الله عنهما–: "أن أعرابيا وهب للنبي –ﷺ– هبة، فأثابه عليها، قال: رضيت؟ قال: لا قال: فزاده، قال: رضيت؟ قال: لا قال: فزاده، قال: رضيت؟ قال: نعم قال: فقال رسول الله –ﷺ–: "لقد هممت أن لا أتهب هبة إلا من قرشي، أو أنصاري، أو ثقفي"[٢] أي: "لا أقبل هِبَةٌ إلاّ من هؤلاء".[٣]

مدلول الموهبة عند علماء التربية، وعلم النفس:

يتداخل مفهومُ الموهبة مع مجموعة من المفاهيم المتقاربة عند علماء التربية وعلم النفس كالعبقرية والتميز والتفوق والإبداع والابتكار، وجميعها تشير إلى أن هناك بين الناس من يستطيع أن يصل إلى مستوى متميز يفوق المستويات التي وصل إليها الآخرون، وَيُعد "تيرمان" –Lewis Madison Terman– أول من استخدم لفظة الموهبة من علماء النفس، حيث قام في عام ١٩٢٥ بدراسته المشهورة على ألف طفل من الموهوبين،[٤] وقد ذكر الدكتور توما جورج خوري:[٥] إجماع معظم علماء التربية، وعلم النفس على القول بأن الطفل الموهوب، هو ذلك الطفل الذي أظهر تفوقاً ملحوظاً في مجال معين، ومتمتعاً بقدرة ذهنية ممتازة. وهذا يعني أن الطفل الموهوب هو ذلك الطفل الذي يمتاز "بالقدرة العقلية".

فالموهبة: عند علماء التربية، وعلماء علم النفس، استخدمت لتدل على مستوى عالٍ من القدرة على التفكير والأداء والتميز والابتكار، في أي مجال من المجلات.

---

[١] الخطابي، شأن الدعاء، ج١، ص٥٣.

[٢] أخرجه أحمد بن حنبل، المسند، ج١، ص٢٩٥. ورجاله رجال الصحيح كما في مجمع الزوائد، ج٤، ص ١٤٨. وهو في صحيح ابن حبان، رقم: ٦٣٨٤.

[٣] تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي أبو منصور. ج٦، ص٤٤٢.

[٤] راجح، أحمد عزت، أصول علم النفس، الفصل الثالث، ص٣٣٣.

[٥] جورج خوري، الطفل الموهوب والطفل بطيء التعلم، ص١٩.

المدلول الشرعي للموهبة:

قال الإمام الماتريدي عن الموهبة: "ويقصد به العلم اللدني الرباني:{آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا}[الكهف:٦٥] الذي يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم، ويفتح قلبه لفهم أسراره، قال تعالى:{وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم}[البقرة:٢٨٢] فهو ثمرة التقوى والإخلاص، ولا ينال هذا العلم، من كان في قلبه بدعة، أو كبر أو حب للدنيا أو ميل إلى المعاصي، قال تعالى: {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ}[الأعراف:١٤٦]".[١]

وقال الإمام السيوطي: "علم الموهبة وَهُوَ عِلْمٌ يُوَرِّثُهُ اللَّهُ تَعَالَى لِمَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِحَدِيثِ: "مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَّثَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ".[٢]

ومن العلماء المعتبرين الذين أشاروا للموهبة الإمام الراغب الأصفهاني حيث يرى أن الموهبة: "ذلك علم يورثه الله من عَمِلَ بِمَا عَلِمَ" ثم أورد أثراً عن علي –رضي الله عنه– يقول: "قالت الحكمة: من أرادني فليعمل بأحسن ما علم، ثم تلا:{الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَاب}[الزمر:١٨]" وسؤال علّيٍ –رضي الله عنه– هل عندك علمٌ عن النبي –ﷺ– لم يقع إلى غيرك؟ قال: "لا، إلا كتاب الله وما في صحيفتي، وفهمٌ يؤتيه الله من يشاء".[٣]

وبعد ما تقدم من كلام فلابد من تأصيل لمفهوم الموهبة، لكي تتضح معالم هذا البحث، ثم وضع تعريف جامع مانع لها، مستفاد من كلام أئمتنا الكرام.

---

[١] الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج١، ص٢٧٥.

[٢] سبق تخريج الأثر ص٢.

[٣] تفسير الراغب الأصفهاني، ج١، ص٣٩. والحديث الذي استشهد به أخرجه البخاري بسنده عن أبي جحيفة، قال: قلت لعلي بن أبي طالب: هل عندكم كتاب؟ قال: " لا، إلا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة. قال: قلت: فما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر " رقم: ١١١، والحديث في المسند، ج١، ص٧٩. وسنن الترمذي، رقم: ١٤١٢. وهو في جامع الأصول، رقم: ٥٨٦٣، ٦٩١٤.

وأبو جحيفة هو: وهب بن عبد الله السُّوائي، يقال له وهب الخير، صحابي معروف مات سنة: ٧٤هـ –رضي الله عنه– كما في تقريب التهذيب، رقم: ٧٤٧٩. وكان صاحب شرطة سيدنا علي –رضي الله عنه– كما في سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٢٠٣. قال الحافظ في فتح الباري: ج١، ص٢٠٤، وإنما سأله أبو جحيفة عن ذلك، لأن جماعة من الشيعة كانوا يزعمون أن عند أهل البيت –الشريف– لا سيما علياً أشياء خصهم بها النبي –ﷺ– لم يطلع عليها غيرهم.

ابتداءً لا بد أن يعلم بأن الوهب والإلهام والكشف، جزء من أجزاء علم الغيب والوحي، وهو عطية من الله يعطيها بعض عباده، فهي بحق أنبيائه ورسله معجزة، وبحق أولياءه كرامة، ومرد ذلك إلى ما قرره علماء التوحيد أن أصول الكمال ثلاثة وهي: العلم، والقدرة، والغنى،[1] ولا تحصل تلك الخصال على وجه الكمال إلا لذي العزة والجلال –سبحانه وتعالى– فهو الذي أحاط بكل شيء علماً وهو على كل شيء قدير، وهو غني عن العالمين، لذا أَمر رسوله الأمين –ﷺ– أن يبرأ من دعوى هذه الثلاثة بقوله: {قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ}[الأنعام:٥٠] وكذلك قال نبي الله نوح –عليه السلام– لقومه:{وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْرًا اللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِين}[هود:٣١].

وسبب طلبه –سبحانه وتعالى– من أنبيائه أن يتبرؤوا من هذه الأمور الثلاثة، هو أن أقوامهم ظنت بهم تارة أنهم يعلمون الغيب، فسألوهم عن الساعة أيان مرساها، وتارة ظنوا بهم التأثير بقدرتهم فقالوا ما حكاه عنهم ربنا –عز وجل–:{وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاء وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَرًا رَّسُولا } [الإسراء:٩٠ –٩٣] كما عابوا عليهم الأكل والمشي في الأسواق، بمعنى أنهم لا يستغنون عن هذه النقائص، وهذا قادح في نبوتهم بزعمهم، كما أخبر الله عنهم بقوله –عز وجل–: {وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلاَ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا}[الفرقان:٧] فأُمر رسولنا الكريم –عليه الصلاة والسلام– كما أُمر من قبله من الأنبياء والرسل الكرام – عليْهم صلوات الله وسلامه– جميعاً أن يخبروا أقوامهم أنهم لا يملكون من تلك الثلاثة إلا بقدر ما يعطيه الله لهم، فلا يعلمون إلا ما علمهم الله إياه، ولا يستغنون إلا عما أغناهم الله عنه، ولا يقدرون إلا على ما أقدرهم الله عليه من الأمور المخالفة للعادة، المعروفة عند الناس.

ثم إنه قد يحصل للبشر جزء من تلك الأشياء، من سماعِ العبد ما لا يسمعه غيره، ورؤيتِه ما لا يراه غيره يقظة أو مناماً، وتحملِه ما لا يطيقه البشر، واستغناءٍ عن بعض ما يحتاجه البشر من نوم ومأكل ومشرب،

---

[1] البراك، عبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم، شرح العقيدة الطحاوية، ج١، ص٤٩٤.

أو علمِه ما لا يعلمه غيره إلهاماً وفراسة، فكلها أمور قد تحصل لبعض البشر لا على وجه الكمال وهي في حق النبي –على نبينا وأنبياء الله صلوات الله وسلامه– معجزة، وفي حق الولي كرامة.

وما يهمني في بحثي من هذه الأمور الثلاثة، الأمر الأول (العلم) فالله –سبحانه وتعالى– يعلم علماً تاماً كاملاً، فعلمه سبحانه شامل للماضي والحاضر، ولجميع ما سيحصل في المستقبل في الدنيا والآخرة قال تعالى:{إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم} [العنكبوت:٦٢] وقال:{عَالِمِ الْغَيْبِ لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ وَلاَ أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِين}[سبأ:٣] ثبت في المسند والسنن من حديث عبادة بن الصامت –رضي الله عنه– قال: سمعت رسول الله –ﷺ– يقول: "إن أولَ ما خلق الله القلمُ فقال له: اكتب، قال: يا رب، ما أكتب؟ قال: اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد"[1] فعلم الله –سبحانه وتعالى– كامل تام غير منقوص، محيط بكل شيء.

ثم هو سبحانه يفيض بمنه وكرمه، ويطلع مَنْ شاء مِنْ خلقه على بعض علمه سبحانه، وهم نوعان من البشر، الأنبياء والرسل الكرام –عليهم الصلاة والسلام– والأولياء الصالحون المقربون، فأما الأنبياء والرسل الكرام –عليهم الصلاة والسلام– فيكون اطلاعهم على شيء من علم الله تعالى بإحدى طرق الوحي الثابتة في الكتاب والسنة وهي على النحو الآتي:

أولاً: تكليم الله تعالى لنبيه مباشرة من وراء حجاب، كما حصل مع نبي الله موسى –عليه الصلاة والسلام– قال الله –عز وجل– {وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} [النساء:١٦٤].

ثانياً: النفث في الرُّوع، وهو ما يقذفه الله في قلب الموحَى إليه مما أرادْ الله تعالى، كما قال نبينا –عليه الصلاة والسلام–: "إِنَّ رَوْحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِيَ أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدَكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةٍ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ"[2]

---

[1] أخرجه أحمد بن حنبل، المسند، ج٥، ص٣١٧. والترمذي، السنن، رقم: ٢١٥٥–٣٣١٩، وقال: هذا حديث حسن غريب. وأبو داود في، السنن، رقم: ٤٧٠٠. وهو في جامع الأصول، رقم: ٧٥٧٦.

[2] أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي أمامه ج١٠، ص ٢٦، وهو في معجم الطبراني الكبير، ج٨، ص ١٦٦، رقم: ٧٦٩٤. ابن عبد البر، التمهيد، ج٢٤، ص٤٣٥. قال الهيثمي في مجمع الزوائد، ج٤، ص٧٢، فيه عفير بن معدان، وهو ضعيف. أ هـ.
لكن للحديث شواهد وروايات أخرى يصح بها الحديث الشريف ويثبت، وهذه أحدها: من حديث جابر بن عبد الله –رضي الله عنه– في سنن ابن ماجة، رقم: ٢١٤٤، وصحيح ابن حبان، رقم: ٣٢٣٩–٣٢٤١. والمستدرك، ج٢، ص٤، ج٤، ص٣٢٥.

قال المناوي –رحمه الله–: في فيض القدير(في رُوعِي) أي: "ألقى الوحي في خَلَدي وبالي، أو في نفسي، أو قلبي، أو عقلي، من غير أن أسمعه ولا أراه".[١]

ثالثاً: الرؤيا الصادقة، عن أمنا أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– قالت: "أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لا يَرَى رُؤْيَا إلا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ".[٢]

رابعا: نزول جبريل –عليه السلام– قال تعالى: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِين} [الشعراء:١٩٣] ولنزوله عدة صور ليس هذا مكان بسطها.[٣]

وأما النوع الثاني من البشر والذين يطلعهم الله على بعض من علمه: فهم الأولياء الصالحون المقربون، ويَطَّلع هؤلاء على بعض علم الله بما شاء الله من الطرق التي يطلع بها الأنبياء على شيء من علم الله –جل وعلا– وقد ورد في ذلك أدلة صحيحة صريحة تثبت حصول ذلك مع الصالحين من البشر.

ثبت في ترجمة الإمام أحمد بن حنبل أنه رأى رب العزة في المنام، فقال: ربي ما أحب ما يتقرب به المتقربون إليك؟ قال: يا أحمد بكلامي، فقلت: ربي بفهم أو بغير فهم، قال: بفهم أو بغير فهم.[٤]

وثبت عن سيد المسلمين في زمانه الإمام أبي عمرو الأوزاعي أنه قال: "رأيت رب العزة في المنام، فقال لي: يا أبا عمرٍو أنت الذي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ قلت: بفضلك يا رب، ثم قلت: ربي أمتني على الإسلام، قال: يا أبا عمرو قل وعلى السنة".[٥]

ورؤية الله تعالى في المنام واقعة جائزة باتفاق أهل الإسلام. نقل الحافظ في الفتح إجماع أهل السنة على جواز رؤية الله –تعالى– في المنام.[١] قال الإمام ابن تيمية: أن كل واحد إن رأى ربه في منامه يراه على حسب إيمانه [٢]، وهذه الطريقة مشتركة بين النبي والولي –على نبينا وأنبياء الله ورسله صلوات الله وسلامه–.

---

[١] المناوي، فيض القدير، ج٢، ص ٤٥٠.

[٢] أخرجه البخاري، صحيح البخاري، الحديث، الثالث.

[٣] انظر ابن حجر، فتح الباري، ج١، ص١٩.

[٤] ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد، ص٥٨٤. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١١، ص٣٤٧.

[٥] أبو نعيم، حلية الأولياء، ج٦، ص١٤٢. ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ص٩.

كما أنه يمكن للولي أن يطلع على بعض علم الله عن طريق الإلهام، وهذا الطريق من أكثر الطرق حصولاً لأولياء الله الصالحين، قال تعالى:{وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ}[القصص:٧] أورد الإمام الطبري أثراً عن قتادة أنه قال: "وحيًا جاءها من الله، فقذف في قلبها، وليس بوحي نبوة، فهو إلهامٌ".[٣]

وكان النبي –ﷺ– يحث أصحابه الكرام على سؤال الله الإلهام الذي به ينصرف الشر عن النفس، فقال عليه الصلاة والسلام لحُصَيْنِ بْنِ مُنْذِرٍ الْخُزَاعِيِّ –رضي الله عنه– لَمَّا أَسْلَمَ قُلْ: "اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي، وَقِنِي شَرَّ نَفْسِي".[٤]

وقد وجد في أمة محمد –ﷺ– الأولياء الملهمون المحدثون، أخرج الإمام البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –ﷺ–: "لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدَّثون، فإن يك في أمتي أحد، فإنه عمر".[٥]

قال الإمام الطحاوي في شرح مشكل الآثار: "مَعْنَى قَوْلِهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مُحَدَّثُونَ أَيْ: مُلْهَمُونَ أَيْ: يُلْهَمُونَ حَتَّى تَنْطِقَ أَلْسِنَتُهُمْ بِالْحِكْمَةِ كَمَا كَانَ لِسَانُ عُمَرَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– يَنْطِقُ بِمَا كَانَ يَنْطِقُ بِهِ".[٦]

وكان عمر –رضي الله عنه– يحدث عن تلك النعمة العظيمة ويفرح بها ويقول كما في الصحيحين وغيرهما قال –رضي الله عنه–: "وافقت ربي في ثلاث: فقلت يا رسول الله –ﷺ– لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت:{وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُود}[البقرة:١٢٥] وآية الحجاب، قلت: يا رسول الله –ﷺ– لو أمرت نساءك أن يحتجبن، فإنه يكلمهن البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي –ﷺ– في الغيرة عليه، فقلت لهن: {عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ

---

[١] ابن حجر، فتح الباري، ج١٢، ص٣٨٧.

[٢] ابن تيمية، مجموع الفتاوي، ج٣، ص٣٩٠. أنظر تفصيلا أكثر حول هذه المسألة ص٢١٥ من هذا البحث.

[٣] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج١٩، ص٥١٩.

[٤] أخرجه الترمذي، السنن، ج٥، ص ٣٩٧، رقم: ٣٤٨٣، وقال: هذا حديث حسن غريب. وأخرجه أحمد، في المسند، ج٤، ص٤٤٤. وهو في جامع الأصول، رقم: ٢٣٦٤.

[٥] أخرجه البخاري، الصحيح، ج٦، ص٥١٢، ج٧، ص٤٢، رقم: ٣٤٦٩-٣٦٨٩. وأحمد في، المسند، ج٢، ص٣٣٩-١٦٥٠-١٦٥١. وهو في جامع الأصول، رقم: ٦٤٣٤.

[٦] الطحاوي، شرح مشكل الآثار، ج٤، ص٣٣٧.

أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا}[التحريم:٥]، فنزلت هذه الآية".[١]

وكذلك من الطرق المشتركة بين النبي والولي للحصول على شيء من علم الله، تكليم الملائكة لهم: ثبت عن نبينا –عليه الصلاة والسلام – أنه قال: "والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم".[٢]

وثبت أن جبريل –عليه السلام– نزل في صورة رجل فكلم النبي –ﷺ– والصحابة ينظرون إليه ويسمعونه في الحديث الطويل المشهور بحديث جبريل.[٣]

وكان الصحابي الجليل عمران بن حصين –رضي الله عنه– تصافحه الملائكة وتعوده كما ثبت ذلك في صحيح الإمام مسلم وغيره، عَنْ مُطَرِّفٍ، قَالَ: "بَعَثَ إِلَيَّ عِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ فِي مَرَضِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، فَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ مُحَدِّثَكَ بِأَحَادِيثَ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَنْفَعَكَ بِهَا بَعْدِي، فَإِنْ عِشْتُ فَاكْتُمْ عَنِّي، وَإِنْ مُتُّ فَحَدِّثْ بِهَا إِنْ شِئْتَ: إِنَّهُ قَدْ سُلِّمَ عَلَيَّ"[٤] –يعني الملائكة– وفي طبقات الإمام ابن سعد عن مطرف قال: "أرسل إلي عمران بن حصين في مرضه فقال: إنه كان تسلم علي–يعني الملائكة– فإن عشت فاكتم علي، وإن مت فحدث به إن

---

[١] أخرجه البخاري، الصحيح، رقم: ٤٠٢–٤٤٨٣. ومسلم، الصحيح، رقم: ٢٣٩٩. وأحمد، في المسند، ج١، ص٢٤–٣٦–٣٧. والترمذي، السنن، رقم: ٢٩٦٢–٢٩٦٣. وهو في جامع الأصول، رقم: ٦٤٤٩. وللسيوطي نظم لموافقات سيدنا عمر –رضي الله عنه– في رسالة سمها: قطف الثمر في موافقات عمر، ج١، ص٣٧٧.

[٢] أخرجه مسلم، الصحيح، ج٤، ص ٢١٠٦، رقم: ٢٧٥٠، من رواية حنظلة بن الربيع الأُسَيْدي –رضي الله عنه– بضم الهمزة وفتح السين وكسر الياء المشددة، وضُبط بإسكان الياء أيضاً. والترمذي، السنن، رقم: ٢٥١٦. وابن ماجة، السنن، رقم: ٤٢٣٩. وأحمد، المسند، ج٤، ص١٧٨–٣٤٦. وهو في جامع الأصول، رقم: ٩٧.

[٣] حديث جبريل، حديث صحيح مشهور يحفظه أولاد المسلمين، وهو الحديث الثاني من الأربعين النووية، من رواية ابن عمر عن أبيه سيدنا عمر بن الخطاب –رضي الله عنهما– وهو في المسند، ج١، ص٢٧–٢٨–٥٢. وصحيح الإمام مسلم، رقم: ٨. وسنن الإمام الترمذي، رقم: ٢٧٣٨. وهو الحديث الثاني في جامع الأصول.

[٤] أخرجه مسلم، الصحيح، ج٢، ص٨٩٩، رقم: ١٢٢٦. والمسند، ج٤، ص٤٢٧– ٤٢٨. والدارمي في، السنن، ج٢، ص٣٥، ومنه نقل الحافظ ابن حجر الأثر في، الإصابة، ج٧، ص٤٩٨، رقم: ٦٠٣٩. ورواية الدارمي أتم وفيه: "إِنِّي مُحَدِّثُكَ بِحَدِيثٍ، إِنَّهُ كَانَ يُسَلَّمُ عَلَيَّ، وَإِنَّ ابْنَ زِيَادٍ أَمَرَنِي، فَاكْتَوَيْتُ فَاحْتُبِسَ عَنِّي، حَتَّى ذَهَبَ أَثَرُ الْكَيِّ" والأثر في جامع الأصول، رقم: ١٤٠٢.

شئت"[١] ولما اكتوى بالنار تركت الملائكة السلام عليه فكان –رضي الله عنه– يقول إني فقدت السلام حتى ذهب عني أثر النار.[٢]

وآخر الطرق التي تكون مشتركة بين النبي والولي هي الرؤيا، ويكفي في إثباتها ما ثبت في صحيح الإمام البخاري وغيره عن نبينا –عليه الصلاة والسلام– أنه قال: "لم يبق من النبوة إلا المبشرات قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة".

وثبت الحديث من رواية غير الإمام البخاري بلفظ: "كان النَّبي –ﷺ– إذا انصرف من صلاة الغداة يقول: هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا؟ ويقول: إنه ليس يبقى بعدي من النبوة إلا الرؤيا الصالحة"[٣] وفي رواية الإمام مسلم وغيره: "فقال: أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له"[٤]

وثبت في الصحيحين وغيرهما عن نبينا –ﷺ–: "إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ تَكْذِبُ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ، وَرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنْ النُّبُوَّةِ ، وَمَا كَانَ مِنْ النُّبُوَّةِ فَإِنَّهُ لَا يَكْذِبُ".[٥]

ثلاثة إيضاحات لدفع المشكلات:

الإيضاح الأول: حاصل تأويل قوله –ﷺ–: "وَرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنْ النُّبُوَّةِ" يرجع إلى اعتبارين.

الاعتبار الأول: مراعاة زمن نبوة نبينا –ﷺ– فقد مكث ستة أشهر –قبل نزول الوحي عليه– يَرى في منامه ما يتحقق منه مثل فلق الصبح في يقظته،[٦] ثم نزل عليه الوحي في مدة نبوته ثلاثاً وعشرين سنة، ونسبة

---

[١] ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤، ص٢١٧.

[٢] المصدر السابق.

[٣] أخرجه البخاري، الصحيح، ج١٢، ص٣٧٥، رقم: ٦٩٩٠. والرواية الأخرى ثابتة بإسناد صحيح في الموطأ، ج٢، ص٩٥٧. وسنن أبي داود، رقم: ٥٠١٧. والسنن الكبرى للنسائي، رقم: ٧٥٧٤، وهو أول حديث فيه في كتاب الرؤيا. والمسند، ج٢، ص٣٢٥. وصحيح ابن حبان، رقم: ٦٠٤٨. والمستدرك، ج٤، ص٣٩٠–٣٩١، وقال صحيح الإسناد، ووافقه الإمام الذهبي.

[٤] أخرجه مسلم، الصحيح، ج١، ص ٣٤٨، رقم: ٤٧٩. وأبي داود، السنن، رقم: ٨٧٦. وأحمد، المسند، ج١، ص٢١٩، وهو في جامع الأصول، رقم: ٢١٥٤.

[٥] أخرجه البخاري، الصحيح، ج١٢، ص٤٠٤، رقم: ٧٠١٧، وسبق فيه ورود آخر الحديث الشريف، برقم: ٦٩٨٨. والحديث في صحيح الإمام مسلم، رقم: ٢٢٦٣. وهو في جامع الأصول، رقم: ٩٨٩.

[٦] تقدم تخريج الحديث في، ص١٨.

المدة التي أوحي إليه فيها في النوم –نصف سنة– إلى مدة نبوته –وهي ثلاث وعشرين سنة– نصف جزء من ثلاثة وعشرين جزءاً، وذلك جزء من ستة وأربعين جزءاً. قال بهذا جم غفير، ومنهم الإمام ابن الأثير.[١]

ومهما وجه إلى هذا القول من اعتراض، فهو محتمل مقبول عند أهل الرشاد، فقد تعارضت الروايات في أحاديث الرؤيا أنها جزء من ستة وأربعين جزءاً. وليس الاختلافُ في اختلاف آثار هذا الباب في عدد أجزاء الرؤيا من النبوة اختلافَ تضاد وتدافع، لأنه يحتمل أن تكون الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنْ بَعْضِ مَنْ يَرَاهَا عَلَى سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا أَوْ خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا أَوْ أَرْبَعَةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا أَوْ خَمْسِينَ جُزْءًا أَوْ سَبْعِينَ جُزْءًا عَلَى حَسَبِ مَا يَكُونُ الَّذِي يَرَاهَا مِنْ صِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَالدِّينِ الْمَتِينِ وَحُسْنِ الْيَقِينِ فَعَلَى قَدْرِ اخْتِلَافِ النَّاسِ فِيمَا وَصَفْنَا تَكُونُ الرُّؤْيَا مِنْهُمْ عَلَى الْأَجْزَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ الْعَدَدِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ فَمَنْ خَلَصَتْ لَهُ نِيَّتُهُ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ وَيَقِينِهِ وَصِدْقِ حَدِيثِهِ كَانَتْ رُؤْيَاهُ أَصْدَقَ وَإِلَى النبوة أقرب، كَمَا أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ يَتَفَاضَلُونَ وَالنُّبُوَّةُ كَذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ، كما أفاد ذلك الإمام ابن عبد البر.[٢]

الاعتبار الثاني: مراعاة الاعتبارات المعنوية في نبوة نبينا خير البرية –ﷺ– وحاصل ما قيل في ذلك: إن النبوة تقوم على الصدق التام، وعلى جلب الخير العام للأنام، فمن صدقت رؤياه، وترتب عليها خير له ولغيره، فذلك جزء معتبر من أجزاء الخير التي كان عليها نبينا ﷺ– وهذه الرؤيا الصالحة النافعة وإن كانت جزاءاً من النبوة، فليست بانفرادها نبوة، كما ليس كل شعبة من شعب الإيمان بانفرادها إيماناً، ولا كل جزء من الصلاة بانفرادها صلاة.[٣]

الإيضاح الثاني: عدُّ أجزاء النبوة.

حاول عدد من أئمتنا عدَّ أجزاء النبوة الستة والأربعين، وأول من قام بذلك –فيما وقفت عليه– إمام أهل السنة الإمام أبو الحسن الأشعري، كما حكى ذلك عنه الإمام أبو إسحاق الإسفراييني، فيما نقله عنه الإمام

---

[١] ابن الأثير، جامع الأصول، ج٢، ص٥١٨–٥١٩. ابن حجر، فتح الباري، ج١٢، ص٣٦٤.

[٢] الشطر الأول في جامع الأصول، ج٢، ص٥١٨. وتوجيه الروايات في التمهيد، ج١، ص٢٨٣. وقد تعددت روايات الحديث الشريف في تحديد كون الرؤيا الصالحة جزءاً من أجزاء النبوة إلى عشرة أوجه أقلها جزء من ستة وعشرين، وأكثرها جزء من ستة وسبعين، فتح الباري، ج١٢، ٣٦٣.

[٣] أفاد ذلك الإمام الحليمي في، المنهاج في شعب الإيمان، ج١، ص٢٤٩.

الزركشي في كتابه البحر المحيط فقال: "وَقَالَ الْأُسْتَاذُ أَبُو إِسْحَاقَ فِي شَرْحِ التَّرْتِيبِ: الَّذِي قَالَهُ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ وَنَرْتَضِيهِ أَنَّ جُمْلَةَ الطُّرُقِ الَّتِي يُدْرَكُ بِهَا الْعُلُومُ الضَّرُورِيَّةُ وَالِاسْتِدْلَالِيَّة تَنْحَصِرُ فِي أَدِلَّةٍ خَمْسَةٍ: الْعُقُولِ، وَالْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَالْإِجْمَاعِ وَالْقِيَاسِ. قَالَ: وَلَا عِبْرَةَ بِمَا يَطْلُبُهُ الْمُنَجِّمُونَ مِنْ مَعْرِفَةِ الْأَشْيَاءِ بِذَهَابِ الشَّمْسِ، وَالْقَمَرِ، وَنَجْمِ كَذَا، وَأَمَّا الرُّؤْيَا، فَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: "إنَّ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةَ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنْ النُّبُوَّةِ "وَهَذِهِ السِّتَّةُ وَالْأَرْبَعُونَ كُلُّهَا طُرُقُ عُلُومِ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّ لَهُمْ طُرُقًا فِي الْعُلُومِ لَا نَصِلُ إلَى شَيْءٍ مِنْهَا إلَّا بِالْخَبَرِ. قَالَ: وَهُوَ مِثْلُ مَا يَعْرِفُونَ مِنْ كَلَامِ الْبَهَائِمِ وَالْجَمَادَاتِ وَالْوَحْيِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَالرُّؤْيَا مِنْ تِلْكَ الْجُمْلَةِ. قَالَ: وَقَدْ اجْتَهَدْت فِي تَحْصِيلِ السِّتَّةِ وَالْأَرْبَعِينَ مَا هِيَ؟ فَبَلَغْت مِنْهَا إلَى اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ، وَقَدْ ذَكَرْتهَا فِي كِتَابِ "الْوَصْفِ وَالصِّفَةِ" وَأَنَا فِي طَلَبِ الْبَاقِي. قَالَ: وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَثْبُتَ بِالرُّؤْيَا شَيْءٌ حَتَّى لَوْ رَأَى وَاحِدٌ فِي مَنَامِهِ أَنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَمَرَهُ بِحُكْمٍ مِنْ الْأَحْكَامِ لَمْ يَلْزَمْهُ ذَلِكَ. انْتَهَى.

قُلْت: وَحَكَى الْأُسْتَاذُ أَبُو إِسْحَاقَ فِي كِتَابِ "أَدَبِ الْجَدَلِ" فِي ذَلِكَ وَجْهًا وَالْأَصَحُّ: الْأَوَّلُ، لِأَنَّ الْأَحْكَامَ لَا تَثْبُتُ بِالْمَنَامِ إلَّا فِي حَقِّ الْأَنْبِيَاءِ، أَوْ بِتَقْرِيرِهِمْ، وَعَنْ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ دَقِيقِ الْعِيدِ أَنَّهُ إنْ كَانَ أَمَرَهُ بِأَمْرٍ ثَبَتَ عَنْهُ فِي الْيَقِظَةِ خِلَافُهُ كَالْأَمْرِ بِتَرْكِ وَاجِبٍ أَوْ مَنْدُوبٍ لَمْ يَجُزْ الْعَمَلُ بِهِ، وَإِنْ أَمَرَهُ بِشَيْءٍ لَمْ يَثْبُتْ عَنْهُ فِي الْيَقِظَةِ خِلَافُهُ اُسْتُحِبَّ الْعَمَلُ بِهِ".[1]

ويعتبر الإمام أبو الحسن الأشعري أول من قال بحصر أجزاء النبوة وعدها حسب اجتهاده، ثم تبعه الإمام الحليمي في المنهاج في شعب الإيمان، فأوصل أجزاء النبوة إلى ستة وأربعين جزءاً، جمعها في أربع صفحات.[2] وجاء بعدهما الإمام القاضي عياض، وحاول جمع ما تيسر منها في كتابه "إكمال المعلم بفوائد صحيح الإمام مسلم".[3]

الإيضاح الثالث، وهو آخرها: توضيح مبين لموافقة وهب الموهوبين لما أكرم الله الكريم به النبيين – على نبينا وعليهم صلوات الله وسلامه– رفعاً للَّبس عما ذكرته، ودعماً لما قررته ونقلته، سأنقل عن إمام علمٍ موافقته لبيان ما قدمته.

---

[1] الزركشي، البحر المحيط، ج١، ص٦٢-٦٣.

[2] الحليمي، المنهاج في شعب الإيمان، ج١، ص٢٣٩-٢٥٣.

[3] القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد صحيح الإمام مسلم، ج٧، ص٢١٤-٢١٥.

قال الإمام الشاطبي في الموافقات: في المسألة العاشرة، من النوع الرابع في بيان قصد الشارع في دخول المكلف تحت أحكام الشريعة: "كَمَا أَنَّ الْأَحْكَامَ وَالتَّكْلِيفَاتِ عَامَّةٌ فِي جَمِيعِ الْمُكَلَّفِينَ عَلَى حَسَبِ مَا كَانَتْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِلَّا مَا خُصَّ بِهِ، كَذَلِكَ الْمَزَايَا وَالْمَنَاقِبِ، فَمَا مِنْ مَزِيَّةٍ أُعْطِيَهَا رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– سِوَى مَا وَقَعَ اسْتِثْنَاؤُهُ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيَتْ أُمَّتُهُ مِنْهَا أُنْمُوذَجًا، فَهِيَ عَامَّةٌ كَعُمُومِ التَّكَالِيفِ، بَلْ قَدْ زَعَمَ ابن العربي أن سنة الله جرت أنه إذا أَعْطَى اللَّهُ نَبِيًّا شَيْئًا أَعْطَى أُمَّتَهُ مِنْهُ، وَأَشْرَكَهُمْ مَعَهُ فِيهِ، ثُمَّ ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ أَمْثِلَةً؛ وَمَا قَالَهُ يَظْهَرُ فِي هَذِهِ الْمِلَّةِ بِالِاسْتِقْرَاءِ.

أَمَّا أَوَّلًا: فَالْوِرَاثَةُ الْعَامَّةُ فِي الِاسْتِخْلَافِ عَلَى الْأَحْكَامِ الْمُسْتَنْبَطَةِ، وَقَدْ كَانَ مِنَ الْجَائِزِ أَنْ تَتَعَبَّدَ الْأُمَّةُ بِالْوُقُوفِ عِنْدَ ما حُدَّ مِنْ غَيْرِ اسْتِنْبَاطٍ، وَكَانَتْ تَكْفِي الْعُمُومَاتُ وَالْإِطْلَاقُ حَسْبَمَا قَالَهُ الْأُصُولِيُّونَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ منَّ عَلَى الْعِبَادِ بِالْخُصُوصِيَّةِ الَّتِي خَصَّ بِهَا نَبِيَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ إِذْ قَالَ تَعَالَى:{لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا}[النساء:١٠٥] وَقَالَ فِي الْأُمَّةِ: {لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلا}[النساء:٨٣] وَهَذَا وَاضِحٌ، فَلَا نطوّل بِهِ.

وَأَمَا ثَانِيًا: فَقَدْ ظَهَرَ ذَلِكَ مِنْ مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ، نَقْتَصِرُ مِنْهَا عَلَى ثَلَاثِينَ وَجْهًا.[1] –وسأقتصر على خمسة منها–:

أولها: الْوَحْيُ وَهُوَ النُّبُوَّةُ، قَالَ تَعَالَى: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ} [النساء:١٦٣] وَسَائِرُ مَا فِي هَذَا الْمَعْنَى، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى شَاهِدٍ، وَفِي الْأُمَّةِ: "الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا من النبوة".[2]

ثانيها: خَوَارِقُ الْعَادَاتِ مُعْجِزَاتٌ وَكَرَامَاتٌ لِلنَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَفِي حَقِّ الْأُمَّةِ كَرَامَاتٌ، وَقَدْ وَقَعَ الْخِلَافُ، هَلْ يَصِحُّ أَنْ يَتَحَدَّى الْوَلِيُّ بِالْكَرَامَةِ دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ وَلِيٌّ أَمْ لَا؟ وَهَذَا الْأَصْلُ شَاهِدٌ لَهُ، وَسَيَأْتِي بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ.

ثالثها: مُنَاجَاةُ الْمَلَائِكَةِ، فَفِي النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ظَاهِرٌ، وَقَدْ رُوِيَ فِي بَعْضِ الصَّحَابَةِ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ– أَنَّهُ كَانَ يُكَلِّمُهُ الْمَلَكُ، كَعِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ، وَنُقِلَ عَنِ الْأَوْلِيَاءِ مِنْ هَذَا.[1]

---

[1] الشاطبي، الموافقات، ج٢، ص٤١٥–٤١٦.

[2] تقدم تخريج الحديث الشريف في، ص١٨.

رابعها: تَيْسِيرُ الْقُرْآنِ عَلَيْهِمْ، قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَه فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَه ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَه} [القيامة: ١٧- ١٩] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: عَلَيْنَا أَنْ نَجْمَعَهُ فِي صَدْرِكَ، {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَه} [القيامة: ١٩] عَلَيْنَا أَنْ نُبَيِّنَهُ عَلَى لِسَانِكَ. وَفِي الْأُمَّةِ: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِر} [القمر:١٧].

خامسها: الْخِطَابُ الْوَارِدُ مورد الشَّفَقَةِ وَالْحَنَانِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى}[طه:١-٢] وَقَوْلِهِ:{فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِين}[الأعراف:٢] {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا}[الطور:٤٨]وَفِي الْأُمَّةِ:{مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ}[المائدة:٦] { يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}[البقرة:١٨٥] {يُرِيدُ اللهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا} [النساء:٢٨] {وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا}[النساء:٢٩] وَمَنْ تَتَبَّعَ الشَّرِيعَةَ وَجَدَ مِنْ هَذَا كَثِيرًا -مَجْمُوعُهُ- يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أُمَّتَهُ تَقْتَبِسُ مِنْهُ خَيْرَاتٍ وَبَرَكَاتٍ، وَتَرِثُ أَوْصَافًا وَأَحْوَالًا مَوْهُوبَةً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَمُكْتَسَبَةً، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ.

ثم تابع الإمام الشاطبي تقرير ذلك بقواعد يُبنى عليها ما تقدم، وهذه خلاصتها:

- إن جَمِيعَ مَا أُعْطِيَتْهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ مِنَ الْمَزَايَا وَالْكَرَامَاتِ، وَالْمُكَاشَفَاتِ وَالتَّأْيِيدَاتِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْفَضَائِلِ إِنَّمَا هِيَ مُقْتَبَسَةٌ مِنْ مِشْكَاةِ نَبِيِّنَا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَكِنْ عَلَى مِقْدَارِ الِاتِّبَاعِ، فَلَا يَظُنُّ ظانٌّ أَنَّهُ حَصَلَ عَلَى خَيْرٍ بدون وساطة نبوية، كيف وهو السراج المنير الذي يستضيء بِهِ الْجَمِيعُ، وَالْعَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِهِ يُهْتَدَى فِي سُلُوكِ الطَّرِيقِ.[٢]

- وكل خَارِقَةٍ صَدَرَتْ عَلَى يَدَيْ أَحَدٍ، فَإِنْ كَانَ لَهَا أَصْلٌ فِي كَرَامَاتِ الرَّسُولِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وَمُعْجِزَاتِهِ، فَهِيَ صَحِيحَةٌ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا أَصْلٌ، فَغَيْرُ صَحِيحَةٍ، وَإِنْ ظَهَرَ بِبَادِئِ الرَّأْيِ أَنَّهَا كَرَامَةٌ؛ إِذْ لَيْسَ كُلُّ مَا يَظْهَرُ عَلَى يَدَيِ الْإِنْسَانِ مِنَ الْخَوَارِقِ بِكَرَامَةٍ، بَلْ مِنْهَا مَا يَكُونُ كَذَلِكَ، وَمِنْهَا مَا لَا يَكُونُ كَذَلِكَ.[٣]

- لَمَّا ثَبَتَ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَذَّرَ وَبَشَّرَ وَأَنْذَرَ، وَنَدَبَ، وَتَصَرَّفَ بِمُقْتَضَى الْخَوَارِقِ مِنَ الْفِرَاسَةِ الصَّادِقَةِ، وَالْإِلْهَامِ الصَّحِيحِ، وَالْكَشْفِ الْوَاضِحِ، وَالرُّؤْيَا الصَّالِحَةِ، كَانَ مَنْ فَعَلَ مِثْلَ

---

[١] تقدم تخريج الأثر، ص٢٢.

[٢] الشاطبي، الموافقات، ج٢، ص٤٣٨.

[٣] المصدر السابق، ج٢، ص٤٤٤

ذَلِكَ مِمَّنِ اخْتُصَّ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ عَلَى طَرِيقٍ مِنَ الصَّوَابِ، وَعَامِلًا بِمَا لَيْسَ بِخَارِجٍ عَنِ الْمَشْرُوعِ، لَكِنْ مَعَ مُرَاعَاةِ شَرْطِ ذَلِكَ، وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى صِحَّتِهِ زَائِدًا إِلَى مَا تَقَدَّمَ أَمْرَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَدْ عَمِلَ بِمُقْتَضَى ذَلِكَ أَمْرًا وَنَهْيًا، وَتَحْذِيرًا وَتَبْشِيرًا وَإِرْشَادًا، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ أَنَّ ذَلِكَ خَاصٌّ بِهِ دُونَ أُمَّتِهِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْأُمَّةَ حُكْمَهُمْ فِي ذَلِكَ حُكْمُهُ، شَأْنُ كُلِّ عَمَلٍ صَدَرَ مِنْهُ وَلَمْ يَثْبُتْ دَلِيلٌ عَلَى الِاخْتِصَاصِ بِهِ دُونَ غَيْرِهِ، وَيَكْفِي مِنْ ذَلِكَ مَا تَرَكَ بَعْدَهُ فِي أُمَّتِهِ مِنَ الْمُبَشِّرَاتِ، وَإِنَّمَا فَائِدَتُهَا الْبِشَارَةُ وَالنِذَارَةُ الَّتِي يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا الْإِقْدَامُ وَالْإِحْجَامُ.

وَالثَّانِي: عَمَلُ الصَّحَابَةِ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ– بِمِثْلِ ذَلِكَ مِنَ الْفِرَاسَةِ وَالْكَشْفِ وَالْإِلْهَامِ وَالْوَحْيِ النَّوْمِيِّ، كَقَوْلِ عُمَرَ –رضي الله عنه–: "يَا ساريةُ! الجبلَ"[1]، فَاعْمَلِ النَّصِيحَةَ الَّتِي أَنْبَأَ عنها الكشف.[2] ثم تابع تقرير ذلك في المسألة الحادية عشرة، والثانية عشرة، والثالثة.[3]

وبعد هذا التأصيل لمفهوم الوهب والموهبة والإلهام يمكن تعريف الموهبة أنها: كشف من الله تعالى لبعض خلقه، عن شيء من علمه.

وهذا تعريف لعموم مفهوم الموهبة، أما تعريفها من حيث كونها شرط بالمفسر كما نص على ذلك الإمام السيوطي وتبعه جمٌ غفير من العلماء على ذلك، وعرفوها بتعاريف مقتضبة كتعريف السيوطي الذي تقدم، والماتريدي والزركشي والراغب وغيرهم، تبين لي أن التعريف الصحيح للموهبة في التفسير يقوم على ثلاث ركائز، ويدور حول ثلاثة أمور عظيمة هي التعريف العلمي للموهبة.

١- فتح وإلهام وتوفيق من الكريم الرحمن.

٢- لعبد استقام في نفسه.

٣- والتزم بالطرق السديدة في التفسير.

---

(1) الأثر صحيح ثابت، وسيأتي تخريجه مفصلاً في، ص٥٧ في هذا البحث

(2) الشاطبي، الموافقات، ج٢، ص٤٤٦-٤٥٤.

(3) المصدر السابق، ج٢، ص٤٥٧-٤٨٧. ولزيادة التوضيح راجع، الاعتصام، ج١، ص٢٦٠-٢٦٤. ورسالة الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ورسالة قاعدة في المعجزات والكرامات كل منها مطبوع على انفراد، والأولى في مجموع الفتاوى، ج١١، ص٣١١. والثانية فيه أيضاً، ج١١، ص٣١١-٣٦٢. ومدارج السالكين، ج١، ص٤٤-٥٢.

ويمكن أن يقال: إن التعريف يتكون من مقدمتين ونتيجة، أما المقدمتان فهما: استقامة العبد في نفسه، ثم التزامه بالأصول السديدة في تفسير كلام ربه –جل وعلا– وتكون النتيجة لمن سلك هذا المسلك السديد في نفسه وفي تفسيره لكتاب الله –ﷻ– فتح الله –تعالى– له من الفيوضات الإلهية والإلهامات الربانية، ليكون في حالة مَرْضية.

شرح التعريف:

أعني باستقامة العبد في نفسه: ما قاله الإمام الزركشي في البرهان "لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي، ولا يظهر له أسراره، وفي قلبه بدعة أو كبر أو هوى أو حب الدنيا، أو إصرار على ذنب، أو غير متحقق بالإيمان، أو ضعيف التحقيق، وهذه كلها حجب وموانع بعضها آكد من بعض".[١]

من أظلم قلبه بالشبهات والشهوات فهو تعيس مخذول، ولو رام فهم أسرار كلام العزيز الغفور، فهو مغرور مثبور، قال الإمام شيخ الإسلام الفضيل بن عياض: "من استحوذت عليه الشهوات انقطعت عنه مواد التوفيق".[٢]

وسأذكر في الفصل الثالث من هذا البحث نماذج تشيب لها مفارق الولدان من قول أهل الزيغ والخسران، في كلام الكريم المنان –سبحانه وتعالى–.

وأعني بالاستقامة على الأصول السديدة في تفسير كلام الله العظيم: ما قرره أئمتنا الكرام من طرق لفهم كلام الله –عز وجل– وَعدُّوا الخروج عن هذه الطرق زيغ وضلال وحرمان من الفهم، وهو من القول في القرآن بالرأي المنهي عنه، وإليه الإشارة بالحديث الذي أخرجه الإمام الترمذي عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله –ﷺ–: "من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار" وفي رواية أخرى "من قال في القرآن برأيه".[٣]

---

[١] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج٢، ص ١٨٠.

[٢] ابن الجوزي، ذم الهوى، ص ٢٤

[٣] أخرجه أحمد، في المسند، ج١، ص٢٣٣، ٢٦٩، والترمذي في، السنن، باب الذي يفسر القرآن برأيه، ج٥، ص٢٠٠، رقم: (٢٩٥٢)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وهذه هي الطرق السديدة المتفق عليها بين أئمة الهدى باختصار:

أولا: تفسيُر القرآن بالقرآن، وهذا أجل أنواع التفسير وأشرفُها، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله –جل وعلا– من الله –تبارك وتعالى– فالأخذ بذلك هو مقتضى البدهية المقررة، وفوق ذلك هو مقتضى المعلوم من الدين بالضرورة، إذ القرآن الكريم هو الأصل الأول، والعماد المتين لهذا الدين، ولا يمكن تحقق الإيمان دون الأخذ بجميع ما فيه جملة وتفصيلاً.[1]

ثانياً: تفسير القرآن الكريم بالسنة الشريفة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، قال الشافعي: "كل ما حكم به رسول الله –ﷺ– فهو مما فهمه من القرآن". وقال: "والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه، فإن لم تجده فمن السنة، كما قال رسول الله –ﷺ – لمعاذ –رضي الله عنه– حين بعثه إلى اليمن: "بم تحكم؟ قال بكتاب الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: بسنة رسول الله، قال فإن لم تجد؟ قال أجتهد رأيي. فضرب رسول الله –ﷺ– في صدره، وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي الله ورسوله".[2]

ثالثاً: تفسير القرآن الكريم بأقوال الصحابة الكرام –رضي الله عنهم– فهم أخبر الناس بالتنزيل، وأكثرهم عرب خلص حضروا التنزيل، ولهم من الفهم والعلم ما ليس لمن سواهم، هذا فيما ليس لقولهم حكم المرفوع، أما ما له حكم المرفوع فهو ملحق بالرتبة الثانية.[3]

رابعاً: تفسير القرآن الكريم بأقوال التابعين، ولأقوالهم أربعة أحوال:

أولها: ما أجمعوا عليه، يجب الأخذ به لمكان الإجماع.

---

[1] انظر تفصيل ذلك وتوضيحه في: ابن تيمية، دقائق التفسير ج١، ص٧٦. ومجموع الفتاوى، ج١٣، ص٣٦٣. الشنقيطي، أضواء البيان، ج١، ص٣.

[2] أخرجه أحمد، في المسند، ج٥، ص٢٣٦–٢٤٢. والترمذي، في سننه، رقم: ١٣٢٧–١٣٢٨. وأبو داود، في سننه، رقم: ٣٥٩٢–٣٥٩٣. والخطيب، في الفقيه والمتفقه، ج٢، ص١٨٨–١٨٩، وفيه يقرر الخطيب البغدادي صحته لتقبل العلماء له وتلقيه بالقبول، كما هو مسلكهم في نظائره من الأحاديث التي تلقاها الكافة عن الكافة، قال أبو بكر بن العربي في عارضة الأحوذي، ج٤، ص٥٥٦–٥٥٩، والدين القول بصحته فإنه حديث مشهور. وصححه ابن القيم في إعلام الموقعين، ج١، ص٢٠٢ – ٢٠٣. وقد تلقى العلماء هذا الحديث بالقبول، كما في مذكرة أصول الفقه لمحمد أمين الشنقيطي، ص٣٣، وما تلقى بالقبول ينزل منزلة المتواتر وإن كان ضعيفاً كما في فتح المغيث، ج١، ص٢٦٨. والحديث في جامع الأصول، ج١٠، ص١٧٧، رقم: ٧٦٧٣. وكلام الإمام ابن كثير في مقدمة تفسيره، ج١، ص٣–٤.

[3] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٣، ص٣٦٤. وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٣–٤. والزركشي، في البرهان في علوم القرآن، ج٢، ص١٥٧. والسيوطي، في الإتقان في علوم القرآن، ج٤، ص٢٠٨.

ثانيها: ما كان لقولهم حكم الرفع، وذلك إن لم يدرك بالرأي، فيقبل بأحد شرطين:

١- أن يكون قائله من أئمة التفسير الذين أخذوا عن الصحابة الكرام.

٢- أن يتعزز بمرسل أخر (بقول تابعي أخر).[١]

ثالثها: إذا كان لقول التابعي في تفسير كلام الله -جل وعلا- حكم المرسل لكن لم يتعزز بمرسل آخر، ولم يكن قائله من أئمة التفسير الذين أخذوا تفسيرهم عن الصحابة الكرام، فهو أيضاً حجة عند جمهور العلماء، منهم أبو حنيفة، ومالك، وأحمد، قال الطبري: "أجمع التابعون بأسرهم على قبول المرسل، ولم يأت عنهم إنكاره، ولا عن أحد من الأئمة بعدهم إلى رأس المائتين". قال ابن عبد البر: "كأنه يعني أن الشافعي أول من رده".[٢]

رابعها: أن يكون قولهم في التفسير على خلاف ما تقدم من الأحوال الثلاثة، فهذا ليس حجة على غيرهم على الصحيح. نقل ابن كثير عن شعبة بن الحجاج أنه قال: "أقوال التابعين في الفروع ليست حجة، فكيف تكون حجة في التفسير؟ يعني: أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم، وهذا صحيح، ثم قال: فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض، ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن، أو السنة، أو عموم لغة العرب، أو أقوال الصحابة في ذلك".[٣]

خامساً: تفسير القرآن الكريم باللسان العربي المبين، فهو لسانهم بيقين، وبه نزل القرآن الحكيم، ومعرفة اللغة العربية، معنى وإعراباً وأسلوباً، شرط لازم فيمن يريد تفسير كلام الله الكريم. قال مفسر التابعين مجاهد بن جبر -رحمه الله-: "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الأخر أن يتكلم في كتاب الله -جل وعلا- إذا لم يكن عالماً بلغات العرب"[٤] وقال الأصمعي: "تعلموا النحو، فإن بني إسرائيل كفروا بكلمة واحدة، كانت مشددة فخففوها، قال الله -جل وعلا-: (يا عيسى إني ولّدْتك) فقرأوا: (يا عيسى إني ولدتك) مخففاً فكفروا".[٥]

---

[١] السيوطي، الإتقان، ج١، ص١١٧. تدريب الراوي، له أيضاً، ص١١٦.

[٢] السيوطي، تدريب الراوي، ص١٢٠. وكلام الإمام الشافعي في شروط قبول المرسل، في: الشافعي، الرسالة، ص٤٦١-٤٦٤.

[٣] انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٤-٥، وهو مأخوذ من مقدمة شيخه ابن تيمية في التفسير بالحرف، انظر ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٣، ص٣٦٨ فما بعدها. ودقائق التفسير، ج١، ص٨١-٨٢.

[٤] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج١، ص٢٩٢.

[٥] ابن حبان، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص٢٢١.

وهذا عينه وقع مع من ضل من هذه الأمة، ممن يسمون أنفسهم بقراء معاصرين وحداثيين ومن لف لفهم، فقد جهلوا اللغة العربية، والآثار الشرعية، وطالبوا بتطبيق المناهج الغربية، لفهم وتأويل النصوص الشرعية، فكفروا برب البرية. قال الإمام الشافعي –رحمه الله– "إن عامة من تزندق بالعراق لجهلهم بالعربية ولغات العرب"[١] وقال الإمام مالك –رحمه الله–: "لا أوتى برجل غير عالم بلغات العرب يفسر كلام الله –جل وعلا– إلا جعلته نكالاً"[٢] وعلق الإمام الواحدي –رحمه الله– في مقدمة تفسيره البسيط على الأثار المتقدمة بقوله: "وكيف يتأتى لمن جهل لسان العرب أن يعرف تفسير كتاب جعل معجزة –في فصاحة ألفاظه وبعد أغراضه– لخاتم النبيين وسيد المرسلين –ﷺ– في زمان أهلُه يتحلون بالفصاحة ويتحدون بحسن الخطاب وشرف العبارة، وإن مثل من طلب ذلك مثل من شهد الهيجاء بلا سلاح، ورام أن يصعد الهواء بلا جناح".[٣]

سادساً: تفسير كلام الله المجيد بالاجتهاد السديد، هو ما أعنيه بالشرط الثالث من شروط الموهبة، أو النتيجة التي تعقب المقدمتين، فمن توفر فيه شرط الاستقامة في نفسه ثم الاستقامة على أصول التفسير، وعرضت له آية في كتاب الله فبحث عن معناها في كتاب الله ثم في كلام خير خلق الله –ﷺ– ثم في كلام صحب رسول الله –رضي الله عنهم– ثم في كلام تلاميذهم من التابعين الكرام، ولم يأل وسعه في البحث ولم يجد، فاستعمل رأيه واجتهد، فسيفتح عليه ويفاض على قلبه ويكشف عن بصيرته، فما تزال بركات كتاب الله الجليل، على كل جيل، ولا يحيط بأسرار التنزيل إلا اللطيف الخبير، فعلم التفسير لم يحترق، بل لم ينضج بيقين، وسيبقى كذلك إلى يوم الدين.[٤]

وهذا النوع من التفسير متفق على جوازه وحسنه، بشرط المحافظة على ما تقدم من الأمور الخمسة، فهو نتيجة التدبر الذي حث الله تعالى عليه في قوله –عز وجل–:{كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ}[ص:٢٩] وقوله –جل وعلا–: {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا}[النساء:٨٢] وهو نتيجة الاستنباط الذي اختص الله به أهل العلم الموهوبين، وأمرنا برد ما أشكل علينا إليهم، قال –جل وعلا–: {وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ

---

[١] الواحدي، التفسير البسيط، ج١، ص٤٠٨-٤٠٩.

[٢] المرجع السابق، ج١، ص٤١١.

[٣] الواحدي، التفسير البسيط، ج١، ص٤١١.

[٤] ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار شرح متن تنوير الأبصار، ج١، ص٤٩.

لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلا}[النساء:٨٣] وقد دعا النبي -ﷺ- لابن عباس -رضي الله عنهما- بقوله: "اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل"[١]، ولا يتعارض هذا مع ما ثبت عن نبينا -ﷺ- أنه قال: "من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار" وفي رواية: "من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار"[٢]، لأن ذلك فيمن تكلم برأيه وهواه من غير علم، أما من استنبط معناه بحمله على الأصول المتفق عليها فهو ممدوح.[٣]

وهذه باختصار الطرق السديدة التي اتفق عليها أئمة الخير والهدى لمن تصدى للقول في كتاب الله والشروع فيه، والخروج عنها زيغ وضلال وحرمان من التوفق والإلهام.

فإن تحقق هذان الأمران في العبد، وأشكل عليه أمر لابد وأن يفتح عليه، ويلهم الصواب والرأي السديد مصداقاً لقوله تعالى:{وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا} [الطلاق:٢] قال ابن كثير: "يجعل له مخرجا أي: مخرجا من كل شيء ضاق على الناس".[٤]

أوجه الاشتراك والمباينة بين المعنى الشرعي وما سبقه:

قلت: الاشتراك واضح بين المعنى اللغوي والتربوي والشرعي، وهو أن الموهبة عطية من الله الوهاب لأناس مخصوصين، إلا أن معنى الوهب في اللغة يشمل جميع ما يهبه الله لعباده سواء العقلي أو البدني أو الحياتي فهو أشمل وأعم، وأما علماء التربية وعلم النفس فقد خصوا الوهب بالذكاء، والتفوق العقلي الذي يميز الطفل منذ صغره، ويتفوق به على أقرانه.

---

[١] أخرجه أحمد، في المسند، ج١، ص٢٦٦، ٣١٤، ٣٢٨، ٣٣٥، والحاكم، في المستدرك، ج٣، ص٥٣٤، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. قال ابن عبد البر، في "الاستيعاب في معرفة الأصحاب" مطبوع على هامش الإصابة، ج٢، ص٣٥٥، "روي عن النبي -ﷺ- من وجوه أنه قال لعبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-: اللهم علمه الحكمة، وتأويل القرآن، وفي بعض الروايات: اللهم فقه في الدين، وعلمه التأويل، وفي حديث آخر: اللهم بارك فيه، وانشر منه، واجعله من عبادك الصالحين. وفي حديث آخر: اللهم زده علماً وفقهاً، وكلها أحاديث صحاح.

[٢] سبق تخريجه، ص٣٢.

[٣] كما في مقدمة ابن عطية، المحرر الوجيز، ج١، ص٢٩. والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١، ص٣٢. وغيرهما من كتب التفسير وعلوم القرآن.

[٤] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٨، ص١٤٦.

وأما المعنى الشرعي للموهبة فهو موافق لما تقدم من تعريف الموهبة عن أهل اللغة وعلماء التربية من وجه ومباين له من وجه آخر، فأما الموافقة: فمن حيث أن الموهبة هي عطية من الله سبحانه وتعالى ومنة منه يتفضل بها على بعض عباده المتقين، ممن تتحقق فيه صفات الموهوب.

وأما المباينة: فإن الموهبة في علوم الشريعة عامة، وعلم التفسير خاصة: هو فتح من الله على عبده وتوفيق له بسبب قيامه بأسبابه الشرعية كتقوى الله، والعمل الصالح، وتحصينه بعلوم الآلة التي تعتبر مفاتيح لفهم القرآن، ثم اجتنابه لبدع القول والفعل، والتنزه عن الكبائر وعدم الإصرار على الصغائر، قال تعالى:{سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ}[الأعراف:١٤٦] قال ابن عيينة: "أنزع عنهم فهم القرآن"[١] وقال الزركشي في البرهان: "اعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَحْصُلُ لِلنَّاظِرِ فَهْمُ مَعَانِي الْوَحْيِ وَلَا يَظْهَرُ لَهُ أَسْرَارُهُ وَفِي قَلْبِهِ بِدْعَةٌ أَوْ كِبْرٌ أَوْ هَوَى أَوْ حُبُّ الدُّنْيَا أَوْ وَهُوَ مُصِرٌّ عَلَى ذَنْبٍ أَوْ غَيْرُ مُتَحَقِّقٍ بِالْإِيمَانِ أَوْ ضَعِيفُ التَّحْقِيقِ أَوْ يَعْتَمِدُ عَلَى قَوْلِ مُفَسِّرٍ لَيْسَ عِنْدَهُ عِلْمٌ أَوْ رَاجَعٌ إلَى مَعْقُولِهِ وَهَذِهِ كُلُّهَا حُجُبٌ وَمَوَانِعُ بَعْضُهَا آكَدُ مِنْ بَعْضٍ".[٢]

ولابد من الإشارة والتنبيه إلى أن الموهبة بهذا المفهوم الشرعي تخالف ما عليه علماء التربية وعلم النفس من تعريفهم للموهبة وربطها بالذكاء، لأن الذكاء بحد ذاته من غير موهبة تامة، ليس لصاحبه أفضلية بل قد تكون وبالاً عليه عند تفسيره للقرآن كما سأبين في الفصل الثالث من هذا البحث بحول الله تعالى.

والذكاء يعطى للمؤمن وغيره وللتقي والفاجر، قال ابن حجر في ترجمة أبي الحسن بن الراوندي: "الزنديق الشهير كان أولاً من متكلمي المعتزلة ثم تزندق واشتهر بالإلحاد وقيل أنه كان لا يستقر على مذهب ولا يثبت على شيء، ويقال كان غاية في الذكاء وقد صنف كتباً كثيرة يطعن فيها على الإسلام"[٣] وبعد أن ترجم الإمام ابن كثير لأبي العلاء المعري قال –رحمه الله–: "وقد كان ذكيا، ولم يكن زكيا، وله مصنفات كثيرة أكثرها في الشعر، وفي بعض أشعاره ما يدل على زندقته، وانحلاله من الدين".[٤]

---

[١] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج١٣، ص١١٢.

[٢] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج٢، ص١٨٠.

[٣] ابن حجر، لسان الميزان، ج١، ص٣٢٤.

[٤] ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٩٢.

فذكاء هؤلاء لم يمنعهم من الضلال، لأنهم سُلبوا الموهبة، والتاريخ حافل بعلماء غاية في الذكاء والفطنة لكنهم زلوا وضلوا في علوم الشريعة، ولم يحجزهم ذكاؤهم وفطنتهم عن الكذب على الله، أو الطعن في دين الله، وسأذكر نماذج لأولئك الأذكياء الأشقياء وضلالهم في تفسير كلام رب الأرض والسماء، في الفصل الثالث بحول الله تعالى.

كما يجب التنبيه إلى أن الموهبة بهذا المعنى الشرعي تخالف ما عليه أهل التصوف من تسمية علومهم ومكاشفاتهم بالعلم اللدني والوهب الرباني من غير طريق التقوى والعلم، بل هي مباشرة من الله عن طريق الإلهام.

قال ابن عجيبة في تفسيره البحر المديد: "العلم اللدني: هو الذي يفيض على القلب من غير اكتساب ولا تعلم، وذلك بعد تطهير القلب من النقائص والرذائل، وتفرغه من العلائق والشواغل، فإذا كمل تطهير القلب، وانجذب إلى حضرة الرب، فاضت عليه العلوم اللدنية، والأسرار الربانية، منها ما تفهمها العقول وتدخل تحت دائرة النقول، ومنها ما لا تفهمها العقول ولا تحيط بها النقول، بل تُسلم لأربابها، من غير أن يقتدى بهم في أمرها، ومنها ما تفيض عليهم في جانب علم الغيوب كمواقع القدر وحدوث الكائنات المستقبلة، ومنها ما تفيض عليهم في علوم الشرائع وأسرار الأحكام، ومنها في أسرار الحروف وخواص الأشياء، إلى غير ذلك من علوم الله تعالى".[1]

ولا يخفى ما في هذا الكلام من الخطأ والشطط فالعلم اللدني والوهب والكشف –جميع هذه الأمور– لا يسلم لها في جميع ما تأتي به، لأنها ليست معصومة ولم تأت بالطريقة الشرعية المكتسبة، والتي لا يكفي معها طهارة القلب وصفاء النفس، بل بعلم يكتسب مع عبودية تامة لله تعالى على منهاج رسوله –ﷺ– قال ابن القيم: "وَالْعِلْمُ اللَّدُنِّيُّ ثَمَرَةُ الْعُبُودِيَّةِ وَالْمُتَابَعَةِ، وَالصِّدْقِ مَعَ اللَّهِ، وَالْإِخْلَاصِ لَهُ، وَبَذْلِ الْجُهْدِ فِي تَلَقِّي الْعِلْمِ مِنْ مِشْكَاةِ رَسُولِهِ، وَكَمَالِ الِانْقِيَادِ لَهُ، فَيَفْتَحُ لَهُ مِنْ فَهْمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِأَمْرٍ يَخُصُّهُ بِهِ، كَمَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– وَقَدْ سُئِلَ هَلْ خَصَّكُمْ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِشَيْءٍ دُونَ النَّاسِ؟ فَقَالَ: لَا وَالَّذِي فَلَقَ

[1] ابن عجيبة، البحر المديد، ج٣، ص٢٨٨.

الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسْمَةَ. إِلَّا فَهْمًا يُؤْتِيهِ اللَّهُ عَبْدًا فِي كِتَابِهِ.[1] فَهَذَا هُوَ الْعِلْمُ اللَّدُنِّيُّ الْحَقِيقِيُّ، وَأَمَّا عِلْمُ مَنْ أَعْرَضَ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَلَمْ يَتَقَيَّدْ بِهِمَا: فَهُوَ مِنْ لَدُنِ النَّفْسِ وَالْهَوَى، وَالشَّيْطَانِ، فَهُوَ لَدُنِّيٌّ. لَكِنْ مِنْ لَدُنْ مَنْ؟ وَإِنَّمَا يُعْرَفُ كَوْنُ الْعِلْمِ لَدُنِّيًّا رَحْمَانِيًّا: بِمُوَافَقَتِهِ لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ. فَالْعِلْمُ اللَّدُنِّيُّ نَوْعَانِ: لَدُنِّيٌّ رَحْمَانِيٌّ، وَلَدُنِّيٌّ شَيْطَانِيٌّ بَطْنَاوِيٌّ. وَالْمَحَكُّ: هُوَ الْوَحْيُ. وَلَا وَحْيَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–".[2]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وَأَمَّا الْعِلْمُ اللدني فَلَا رَيْبَ أَنَّ اللَّهَ يَفْتَحُ عَلَى قُلُوبِ أَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ وَعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ بِسَبَبِ طَهَارَةِ قُلُوبِهِمْ مِمَّا يَكْرَهُهُ وَاتِّبَاعِهِمْ مَا يُحِبُّهُ مَا لَا يَفْتَحُ بِهِ عَلَى غَيْرِهِمْ" ثم قال: "وَالنَّاسُ فِي هَذَا الْبَابِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ طَرَفَانِ وَوَسَطٌ، فَقَوْمٌ يَزْعُمُونَ أَنَّ مُجَرَّدَ الزُّهْدِ وَتَصْفِيَةِ الْقَلْبِ وَرِيَاضَةِ النَّفْسِ تُوجِبُ حُصُولَ الْعِلْمِ بِلَا سَبَبٍ آخَرَ، وَقَوْمٌ يَقُولُونَ: لَا أَثَرَ لِذَلِكَ بَلْ الْمُوجِبُ لِلْعِلْمِ الْعِلْمُ بِالْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ أَوْ الْعَقْلِيَّةِ، وَأَمَّا الْوَسَطُ: فَهُوَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ مُعَاوَنَةً عَلَى نَيْلِ الْعِلْمِ؛ بَلْ هُوَ شَرْطٌ فِي حُصُولِ كَثِيرٍ مِنْ الْعِلْمِ وَلَيْسَ هُوَ وَحْدَهُ كَافِيًا".[3]

وقد رد الإمام ابن القيم على تعريف الصوفية (للعِلْمُ اللَّدُنِّيُّ) بأنه: الْعِلْمُ الَّذِي يَقْذِفُهُ اللَّهُ فِي الْقَلْبِ إِلْهَامًا بِلَا سَبَبٍ مِنَ الْعَبْدِ، وَلَا اسْتِدْلَالٍ، بقوله: وَنَحْنُ نَقُولُ: "إِنَّ الْعِلْمَ الْحَاصِلَ بِالشَّوَاهِدِ وَالْأَدِلَّةِ: هُوَ الْعِلْمُ الْحَقِيقِيُّ، وَأَمَّا مَا يَدَّعِي حُصُولَهُ بِغَيْرِ شَاهِدٍ وَلَا دَلِيلٍ: فَلَا وُثُوقَ بِهِ، وَلَيْسَ بِعِلْمٍ".[4]

---

[1] تقدم تخريج أثر سيدنا علي –رضي الله عنه– في، ص١٤.

[2] ابن القيم، مدارج السالكين، ج٢، ص٤٤٦.

[3] ابن تيمة، مجموع الفتاوى، ج١٣، ص٢٤٥.

[4] ابن القيم، مدارج السالكين، ج٣، ص٣٩٩.

المبحث الثاني

أدلة الموهبة

سأُحصي في هذا المبحث أدلة الموهبة من الآيات الكريمات، وتوجيه المفسرين الكرام لها، والآثار الواردة عن النبي المختار –ﷺ– وكلام سلف الأمة من صحابة كرام، وأئمة أعلام.

وبما أن مفهوم الموهبة يتكون من ثلاثة عناصر أساسية وهي: الاستقامة في النفس، والاستقامة على الطرق السديدة في التفسير، وما يترتب على هذين الأمرين من تسديد وفتح وإلهام، فلابد وأن يكون الاستدلال لكل عنصر حتى تتضح الصورة أكثر، وأسأل الله التوفيق والسداد.

وأستهل الاستدلال على الموهبة بآية في كتاب الله –جل وعلا– هي الأصل في الدلالة على الموهبة، حيث حوت الدلالة على الموهبة بعناصره الأساسية الثلاثة، وهي قوله –تعالى–:{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}[العنكبوت:٦٩] فهذه الآية الكريمة تدل دلالة واضحة على مفهوم الموهبة بالمعنى المتقدم، وأنه لا بد للحصول على الموهبة من مجاهدة للنفس بتقوى الله، والإقبال عليه بالطاعات، والابتعاد عن المعاصي والمنكرات، والبدع المحدثة، فتحصل الاستقامة في النفس فتتزكى وتتطهر، ثم المجاهدة بكسب العلوم الشرعية التي تساعد المرء على سلوك الطريق الصحيح لفهم كتاب الله –عز وجل– وتأويله، فتحصل الاستقامة على الطرق السديدة للقول في كتاب الله والشروع فيه، وتكون نتيجة ذلك توفيق، وهداية، وإلهام وتسديد من الله المجيد.

ويتأكد هذا المعنى المتقدم إذا علمنا أن جل المفسرين الكرام، قد اتفقوا على أن هذه الآية التي ذكر فيها الجهاد نزلت قبل أن يفرض الجهاد بسنين، قال ابن عطية –رحمه الله–: "فهي قبل الجهاد العرفي وإنما هو

جهاد عام في دين الله وطلب مرضاته"[١] وقال النسفي "أطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول، ليتناول كل ما يجب مجاهدته، من النفس الأمارة بالسوء، والشيطان وأعداء الدين".[٢]

وأنكر ابن جزي على من قال إن الجهاد هنا هو القتال، قال: "وذلك ضعيف لأن القتال لم يكن مأموراً به حين نزول الآية".[٣]

ولا ريب أن مجاهدة النفس وتطويعها لأمر الله وابتغاء مرضاته، وقسرها على التحصن بالعلم الشرعي، من أصعب أنواع الجهاد وأشقه على العبد المؤمن، قال -ﷺ- "الْمُجَاهِدُ من جَاهَدَ نَفْسَهُ في طَاعَةِ اللَّهِ عز وجل".[٤]

بل إن هذا الجهاد الداخلي للنفس والهوى، مقدم على جهاد العدو الخارجي، وشرط للانتصار عليه، يقول الإمام ابن القيم -رحمه الله-: "جهاد النفس مقدم على جهاد العدو في الخارج وأصلا له، فإنه ما لم يجاهد نفسه أولاً لتفعل ما أمرت به، وتترك ما نهيت عنه، ويحاربها في الله لم يمكنه جهاد عدوه في الخارج، فكيف يمكنه جهاد عدوه والانتصاف منه، وعدوه الذي بين جنبيه قاهر له متسلط عليه! لم يجاهده! ولم يحاربه في الله! بل لا يمكنه الخروج إلى عدوه حتى يجاهد نفسه على الخروج"[٥] وقال أيضاً: "سمعت شيخنا -أي ابن تيمية- يقول: "جهاد النفس والهوى أصل جهاد الكفار والمنافقين، فإنه لا يقدر على جهادهم حتى يجاهد نفسه وهواه أولا".[٦]

وإن من أهم ما يفسد نفس المؤمن، ويحرمها التوفيق، ويفتح عليها باب الخذلان، أن يتركها سائرة وراء هواها وشهوتها وملذتها، دون ما مجاهدة وتوجيه لما فيه خير لها في الدنيا والآخرة، وهذا المعنى الذي أشارت إليه الآية، يتعلق بالمحور الأول لمفهوم الموهبة، الاستقامة في النفس.

---

[١] ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٤، ص ٣٢٦.

[٢] النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج٢، ص٦٨٧.

[٣] ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج٢، ص١٢٩.

[٤] خرج الأثر أحمد، المسند ج٣٩، ص٣٨٦، رقم: ٢٣٩٦٥. والترمذي، السنن رقم: ١٦٢١، وقال عنه: حديث حسن صحيح. وهو في جامع الأصول، رقم: ٧١٦٨.

[٥] ابن القيم، زاد المعاد، ج٣، ص٦.

[٦] ابن القيم، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص٤٧٨.

وكذلك تدل الآية الكريمة دلالة واضحة على المحور الثاني من محاور تعريف الموهبة ألا وهو – الاستقامة على الطرق السديدة في التفسير– والتي لا تحصل للمفسر إلا بمجاهدة النفس، وقسرها على طلب العلم والعمل به، وإلا كان ممن يقول في القرآن برأيه، ويلحقه وعيد النبي –ﷺ– "من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار"[١] قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– في شرح هذا الحديث: "فمن قال في القرآن برأيه، فقد تكلف ما لا علم له به، وسلك غير ما أُمِر به، فلو أنه أصاب المعنى في نفس الأمر لكان قد أخطأ، لأنه لم يأتِ الأمر من بابه، كمن حكم بين الناس على جهل فهو في النار، وإن وافق حكمه الصواب"[٢] ولا يكون تحصيل العلم إلا بجهاد ومشقه، قال الإمام الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: "وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَ الْعَمَلِ بِهِ" وَقَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: "وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِي إِقَامَةِ السُّنَّةِ لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَ الْجَنَّةِ"[٣] ولهذا المعنى المتقدم أشار جل المفسرين الكرام –رحمهم الله ورضي عنهم– فقد روى الإمام ابن أبي حاتم في تفسيره أثراً بسنده عن أحمد بن أبي الحواري قال:{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِين} [العنكبوت:٦٩] هم الذين يعملون بما يعلمون، يهديهم لما لا يعلمون".[٤]

وأورد الإمام السيوطي أثراً عن عبيدِ اللَّهِ بنِ عمرَ أنَّ عمرَ بنَ الخطابِ –رضي الله عنهما– سألَ عبدَ اللَّهِ بنَ سلامٍ: "مَنْ أربابُ العلم؟ قال: الذين يعملونَ بما يعلمُونَ".[٥]

وفي تفسير الإمام القرطبي عن عبد الله بن الزبير –رضي الله عنه– قال: تقول الحكمة: "من طلبني فلم يجدني فليطلبني في موضعين: أن يعمل بأحسن ما يعلمه ويجتنب أسوأ ما يعلمه"

وأختم الكلام بالأثر الذي نقله الإمام القرطبي للخليفة العادل سيدنا عمر بن عبد العزيز –رضي الله عنه ورحمه– قال: "إنما قصر بنا عن علم ما جهلنا تقصيرنا في العمل بما علمنا، ولو عملنا ببعض ما علمنا لأورثنا علما لا تقوم به أبداننا".[٦]

---

[١] سبق تخريجه، ص٣٢.

[٢] ابن تيمية، مجموع الفتوى، ج١٣، ص٣٧١.

[٣] أورد الأثرين السابقين البغوي، في تفسيره ج٣، ص ٥٦٨، والنسفي في تفسيره ج٢، ص٦٨٧.

[٤] ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ٩، ص٣٠٨٤.

[٥] السيوطي، الدر المنثور، ج٢، ص١٢٣.

[٦] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٣، ص٣٦٥.

لقد نزلت هذه الآية الكريمة قبل تشريع الجهاد الذي هو قتال الكفار، لتهيئة النفوس المؤمنة لتحمل مشقة طلب العلم، وجهادها في طلب العلم والعمل به، ولقد فهم الصحابة الكرام –رضي الله عنهم– وتابعوهم بإحسان هذا المعنى وطبقوه كما سطرته لنا صحائف التاريخ من صور صبرهم وجلدهم في طلب العلم، فقصص الصحابة في جهادهم وجلدهم في طلب العلم والعمل به قد استفاضت واشتهرت عن العامة والخاصة، سيما كبار الصحابة منهم، وأكتفي بذكر قصة صحابي كان صغير السن عند وفاة النبي –ﷺ– واكتمال الدين، فجاهد نفسه في طلب العلم حتى صار بمصاف كبار الصحابة الكرام، وكان كبار الصحابة يرجعون إليه في أمورهم فيفتيهم فيها، إنه الصحابي الجليل عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما– كان طفلًا في حياة النبي –ﷺ– وتوفي النبي –ﷺ– ولم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره، وقد ترجم له الذهبي بقوله: "حبر الأمة، وفقيه العصر، وإمام التفسير"[1] وستأتي ترجمته مفصلة مع ذكر موهبته في فهم القرآن العظيم، ضمن نماذج من تفسير الموهوبين، في الفصل الثاني من هذا البحث.

ومما تقدم أستطيع أن أقول: إن هذه الآية تعد الأصل في الاستدلال على الموهبة، لأن دلالتها شملت جميع مفهوم الموهبة من حيث مجاهدة النفس بالاستقامة على أمر الله، ومجاهدة النفس في تحصيل العلم الشرعي الذي يحصل منه الاستقامة في تفسير كتاب الله، وبما يترتب على هذين من تسديد وإلهام.

كما يمكن الاستدلال بقوله تعالى:{يِا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيم}[الأنفال:٢٩] على صحة اشتراط الاستقامة في النفس للحصول على الموهبة: فالله سبحانه وتعالى علق شرط الحصول على الفرقان بالتقوى فقال مخاطباً أهل الإيمان: {يِا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً} [الأنفال:٢٩] قال: الطبري –رحمه الله– "إن تتقوا الله بطاعته وأداء فرائضه، واجتناب معاصيه، وترك خيانته وخيانة رسوله وخيانة أماناتكم يجعل لكم فرقانًا".[2]

---

[1] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٣٣١.

[2] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج١٣، ص٤٨٧.

والفرقان شامل لخمسة أمور حسان كما يفهم من تفسير أئمتنا الموهوبين الكرام وهي:

١. بصيرة عند الشبهات. ٢. عزيمة عن الشهوات. ٣. فتح وتوفيق عند المشكلات. ٤. فرج عند الشدائد والكربات. ٥. علو ونصر على أهل الكفر والضلالات.

علق الإمام ابن كثير على هذه الآية بعد سرده للأقوال الواردة في تفسيرها بقوله: "فإن من اتقى الله بفعل أوامره وترك زواجره، وفق لمعرفة الحق من الباطل".[١]

وقد أجاد الرازي وأفاد حين بين العلاقة بين تقوى الله وحصول الفرقان للعبد المؤمن قال: "هذه القضية شرطية، شرطها شيء واحد، وهو تقوى الله تعالى، وذلك يتناول اتقاء الله في جميع الأمور، فأما الجزاء المرتب على هذا الشرط الفرقان، والفرقان إما أن يعتبر في أحوال الدنيا، أو في أحوال الآخرة، أما في أحوال الدنيا، فإما أن يعتبر في أحوال القلوب وهي الأحوال الباطنة، أو في الأحوال الظاهرة، أما في أحوال القلوب فأمور:

أحدها: أنه تعالى يخص المؤمنين بالهداية والمعرفة.

وثانيها: أنه يخص قلوبهم وصدورهم بالانشراح، كما قال –سبحانه وتعالى–: {أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ } [الزمر:٢٢].

وثالثها: أنه يزيل الغل والحقد والحسد عن قلوبهم ويزيل المكر والخداع عن صدورهم، مع أن المنافق والكافر يكون قلبه مملوءاً من هذه الأحوال الخسيسة والسبب في حصول هذه الأمور أن القلب إذا صار مشرقاً بطاعة الله تعالى زالت عنه كل هذه الظلمات لأن معرفة الله نور، وهذه الأخلاق ظلمات، وإذا ظهر النور فلا بد من زوال الظلمة، فإذا اتقى العبد ربه وترك الشبهات جعل له بين الحق والباطل فرقاناً، ورزقه فيما يريد من الخير إمكانا".[٢]

---

[١] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص ٤٣.

[٢] الرازي، التفسير الكبير، ج١٥، ص٤٧٦.

وعلق الإمام ابن جزي –رحمه الله– على تلك الآية بقوله: "وذلك دليل على أن التقوى تُنور القلب، وتشرح الصدر، وتزيد في العلم والمعرفة".[1]

ودلالة هذه الآية على مفهوم الموهبة واضح بين، حيث إن الفرقان الذي هو بمعنى الفتح والإلهام والتوفيق والسداد لإصابة الحق في الأمور المشتبهة، لا يحصل للمرء بدون تقوى الله ومراقبة للنفس، وبدونهما يوكل المرء إلى نفسه، ويتخلى الله عنه، فيتخبط بضلاله، إما بعلم كحال بلعام بن باعوراء[2] الذي أضله الله على علم، أو بغير علم كحال من يقول في زمننا بغير علم من الحداثيين ومن لف لفهم.

والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً فمن اتصل بالله –عز وجل– قذف الله في قلبه نوراً يرى به الحق حقاً، والباطل باطلاً، قال –سبحانه–: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ}[الحديد:٢٨] قال مجاهد:"{وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا}[الحديد:٢٨] هُوَ الْهُدَى وَالْبَيَانُ، أَيْ يَجْعَلْ لَكُمْ سَبِيلًا وَاضِحًا فِي الدِّينِ تَهْتَدُونَ بِهِ"[3] فهذا الهدى والنور الذي يضيء للمسلم دربه ويبصره لما يشكل عليه لا يمكن الحصول عليه بغير تقوى، وإيمان بالله ورسله.

---

[1] ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ج١، ص٣٢٥.

[2] قال ابن كثير في تفسيره، ج٣، ص٤٦٠، عند قوله تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا}[الأعراف:١٧٥] "هو بلعام ويقال بلعم بن باعوراء كَانَ يَسْكُنُ قَرْيَةً مِنْ قُرَى الْبَلْقَاءِ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ يَعْرِفُ اسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمَ فَانْسَلَخَ مِنْ دِينِهِ لَهُ ذِكْرٌ فِي الْقُرْآنِ" ثُمَّ أَوْرَدَ من شيئاً من أخباره.

[3] البغوي، معالم التنزيل، ج٥، ص٣٦.

المبحث الثالث

مكانة الموهبة والصلة بينه وبين العصمة

سأبين في هذا المبحث مكانة الموهبة وأثرها على العالِم وعلْمِه، وانعكاساته على علوم الشريعة، ثم أوضح الفرق بين عصمة النبي –على نبينا وأنبياء الله صلوات الله وسلامه– وإلهام الولي.

أولا: إن للموهبة مكانة عظمية، وأثراً كبيراً في العلوم الإسلامية وسعة انتشارها، وكان للعلماء الموهوبين من كل جيل الدورُ الأكبرُ والأبرزُ في تقرير مسائل الشريعة، وتقعيدِ القواعد والكشف عن أسرار الشريعة، وبدائعِ المحتوى القرآني، وإزالةِ اللبس والتعارضِ الحاصلِ في عقول بعض البشر حول الشريعة.

وقد برز في كل جيل علماء أفذاذ موهوبون ملهمون فاقوا أقرانهم، وكان لهم الفضل على من بعدهم، فمع بدء نزول القران، وبدء اختلاف الأفهام في جيل الصحابة الكرام، برز أولئك الموهوبون الملهمون بآرائهم وأقولهم في تفسير القرآن، وفي القضاء والفتيا وحتى في السياسة والحرب.

ويجدر بنا الوقوف على هذا الجيل الأول في مرحلته الأولى وهي: المرحلة التي كان فيها المشرع موجوداً، وكان الوحي مازال ينزل، حيث ظهرت فيه أهمية الموهبة ومكانتها، لأن المشرع مازال موجوداً، والوحي لايزال ينزل، ويقر هؤلاء الصحابة الموهوبين فيما ذهبوا إليه من رأي، وبما فتح عليهم من فهم، فهذا رسول الله –ﷺ– يرفع من الركوع ويقول: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، فيسمع أحد الصحابة الكرام يقول: رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، فيقول –عليه الصلاة والسلام– من المتكلم آنفا ؟ فيقول: أَنَا، فيقول له –ﷺ–: "رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلَاثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا، أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ"[1] حتى إنك لتقول في بعضهم: إن قوله قول نبي إلا أنه لا يوحي إليه،[2] وقد ورد في الأثر عن عبد الله بن عمرو بن العاص –رضي الله عنهما– أنه قال: "مَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ فَقَدْ

---

[1] أخرج الأثر البخاري، الصحيح، ج٢، ص ٢٨٤، رقم: ٧٩٩. والحديث في الموطأ، ج١، ص٢١١. وسنن أبي داود، رقم: ٧٧٠–٧٧٣. وسنن الترمذي، رقم: ٤٠٤. وهو في جامع الأصول، رقم: ٢١٤٨–٧١٢٩.

[2] روي في الأثر، موقوفاً على عبد الله بن عمرو "مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَقَدْ أُدْرِجَتِ النُّبُوَّةُ بَيْنَ جَنْبَيْهِ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يُوحَى إِلَيْه" رواه ابن أبي شيبة في المصنف، ج٦، ص١٢٠، رقم: ٢٩٩٥٣.

حَمَلَ أَمْرًا عَظِيمًا، وَقَدِ اسْتُدْرِجَتِ النُّبُوَّةُ بَيْنَ جَنْبَيْهِ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يُوحَى إِلَيْهِ"[١] بل وصل الأمر بهؤلاء الموهبين من الصحابة الكرام حد الفتيا بوجود النبي –ﷺ– وكان يقرهم فيما ذهبوا إليه من قول لثقته بموهبتهم، أخرج ابن سعد في طبقاته عن ابن عمر –رضي الله عنهما–: أنه سئل من كان يفتي الناس في زمن رسول الله –ﷺ–؟ فقال: "أبو بكر وعمر –رضي الله عنهما– وفي رواية أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ومعاذ بن جبل، وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم –رضي الله عنهم– جميعا" [٢]، فهذا وغيره يبين مكانة الموهوب في كل جيل.

وقد كان الصديق أبو بكر –رضي الله عنه– أكثرَ صحابةِ رسول الله –ﷺ– علماً وفهماً وحزماً، يؤكد ذلك حينما قدمه رسول الله –ﷺ– إماما للصلاة، وأوقفه في الموقف الذي كان يقف به هو أمام المسلمين، وبين يدي الله رب العالمين، وتحقيقاً لقوله –ﷺ–: "يَؤُمُّ القومَ أقرؤهم"[٣] كما أن الرؤيا التي رآها رسول الله –صلى الله عليه وسلم– دلت على علمه –رضي الله عنه– فعن عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله –ﷺ–: "رأيت كأني أُعطيت عساً مملوءً لبناً، فشربت منه حتى تملأت، فرأيتها تجري في عروقي بين الجلد واللحم ففضلت منها فضلة، فأعطيتها أبا بكر قالوا: يا رسول الله، هذا علم أعطاكه الله حتى إذا تملأت منه فضلت فضلة، فأعطيتها أبا بكر، فقال –ﷺ–: قد أصبتم"[٤] وقد ورد هذا الأثر في حق سيدنا عمر –رضي الله عنه–.[٥]

والجمع بين الحديثين الصحيحين متعين، قال المحب الطبري في الرياض النضرة: "لعل الرؤيا تعددت في ذلك، وعلى ذلك يحمل، فإن الحديثين صحيحان، وإن كان حديث عمر متفق عليه" أي: في الصحيحين.[٦]

وهكذا انعكس هذا الفهم والعلم في حياة الصديق –رضي الله عنه– وظهرت مكانة الموهبة وأهمية توفرها في العالم، وأثرها في محيطه ومجتمعه، في يوم الحديبية حينما أوشك أن يتم صلح الحديبية، ولم يبق إلا

---

[١] أخرج الأثر القاسم بن سلام، فضائل القرآن، ص ١١٣. والسخاوي، جمال القراء ، ج١، ص٣٤١.

[٢] ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص ٢٥٤–٢٥٥.

[٣] أخرج الأثر مسلم، الصحيح، ج١، ص ٤٦٥، رقم: ٦٧٣. وسنن الإمام الترمذي، رقم: ٣٢٥–٢٧٧٣. وسنن الإمام أبي داود، رقم: ٥٨٢–٥٨٣. وهو في جامع الأصول، رقم: ٣٨٢٣.

[٤] أخرج الأثر بن حبان، صحيح ابن حبان، ج١٥، ص ٢٦٩، رقم: ٦٨٥٤. وقد ورد مثله في سيدنا عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– في صحيح البخاري، رقم: ٣٦٨١. وصحيح مسلم، رقم: ٢٣٩٠. وسنن الترمذي، رقم: ٢٢٨٥. وهو في جامع الأصول، رقم: ٦٤٤١.

[٥] أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة، ج١، ص ٢٥٣.

[٦] الطبري، الرياض النضرة في مناقب العشرة –رضي الله عنهم– ج١، ص١٥٢.

كتابة شروط الصلح، وما رأى فيها الصحابة من إجحافِ مفاوضِ قريش سهيل بن عمرو بحق المسلمين وغلظته في الحوار، ولين رسول الله –ﷺ– معه، وعدم إشراك الصحابة في المشاورة لذلك الصلح، لما كان يراه –ﷺ– من علامات وإشارات لم يتنبه لها كثير من الصحابة، مثل بروك الناقة حتى قال الناس: خلأت القصواء خلأت القصواء! أي حرنت[1] فقال –ﷺ–: "ما خلأت القصواء، وليس ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل"[2] كما ظنوا أن لين رسول الله –ﷺ– الزائد في ذلك الموقف فيه مداراة لقريش أكثر مما تستحق، وكاد كثير من الصحابة الكرام أن يفتنوا حتى وثب عمر –رضي الله عنه– وأتى رسول الله –ﷺ– فقال: ألست نبي الله حقا، قال: بلى، فقال: ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل، قال: بلى، فقال: فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً؟ قال: إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري، فقال: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى، فأخبرتك أنا نأتيه العام، قال: قلت: لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به، يقول عمر فذهبت إلى أبي بكر فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقا؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً؟ قال: أيها الرجل إنه لرسول الله –ﷺ– وليس يعصي ربه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه، فوالله إنه على الحق، قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، أفأخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به، فأجابه أبو بكر بمثل ما قاله رسول الله –ﷺ– دون أن يكون له أي علم بما قاله رسول الله –ﷺ– واتخذ الموقف ذاته، ونطق بالألفاظ التي نطق بها رسول الله –ﷺ– دون أن يعلم جواب رسول الله –ﷺ– فكان عمر يقول: ما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق، من الذي صنعت يومئذ! مخافة كلامي الذي تكلمت به.[3]

كما ظهرت موهبة أبي بكر –رضي الله عنه– بفقه مراد رسول الله حينما خطب أصحابه فقال: "إن عبداً من عباد الله خُيِّرَ بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار العبد ما عند الله" فبكى أبو بكر –رضي الله عنه–

---

[1] قال الفارابي: في، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج١، ص٤٨. "خَلأَتِ الناقةُ خَلأً وخِلاءً بالكسر والمد، أي حَرَنَتْ وبَرَكَتْ من غير عِلّةٍ، كما يقال في الجمل: أَلَحَّ، وفي الفرس: حرن"

[2] أخرج الأثر البخاري في، الصحيح، رقم: ٢٧٣١. وأبو داود في، سننه، رقم: ٢٧٦٥. والحديث في جامع الأصول، رقم: ٦١٠٨.

[3] أخرج الأثر البخاري، الصحيح، ج٣، ص ١٩٣، رقم: ٢٧٣١–٢٧٣٢. وسنن أبي داود، رقم: ٢٧٦٥. والمسند، ج٤، ص٢٣٢–٣٢٨، ٣٢٦–٣٢٣. وغير ذلك من دواوين السنة الشريفة.

وقال: بل نفديك بآبائنا وأمهاتنا وأنفسنا وأموالنا فعجب الصحابة لبكائه، ولكنهم فهموا بعد ذلك، أن رسول الله هو المخير وأن أبا بكر كان أعلمهم برسول الله -ﷺ-.[١]

كما ظهرت مكانة الموهبة وأهميتها في سيرة الفاروق الملهم الذي ينطق لسانه بالحق ويلهم الصواب، أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: "لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون، فإن يك في أمتي أحد، فإنه عمر".[٢]

قال الإمام الطحاوي في مشكل الآثار: مَعْنَى قَوْلِهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مُحَدَّثُونَ أَيْ: "مُلْهَمُونَ أَيْ: يُلْهَمُونَ حَتَّى تَنْطِقَ أَلْسِنَتُهُمْ بِالْحِكْمَةِ كَمَا كَانَ لِسَانُ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يَنْطِقُ بِمَا كَانَ يَنْطِقُ بِهِ"[٣].

بل صرح النبي -ﷺ- بأن الإلهام يجري على لسان عمر -رضي الله عنه- أخرج الترمذي في سننه وقال حديث حسن صحيح عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله -ﷺ- قال: "إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه، وقال ابن عمر: ما نزل بالناس أمر قط، فقالوا فيه، وقال فيه عمر إلا نزل فيه القرآن على نحو ما قال عمر"[٤].

وفي قصته مع الجيش الذي أرسله خير دليل وبرهان، على مكانة الموهبة والإلهام، فقد تمكن بفضل الله -عز وجل- وبما أوتي من موهبة من الله، من إنقاذ جيش المسلمين، ثبت أن أمير المؤمنين عمر -رضي الله عنه- بعث سرية فاستعمل عليهم رجلاً يدعى سارية[٥]، قال: فبينا عمر يخطب الناس يومًا قال: فجعل يصيح وهو على المنبر: يا ساريةُ الجبلَ الجبلَ، يا ساريةُ الجبلَ الجبلَ، قال: فقدم رسول الجيش، فسأله فقال: يا

---

[١] أخرج الأثر البخاري، الصحيح، رقم: ٣٦٥٤-٣٦٥٦-٣٦٥٧. ومسلم، الصحيح، رقم: ٢٣٨٢-٣٦٦١. والمسند، ج٣، ص١٨. وعند الدارمي، في سننه ج١، ص٣٦. "فلم يفطن لها أحد غير أبا بكر، فذرفت عيناه بالدمع...." وهو في جامع الأصول، رقم: ٦٤٠٦.

[٢] سبق تخريجه، ص٢٠.

[٣] الطحاوي، شرح مشكل الآثار، ج٤، ص ٣٣٧.

[٤] أخرج الأثر الترمذي، في السنن، رقم: ٣٦٨٣، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. وهو في المسند، ج٢، ص٥٣-٩٥. والحديث في جامع الأصول، رقم: ٦٤٣١.

[٥] هو: سارية بن زنيم الدئلي، قيل: إنه مخضرم، قال الإمام ابن عساكر له صحبة، ولاه عمر ناحية فارس، مترجم في الإصابة، ج٤، ص١٧٣-١٧٧. رقم: ٣٠٤٧، القسم الأول من حرف السين. وأسد الغابة، ج٢، ص٣٠٦، رقم: ١٨٨٦. وتجريد أسماء الصحابة، ج١، ص٢٠٣، رقم: ٢١١١، وفيه: الذي ناداه عمر يا ساريةُ الجبلَ.

أمير المؤمنين لقينا عدوناَ فهُزِمْنا، فإذا بصائح يصيح: يا ساريةُ الجبلَ الجبلَ، فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله[1].

وأختم الحديث عن جيل الصحابة، ومكانة الموهبة فيهم بذكر هذه الحادثة التي تجلت فيها أهمية الموهبة، ومكانتها وأثرها على المجتمع، والقصة مروية عن عدد من الصحابة الكرام –رضي الله عنهم– أخرج البيهقي في سننه أن أمير المؤمنين عمر –رضي الله عنه– "أُتي بامرأة قد ولدت لستة أشهر فهم برجمها فبلغ ذلك علياً –رضي الله عنه– فقال: "ليس عليها رجم" فبلغ ذلك عُمرَ –رضي الله عنه– فأرسل إليه فسأله فقال يقول الله –تعالى–: {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ} [البقرة:٢٣٣] وقال: {وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاَثُونَ شَهْرًا} [الأحقاف:١٥] فستة أشهر حمله مع حولين تمام، لا حد عليها أو قال: لا رجم عليها قال: فخلى عنها ثم ولدت" وفي رواية: "فالحمل ستة أشهر، والفصال أربعة وعشرون شهراً فخلى عمر سبيلها" وفي رواية: "قد يكون في البطن ستة أشهر، والرضاع أربعة وعشرون شهراً، فذلك تمام ما قال الله –عز وجل– ثلاثون شهراً، فخلى عنها عمر"[2] وهذه القصة تكررت عن عدد من الصحابة الكرام –رضي الله عنهم– ولا يمنع أن تكون الحادثة قد تكررت أكثر من مرة، ويستفاد منها أهمية الموهبة ومكانتها، وكيف كانت سبباً في درء الحد عن المرأة.

---

[1] الأثر صحيح، وإسناده ثابت، وقد صححه جم غفير من أئمة الإسلام، منهم ابن كثير، في البداية والنهاية، ج٧، ص١٣١، حوادث سنة: ٢٣هـ فقال: وهذا إسناد جيد حسن، وهذه طرق يشد بعضها بعضاً. وبعده الحافظ ابن حجر العسقلاني، حكم بذلك في الإصابة، ج٢، ص٢، فقال: هو إسناد حسن. ووافق السخاوي شيخه الحافظ ابن حجر على حكمه فقال في المقاصد الحسنة: وهو كما قال شيخنا: إسناد حسن. وبعدهم الإمام ابن حجر الهيتمي، في الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، ص١٠١–١٠٢، فقال: إسناد حسن. وقد استشهد أئمتنا الكرام بهذه الواقعة، على وقوع الكرامات والمكاشفات للأولياء، كما في مجموع الفتاوى، ج١١، ص٢٧٨–٣١٨. ومدارج السالكين، ج٣، ٢٢٨.

[2] أخرج الأثر البيهقي، السنن الكبرى، ج٧، ص٤٤٢. وعبد الرزاق، في المصنف ج٧، ص٣٥٠، رقم: ١٣٤٤٣–١٣٤٤٤. وهو في كتاب الاستذكار للإمام ابن عبد البر، ج٢٤، ص٧٥–٧٦، رقم: ٣٥٤٥١–٣٥٤٥٢–٣٥٤٥٣.

وورد مثل ذلك عن ابن عباس مع عمر –رضي الله عنه– في مصنف عبد الرزاق، ج٧، ص٣٥٢، رقم: ١٣٤٤٩. والأثر في الاستذكار، ج٢٤، ص٧٤–٧٥، رقم: ٣٥٤٤٧.

وورد حصول مثل ذلك من علي مع عثمان أيضاً، في موطأ مالك، ج٢، ص٨٢٣. وهو في جامع الأصول، رقم: ١٨٥٠.

وورد أيضاً حصول مثل ذلك من ابن عباس مع عثمان –رضي الله عنه– في مصنف عبد الرزاق، ج٧، ص٣٥١، رقم: ١٣٤٤٦–١١٣٤٤٧.

ومما تقدم يظهر لنا جلياً مكانة الموهبة وأهميتها في الجيل الأول بمرحلته الأولى (عند وجود المشرع) وانعكاساتها على المرحلة الثانية (بعد وفاة المشرع عليه الصلاة والسلام) فقد أخذ بزمام الأمة هؤلاء الكرام الموهوبون، وظهرت أثر تربية النبي –ﷺ– لهم فنهضوا بالأمة، وأُلهموا الصواب، وجرى الحق على ألسنتهم وأفعالهم، فقد مرت عليهم أحداثٌ عظامٌ ومواقفُ يشيب لهولها مفارق الوالدان، فتصدوا لها بما فتح عليهم، وألهموا بموهبتهم التي اكتسبوها ووفقوا إليها، فارتقوا بأمة الإسلام، وسادوا الأمم جمعاء، وكان لهم الأثر الأكبر على من جاء بعدهم إلى قيام الساعة، فرحمهم الله ورضي عنهم.

ويجب التنبيه لأمر هام يظهر فيه مدى أهمية الموهبة ومكانتها في الإسلام، وأهمية توفرها في العالم، هو أن علوم الشريعة بكافة فروعها، بنيت على أصول محدودة وآياتٌ قرآنية معلومة، وأحاديث نبوية محصورة، لا يزاد عليها ولا ينقص بعد انقطاع الوحي، وأن من خصائص الإسلام الشمولية، وصلاحيته لكل زمان ومكان، بمعنى أن هذه النصوص المحدودة والتي مضى عليها قرون مازالت تؤدي غرضها ومازال مفعولُها مؤثراً لكل من يحسن استعمالها، ومن هنا جاءت أهمية الموهبة ومكانتها، فالعالم الموهوب هو من يحسن التعامل مع تلك النصوص فيحسن الاستنباط منها ويحسن فهمها وتوجيهها والقياس عليها والتعامل معها.

ولهذا برز العلماء الموهوبون بعد جيل الصحابة الكرام فكان لهم الدورُ الأكبر في اتساع علوم الإسلام وانتشارها، فقعدوا لعلوم الشريعة قواعدها وأسسوا لها مبادئها فكانوا خير خلف لخير سلف، فهذا الإمام أبو حنيفة النعمان والذي لا يشك عاقل في علمه وفقهه وموهبته، أخذ عن سبعة من الصحابة الكرام، يقول فيه الشافعي: "الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة".[1]

ويذكرون العجب العجاب عن ذكائه وفطنته وموهبته في الفقه وفهم النصوص، وكان –رحمه الله ورضي عنه– له الدور الأكبر بما أوتي من موهبة في تأسيس علم الفقه وتقعيد قواعده، وكان –رحمه الله ورضي عنه– يدرب طلابه، وينمي فيهم موهبة الفهم والاستنباط وقال الموفق المكي: "وضع أبو حنيفة رحمه الله مذهبه شورى بينهم، لم يستبد فيه بنفسه دونهم، اجتهاداً منه في الدين، ومبالغة في النصيحة لله ورسوله والمؤمنين،

[1] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١ ص٤٠٣. و تذكرة الحفاظ، ج١، ١٢٧.

فكان يلقي مسألة مسألة، يقلبهم ويسمع ما عندهم ويقول ما عنده، ويناظرهم شهراً أو أكثر من ذلك حتى يستقر القول على أحد الأقوال فيها، ثم يثبتها القاضي أبو يوسف في الأصول".[1]

ولهذا كان لطلابه الدور الأبرز في تأسيس كثير من العلوم وسعة انتشارها، وكثرة تفارعيها فهذا أحد تلاميذ تلاميذه الإمام الموهوب الشافعي –تلميذ محمد بن الحسن– رحمهم الله جميعاً– كان له الفضل بفضل الله الكريم، في تأسيس علم أصول الفقه، فقد استطاع بما وهبه الله تعالى من نقاء نفس، وصفاء ذهن، وذكاء عقل، وقوة لغة، أن يستخلص كثيراً من الأصول من خلال استقراء مناهج المجتهدين الذين سبقوه ورتب –رحمه الله– ما توصل إليه من مباحث أصولية، وفق طريقة مرتبة مهذبه، في كتابه العظيم الرسالة والذي يعد مرجعاً لكل طالب علم في أصول الفقه.

وهكذا فإن الكلام يطول في الحديث عن هؤلاء العلماء الموهوبين، وأثرهم على علوم الشريعة وسعة انتشارها وتفريعاتها، ولكن أحببت أن أبين مكانة الموهبة بأمثلة واقعية من جيل الصحابة الكرام –رضي الله عنهم– ومن جاء بعدهم، ولا يزال العالم الموهوب في كل زمان يفوق أقرانه ويخلد التاريخ ذكره ويكتب له القبول، ولما صنف الإمام مالك كتابه "الموطأ" عمل معاصروه موطآت، فقيل للإمام مالك: "شَغَلْتَ نَفْسَكَ بِعَمَلِ هَذَا الْكِتَابِ، وَقَدْ شَرَكَكَ فِيهِ النَّاسُ وَعَمِلُوا أَمْثَالَهُ، فَقَالَ: ائْتُونِي بِمَا عَمِلُوا، فَأُتِيَ بِذَلِكَ فَنَظَرَ فِيهِ ثُمَّ نَبَذَهُ، وَقَالَ: لَتَعْلَمُنَّ أَنَّهُ لَا يَرْتَفِعُ مِنْ هَذَا إِلَّا مَا أُرِيدَ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ قَالَ: فَكَأَنَّمَا أُلْقِيَتْ تِلْكَ الْكُتُبُ فِي الْآبَارِ وَمَا سُمِعَ لِشَيْءٍ مِنْهَا بَعْدَ ذَلِكَ بِذِكْرٍ".[2]

ثانيا: الفرق بين العصمة والموهبة.

هناك صلة من وجه بين الموهبة والعصمة وتباين من وجوه أخرى، وقبل أن أبدأ بذكر ذلك يجدر بي أن أعرف بعض المصطلحات ليسهل تصور المسألة، مر معنا في أول البحث تعريف الموهبة.

---

[1] الموفق المكي، مناقب الإمام الأعظم، ج١، ص٣٩١.

[2] ابن عبد البر، التمهيد، ج١، ص٨٦.

أما العصمة: فهي في اللغة بمعنى المنع، والحفظ، قال الله –عز وجل– لنبيه –ﷺ– {وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}[المائدة:٦٧] أي: يمنعك ويحفظك من شرهم وكيدهم.[١]

وأما المعنى الشرعي للعصمة فهي: لطف من الله، بمن اصطفاه، يحمله على فعل الخير، وترك الشر، مع بقاء الاختيار، تحقيقاً للابتلاء في هذه الدار.[٢]

وقد أجمع علماء الإسلام على أن النبي معصوم عن الخطأ فيما يبلغه عن ربه، ولا يجري عليه نسيان، كما قال–تعالى–:{وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى}[النجم:٣–٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والكلام في هذا المقام مبني على أصل: وهو أن الأنبياء –صلوات الله عليهم– معصومون فيما يخبرون به عن الله –سبحانه– وفي تبليغ رسالاته باتفاق الأمة ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه" وقد نقل الإجماع في هذا أكثر من واحد.[٣]

أما الصلة بينهما فهي: أن كليهما من عند الله –تبارك وتعالى– فكما يوحي الله –سبحانه وتعالى– لأنبيائه المقربين، يفتح ويهب الإلهام لأوليائه الصالحين قال تعالى:{وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوَاْ آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُون}[المائدة:١١١] نقل الطبري عن السدي في قوله: وإذ أوحيت إلى الحواريين: "قذفت في قلوبهم. وقيل: ألهمتهم". ثم قال الطبري بعد أن سرد الأقوال فتأويل الكلام: "وإذْ ألقيتُ إلى الحواريين أنْ صدّقوا بي وبرسولي عيسى، فقالوا: آمنا أي: صدقنا بما أمرتنا أن نؤمنَ يا ربنا واشهد علينا بأننا مسلمون".[٤] قال شيخ الإسلام ابن تيمية "فهذا الوحي يكون لغير الأنبياء، ويكون يقظة، ومناماً، وقد يكون بصوت هاتف، يكون الصوت في نفس الإنسان، ليس خارجاً عن نفسه يقظة ومناماً، كما قد يكون النور الذي

---

[١] ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٤٠٣. أحمد بن يوسف الحلبي المعروف بالسمين، عمدة الألفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، ص٣٦٥.

[٢] محمد بن محمد الأمير، حاشية على شرح الجوهرة: ص١١٦. ويُنظر، إبراهيم الباجوري، تحفة المريد على جوهرة التوحيد، ج٢، ص٣٧. وعلى بن محمد الجرجاني، التعريفات، ص٢٤٦.

[٣] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٠،ص٢٩١، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، لوامع الأنوار البهية ج٢، ص٣٠٤.

[٤] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج١١، ص ٢١٨.

يراه أيضاً في نفسه"[١] وقال رحمه الله في كتابه النبوات: "وليس كل من أُوحي إليه الوحي العام يكون نبيًّا، فقد قال تعالى عن نبيه يوسف –على نبينا وعليه الصلاة والسلام– وهو صغير: {فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُون}[يوسف:١٥] وقال تعالى:{وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ} [القصص:٧] وقال تعالى: {وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي} [المائدة:١١١]".[٢]

وقد فصلت الكلام على ذلك في المبحث الأول مدلول الموهبة، وبينت أن هناك صلة بين الوحي والإلهام والموهبة، وهي أن جميعها يعد وحياً من الله، ولكل واحد منها خصوصيته كما تقدم، وبعد تمعن ونظر تبين لي أن الموهبة والإلهام تباين الوحي بثلاثة أمور:

الأول: أن وحي النبي معصوم عن الخطأ، مقطوع بنسبته لرب العالمين سبحانه، ومن شك في ذلك خرج من ملة الإسلام قال تعالى: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى }[النجم:٣] فالنبي معصوم من الخطأ فيما يبلغه عن الله، قال –ﷺ–: "ما أخبرتكم أنه من عند الله فهو الذي لا شك فيه".[٣]

وهذا لا ينطبق على إلهام الولي، فالولي مهما بلغت درجة صلاحه وعلمه ومكانته فإن كلامه لا يبلغ درجة العصمة ولا يقطع بنسبته لرب العالمين –ﷻ– قال الإمام البخاري في كتابه القراءة خلف الإمام:[٤] "الوجه الثالث: اذا ثبت الخبر عن النبي –ﷺ– وأصحابه فليس في الأسود[٥] ونحوه حجة، قال ابن عباس ومجاهد ليس أحد بعد النبي –ﷺ– إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا النبي –ﷺ– ونقل عن الامام مالك رحمه الله أنه قال: "كُلُّ أَحَدٍ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيَرُدُّ إِلَّا صَاحِبَ هَذَا الْقَبْرِ".[٦]

الأمر الثاني: مبني على الأمر الأول وناتج عنه، وهو بما أن كلام النبي –ﷺ– معصوم عن الخطأ مقطوع بنسبته لرب العالمين وهذا لا ينطبق على إلهام الولي، فإن كلام النبي يجب اتباعه ويحرم الخروج عنه.

---

[١] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٢، ص ٣٩٧.

[٢] ابن تيمية، النبوات، ج٢، ص ٦٩٠.

[٣] ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج٥، ص ٤٦٥.

[٤] أخرج الأثر البخاري، القراءة خلف الإمام، ص١٤. البيهقي، كذلك في القراءة خلف الإمام، ص٢١٣.

[٥] ويراد بالأسود: الأسود بن يزيد النخعي الكوفي الإمام القدوة مخضرم، كان نظير مسروق في الجلالة والعلم والثقة يضرب المثل بعبارتهما، توفي سنة: ٧٥ –رحمه الله الكريم– كما في سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٥٠–٥٣.

[٦] السخاوي، المقاصد الحسنة، ص٥١٣.

قال الإمام الآجري –رحمه الله–: "فرض على الخلق طاعته –ﷺ– في نيف وثلاثين موضعاً من كتابه عز وجل"[١] قال تعالى:{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[الحشر:٧] ويقول عليه الصلاة والسلام: "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: يا رسول الله! ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى"[٢] وأهل السنة والجماعة مجمعون على وجوب طاعة الرسول –صلى الله عليه وسلم– واتباعه، واعتبار السنة الشريفة هي المصدر الثاني من مصادر التشريع بعد المصدر الأول الذي هو القرآن الكريم.

أما موهبة الولي وإلهامه فليست ملزمة ولا واجبة الاتباع لأن صاحبها ليس بمعصوم ويمكن أن يجري عليه الخطأ والوهم ولا يمكن الجزم بأن ما ألهم به هو من عند الله أو حديث نفس، وقد رد علماء المسلمين على غلاة الصوفية في اعتبارهم الإلهام مصدراً للتشريع يجب الأخذ به، قال في مراقي السعود في كتاب الاستدلال:[٣]

ويُنْبذ الإلهامُ بالعراء *** أعني به إلهامَ الأولياء

وقد رآه بعض من تصوفا *** وعصمة النبي توجب اقتفا

أي لا يستدل بالإلهام بل ينبذ فهو من الأدلة البدعية، لكن عصمة الباري للأنبياء توجب أن نقتفي أثرهم وأن نتبعهم، لأن وحيهم وإلهامهم معصوم وأما إلهام الأولياء فليس بمعصوم. وكان أئمة الإسلام الموهوبون الملهمون يحذرون أتباعهم من تقديس كلامهم لأنهم ليسوا بمعصومين، وأن الخطأ قد يرد على بعض آراءهم، فهذا فقيه الملة الإمام أبو حنيفة النعمان –رحمه الله ورضي عنه– يقول: "هذا رأيي وهذا أحسن ما رأيت، فمن جاء برأي خير منه قبلناه".[٤] فلم يَدَّع أحد من هؤلاء الأئمة العصمة لنفسه ولا التزام أتباعه برأيه واجتهاده.

---

[١] للآجري، الشريعة، ج١، ص ٤١١.

[٢] أخرج الأثر البخاري، الصحيح، ج٩، ص٩٢. رقم: ٧٢٨٠. وهو في المسند، ج٢، ص٣٦١. وثبت في المستدرك، ج١، ص٥٥، ج٤، ص٢٤٧. وقال صحيح على شرطهما، ووافقه الذهبي بلفظ "لتدخلن الجنة كلكلم، إلا من أبي وشرد على الله كشراد البعير" وقال الحافظ في الفتح، ج١٣، ص٢٥٤ سنده على شرط الشيخين.

وورد من رواية أبي أمامة في المسند، ج٥، ص٢٥٨. ومعجم الطبراني الأوسط، رقم: ٣١٧٣ بلفظ "ألا كلكم يدخل الجنة إلا من شرد على الله كشراد البعير على أهله" والحديث في جامع الأصول، رقم: ٦٧٥٧.

[٣] عبد الله إبراهيم العلوي الشنقيطي، مراقي السعود لمبتغي الرقي والصعود، البيتين، ٨٤٣–٨٤٤. مع شرحه نثر الورود للإمام محمد الأمين الشنقيطي، ج٢، ص٥٨٢–٥٨٣. وفي الشرح مزيد بيان، يشرح الجنان.

[٤] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢٠، ص ٢١١.

الأمر الثالث: وآخر هذه الفوارق بين وحي النبي –ﷺ– وإلهام الولي، أن وحي النبي المعصوم لا يكون باكتساب بل هو محض فضل من الله قال تعالى {اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} [الأنعام:١٢٤] قال الإمام ابن كثير أي: "هو أعلم حيث يضع رسالته ومن يصلح لها من خلقه، كما قال تعالى: {وَقَالُوا لَوْلاَ نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيم} [الزخرف:٣١].

قال صاحب الجوهرة الإمام برهان الدين إبراهيم بن هارون اللقاني:

وَلَمْ تَكُنْ نُبُوَّةٌ مُكْتَسَبَةْ *** وَلَوْ رَقَى في الخَيرِ أَعْلَى عَقَبَةْ

بَلْ ذَاكَ فَضْلُ اللهِ يؤتيهِ لِمَنْ *** يَشَاءُ جَلَّ اللهُ واهِبُ المِنَنْ[1]

أي لا يكتسب العبد النبوة بمباشرة أسباب مخصوصة، كملازمة الخلوة والعبادة، فالذي أجمع عليه المسلمون جميعاً أن النبوة إنما هي خصوصية من الله تعالى، ومحض فضل ومنة، كما قال عز وجل:{رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلاَقِ}[غافر:١٥] وقوله: {اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} [الأنعام:١٢٤] وقوله:{وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى}[طه:١٣].

وأما إلهام الولي فكما تقدم تقرير مفهوم الموهبة، أنه لا يكون ولا يفتح عليه من غير كسب وجهد قال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِين} [العنكبوت:٦٩] وقوله: {وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم}[البقرة:٢٨٢] قال الإمام القرطبي:[2] "وعد من الله تعالى بأن من اتقاه علمه أي يجعل في قلبه نوراً يفهم به ما يلقى إليه وقد يجعل في قلبه ابتداء فرقاناً أي فيصلاً يفصل به بين الحق والباطل ومنه قوله تعالى:{يِا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيم}[الأنفال:٢٩].

---

[1] إبراهيم اللقاني، جوهرة التوحيد، ج٢، ص٣٠–٣١، مع شرحها تحفة المريد.

[2] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٣، ص ٤٠٦.

المبحث الرابع

أسباب حصول الموهبة

ترجع أسباب حصول الموهبة إلى ثلاثة أمور حسان: إيمان، وتقوى، واستقامة.

أما السبب الأول: الإيمان بذي الجلال والإكرام، فلابد منه لينجو العبد من الكفران، الذي هو أعظم ختم على جنان الإنسان، قال ربنا الرحمن: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُون خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيم }[البقرة:٦-٧] وأخبرنا ربنا أن قلوب الكفار مغطاة بما كسبوه من الأوزار، فقال -جل وعلا-:{كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُون} [المطففين:١٤] أي: "غطاها أوزارهم فغمرت قلوبهم"[١] وهذه الآية الكريمة هي مثل الآية التي في سورة البقرة: {بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون} [البقرة:٨٠] كما قال الأمام مجاهد -رحمه الله-: "فحقيق بمن هوى إلى تلك الدركة الردية أن يحرم من المواهب الربانية".[٢]

قال الإمام الموهوب، موهوب الجواليقي للخليفة المقتفي في معرض رده على ابن التلميذ[٣] النصراني: "يا أمير المؤمنين، سلامي هو ما جاءت به السنة النبوية، وروى له خبراً في صورة السلام ثم قال: يا أمير المؤمنين لو حلف حالف أن نصرانياً أو يهودياً لم يصل إلى قلبه نوع من أنواع العلم على الوجه المرضي لما لزمته كفارة الحنث لأن الله تعالى ختم على قلوبهم، ولن يفك ختم الله إلا الإيمان، فقال له: صدقت وأحسنت فيما فعلت، وكأنما ألجم ابن التلميذ بحجر".[٤]

هذا وقد فسر نبينا -ﷺ- الإيمان بأركانه البارزة الستة كما في الصحيحين وغيرهما من دواوين السنة الشريفة في الحديث الطويل وهو المعروف بحديث جبريل -على نبينا وعليه صلاة الله وسلامه- والمشهور بأم

---

[١] النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج٥، ص٣٣٦. الفراء، معاني القرآن، ج٣، ص٢٤٦.

[٢] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج٢٤، ص٢٠٤. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٩، ص ٢٥٩-٢٦١.

[٣] وابن التلميذ النصراني هلك سنة ستين وخمس مئة كما في العبر للذهبي قال: "وفيه ابن التلميذ وشيخ الطب وجالينوس العصر شيخ قومه وقسيسهم لعنه الله -وفي بعض النسخ- لعنهم، وفي البداية والنهاية للإمام ابن كثير قال " توفي ابن التلميذ قبحه الله على دينه، لا رحمه الله إن كان مات نصرانيا.

[٤] ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٥، ص٣٤٣. ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، ج١، ص٢٠٦.

السنة لاستلزامه جميع شعب الإيمان فقال: "الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره".[1]

والسبب الثاني: لا بد من تحقيق التقوى بعد الإيمان، لينال الإنسان ولاية ربه الكريم الرحمن، ويكون قلبه مهيئاً لتلقي مواهب ربه ذي الفضل والإحسان، ويكون ذلك بالقيام بخمسة أمور حسان.

أولها وثانيها: القيام بالواجبات، والمحافظة على المستحبات، كما دل على ذلك أشرف حديث ورد في أولياء الله الموهوبين، ثبت في صحيح الإمام البخاري وغيره من دواوين السنة الشريفة عن أبي هريرة –رضي الله عنه– أن رسولَ الله –ﷺ– قال: "قال الله تعالى: من عادى لي وَلِيّاً، فقد آذَنتُه بحرب، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مِنْ أداءِ ما افترضتُ عليه، ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أُحِبَّهُ، فإذا أحببتُهُ كُنتُ سمعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألَني أعْطَيتُه، وإن استَعَاذَ بي أعَذْتُه، وما تردَّدتُ عن شيء أنا فاعله، تردّدي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مَساءَتَه".[2]

نعم لا بد من المحافظة على الفرائض والإكثار من النوافل لينال العبد محبة ربه والقرب منه فيمن عليه ربه الكريم بالفتوحات والفيوضات والمواهب الجزيلات.

ثالثها ورابعها: البعد عن المحرمات، والحذر من المكروهات، كما دل على ذلك ما في المسند والسنن عن نبينا الحبيب المكرم –ﷺ– أنه قال: "اتَّقِ المحارِمَ تَكُنْ أَعبد الناسِ، وارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأَحْسِنْ إلى جَارِكَ تَكُنْ مُؤمناً، وأحِبَّ للناس ما تحب لنفسك تكن مُسْلِماً، ولا تكثرِ الضحك، فإن كثرة الضحك

---

[1] الحديث ثابت من رواية أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– في المسند والكتب الستة إلا صحيح الإمام البخاري. أحمد بن حنبل، المسند، رقم، ٣١٥،٣٢٢،٤٣٤. مسلم، المسند الصحيح المختصر، رقم٨. الترمذي، سنن الترمذي، رقم ٢٧٣٨. النسائي، السنن الصغرى للنسائي، رقم٤٩٩٠. أبي داوود، سنن أبي داود، رقم٤٦٩٥. ابن ماجه، سنن ابن ماجه، رقم ٦٣. وهو في غير ذلك من دواوين السنة الشريفة، وهو الحديث الثاني في جامع الأصول، وهو الثاني أيضا في الأربعين النووية، وقد شرحه الإمام ابن رجب في جامع العلوم والحكم في خمس وعشرين صفحة، ٣٣–٥٨.

[2] أخرج الأثر البخاري، الصحيح، رقم٦٥٠٢. وأبو نعيم، في بداية حلية الأولياء ج١، ص٤. والبيهقي، السنن الكبرى، ج٢، ص٣٤٦–ج١٠، ص٢١٩. والبيهقي، الأسماء والصفات، رقم٤٩١. البيهقي، كتاب الزهد، رقم٢٦٩. البيهقي الأربعين الصغرى، رقم٥١. والحديث الشريف مروي عن سبعة آخرين من الصحابة الكرام الطيبين –رضي الله عنهم– وتفصيل ذلك في جامع العلوم والحكم، شرح الحديث في خمس عشرة صفحة ٤٢٦–٤٤٢. وانظر شرح الحديث الشريف في فتح الباري، ج١١، ص٣٤٠–٣٤٧. وهو في جامع الأصول ج٩، ص٥٤٢، رقم٧٢٨٢.

تُميت القلب"[1] فلا يحصل وهب وهناك ذنب فعلى الراغب بوهب علام الغيوب: التخلي عن العيوب، والتجلي بكل محبوب.

خامسها: عدم الانهماك في المباحات، لئلا تضيع الأوقات، فيكون ممن أذهب طيباته في هذه الحياة، فيشابه الخاسرين الذين عيرهم بذلك رب العالمين فقال –جل وعلا–: {وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُون} [الأحقاف:٢٠] وثبت أن سيدنا عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– قال: "إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُ لَكُنْتُ أَطْيَبَكُمْ طَعَامًا، وَأَرَقَّكُمْ عَيْشًا، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ تَعَالَى عَيَّرَ قَوْمًا بِأَمْرٍ فَعَلُوهُ، فَقَالَ: {وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُون} [الأحقاف:٢٠].[2]

هذه الأمورُ الخمسةُ هي أركان التقوى، وبها ينالُ الإنسان ولايةَ ربه –المولى جل وعلا– فَمَنْ تحلى بالإيمان، وجمع بين أركان التقوى الحسان، فعلاً فيما ينبغي فعله، وتركاً حذراً لما ينبغي تركه والحذر منه، فقد تأهل لموهبة الله الكريم، والله خير معين وهو الفتاح العليم. قال –سبحانه وتعالى–:{وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم} [البقرة:٢٨٢] وقال –جل شأنه–: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيم}[الأنفال:٢٩] ولا ريب أن من دون التقوى يحرم المرء الفهم ويطمس على بصيرته وتشتبه عليه الأمور، فإن العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تُطفئ ذلك النور، وقد كان سلفنا –رحمهم الله– يعتنون بهذا الجانب ويوصون به طلابهم، فهذا الإمام الموهوب إمامُ دار الهجرة مالك –رحمه الله

---

[1] الحديث الشريف في المسند من رواية أبي هريرة –رضي الله عنه– ج٢، ص٣١٠. وسنن الترمذي رقم٢٣٠٦. وسنن ابن ماجه، رقم: ٢١٧. وكتاب مكارم الأخلاق، للخرائيطي، ص٤٢. وحلية الأولياء، لأبي نعيم، ج١٠، ص٣٦٥. وتاريخ أصفهان لأبي نعيم ج٢، ص٣٠٢. وكتاب الزهد، للبيهقي، رقم٣١٠. شعب الإيمان، للبيهقي، ج٧، ص٧٨–٥٠١. والحديث في جامع الأصول، ج٨، ص٤٩١، رقم٩٣١٦. وانظره في الترغيب والترهيب، للمنذري، ج٣، ص٢٤٥. والمغني عن حمل الأسفار في الأسفار، للعراقي، ج٢، ص١٧٩. وإتحاف السادة المتقين، ج٦، ص٢٢٣.

[2] الأثر في كتاب الزهد والرقائق، للإمام ابن المبارك، رقم٥٧٩. والطبقات الكبرى، ابن سعد، ج٣، ص٢٧٩. وجامع البيان في تأويل القرآن، للطبري، ج٢١، ص١٤٧. والكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، ج٢٤، ص١٠٢–١٠٣. وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبي نعيم، ج١، ص٤٩. وانظره في تخريج الأحاديث والآثار الواقعه في تفسير الكشاف للزمخشري، للزيلعي، ج٣، ص٢٨٣. الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف، ابن حجر العسقلاني، ج٤، ص١٤٩. والدر المنثور في تفسير القرآن بالمأثور، السيوطي، ج١٣، ص٣٣٤.

ورضي عنه– لما جلس الشافعي بين يديه وقرأ عليه أعجبه ما رأى من وفور فطنته، وتوقُّد ذكائه، وكمال فهمه، فقال: "إني أرى الله قد ألقى على قلبك نوراً، فلا تُطفئه بظلمة المعصية".[١]

ولذا كان الصحابي الجليل عَبْدُ اللَّهِ بن مسعود يقول: "إِنِّي لَأَحْسَبُ الرَّجُلَ يَنْسَى الْعِلْمَ كَانَ يَعْلَمُهُ بِالْخَطِيئَةِ يَعْمَلُهَا".[٢] واشتهر عن الشافعي شعره:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يهدى لعاصي[٣]

ومع تحقق الإنسان بهذين الأمرين: إيمان، وتقوى، وهما من أسباب الموهبة، فلا بد من أن يتحقق بالسبب الثالث، وهو الاستقامة لتتم له أسباب الكرامة، وينال من الله العناية التامة، وهذا بيانها بإيجاز.

السبب الثالث: الاستقامة، ويراد بالاستقامة المواظبة التامة على الإيمان وتقوى الرحمن على الدوام، قال ربنا –جل ثناؤه–: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون. أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون} [الأحقاف:١٣–١٤] وقال –جل وعلا–: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُون نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُون نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيم} [فصلت:٣٠–٣٢] قال شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية: "استقاموا على محبته وعبوديته، فلم يلتفتوا عنه يمنة ولا يسرة".[٤]

---

[١] ابن القيم، الداء والدواء، ص ١٣٢.

[٢] أبو خيثمة زهير بن حرب، العلم، ص٣١. ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج١، ص١٩٦. الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ج٢، ص٢٥٨.

[٣] نسبه إلى الإمام الشافعي، العلامة ابن القيم في كتابه الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص٦٠. وهو في كتاب الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب، ج٢، ص٢٥٨، منسوب لبعض العلماء دون تسميته، وحكى قبله أن علي بن خشرم قال: "سألت وكيعاً: تعلم شيئاً للحفظ؟ قال: ترك المعاصي عون على الحفظ" وعلى بن خشرم ثقة توفي سنة سبعة وخمسين ومئتين كما في تقريب التهذيب، رقم: ٤٧٢٩.

[٤] ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج٢، ص١٠٤.

وثبت في المسند وصحيح الإمام مسلم، وغير ذلك من دواوين السنة الشريفة، عن سفيان بن عبد الله الثقفي –رضي الله عنه– قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسألُ عنه أحدًا بعدك، قال: "قل: آمَنْتُ بالله، ثم استقم".[1]

قال الإمام ابن القيم: "الاستقامة كلمة جامعة، آخذة بمجامع الدين، وهي القيام بين يدي الله –عز وجل– على حقيقة الصدق، والوفاء بالعهد، والاستقامة تتعلق بالأقوال، والأفعال، والأحوال، والنيات، فالاستقامة فيها: وقوعها لله، وبالله، وعلى أمر الله".[2]

وقَالَ الأستاذ الشيخ القشيري: "الاستقامة درجة بِهَا كمالُ الأمور وتمامها، وبوجودها حصولُ الخيرات ونظامها ومن لَمْ يكن مستقيماً فِي حالته ضاع سعيه وخاب جهده".[3]

هذه أسباب الموهبة، فمن تحقق بها، وهبه الله من المواهب مالا يخطر على قلبه، وتكون معية الله معه في جميع أحواله، قال الله –ﷻ–: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُم} [محمد:١٧] فزيادة العلم هي في الحقيقة زيادة في معرفة الله والقرب منه، ولذا قال جل شأنه:{وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُور}[فاطر:٢٨].

وبعد بيان أسباب الموهبة، سأنتقل إلى بيان علامات وجود الموهبة. جعلنا الله الكريم من عباده الموهوبين، وحفظنا من شرور أنفسنا، ومن وساوس الشياطين إنه جواد كريم.

---

[1] أحمد ابن حنبل، المسند، ج٣، ص٤١٣. مسلم، المسند الصحيح المختصر، رقم:٣٨. البخاري، التاريخ الكبير، ج٥، ص١٠٠، في ترجمة عبد الله بن سفيان الثقفي. الترمذي، السنن، رقم:٢٤١٢. النسائي، السنن الكبرى، رقم:١١٤٨٩. ابن ماجه، السنن، رقم:٣٩٧٢. الدار قطني، السنن، ج٢، ص٢٩٨. ابن حبان، صحيح ابن حبان، ج٣، ص٢٢٢. وهو في جامع الأصول، لابن الأثير، ج١، ص١٥٦، رقم: ١٧.

[2] ابن القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج٢، ص١٠٥.

[3] القشيري، الرسالة القشيرية، ص٢٠٥.

المبحث الخامس

علامات وجود الموهبة في الموهوب

لوجود الموهبة علامات في الموهوب، ويمكن حصرها في ثلاث جهات: نَفْسية، سَمْتيه، مَسْلكيه.

أما النفسية فهي متعلقة فقط بمحل الوهب ومدعيه، ولا يعلم حقيقة الأمر في ذلك إلا الله العليم، ثم مدعي ذلك من المخلوقين، فالإنسان يعلم حاله موهوباً أو كذوباً، صديقاً أو زنديقاً، ولياً حميداً، أو شيطاناً مريداً، كما قال –سبحانه وتعالى–: {بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَه}[القيامة:١٤–١٥] فكل إنسان عليم بحاله بصير بنفسه، في دنياه وعند بعثه في آخرته.

أما علمه في دنياه بمختلف حاله، وبصره بطيبه أو خبثه، وتيقنه من قناعته أو جحوده، ومعرفته بصدقه أو كذبه، فمعلوم غير مظنون، وإن لبس على الناس وادعى أنه من المخلصين الأكياس، كما أخبر عن ذلك العليم بأحوال الناس، فقال –جل ثناؤه– {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُون} [البقرة:١٤٦].

وهذه الآية الكريمة وغيرها تشهد لتفسير آية سورة القيامة بما تقدم، وفي تفسير القرآن العظيم: "جائز أن يكون أراد بهذا في الدنيا، أن الإنسان بصير بعمل نفسه، وإن جادل عنها ولم يفعل ذلك، وأسر ذلك عن الناس".[1]

فالإنسان أعلم بحاله من بني جنسه، مهما خدع غيره، وخادع نفسه {بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَه} [القيامة:١٤–١٥].

---

[1] الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج٥، ص٣٣٦. وأما الاحتمال الثاني لتفسير آية القيامة، وهو كون ذلك عند بعثه في آخرته، فيرجع في توجيه ذلك إلى الكتاب المتقدم، وتفسير زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، ج٨، ص٤٢٠–٤٢١. وتفسير الإمام القرطبي، ج١٩، ص٩٩–١٠٢. وتفسير البحر المحيط المعروف بالتفسير الكبير ج٨، ص٣٨٦–١٨٧. والسراج المنير في الإعانة على معرفة بعض كلام ربنا الحكيم الخبير، ج٤، ص٤٤١.

نعم كل واحد يعلم من نفسه هل هو موهوب أو كذوب، محبوب، أو مغضوب، وأكثر من يدعي الوهب لا يتقن قراءة كلام الرب، بل يلحن فيه بما يستدعي العجب، وما اتخذ الله العظيم ولياً جاهلاً، ولوا اتخذه لعلمه. قال ربنا الكريم في رسولنا سيد الموهوبين –ﷺ–: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلاَ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُور}[الشورى:٥٢–٥٣] وقال –ﷻ–: {وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى}[الضحى:٧] ولا يراد من الضلال هنا: عدول عن حق ووقوع في غيٍّ، فقد كان –فداه نفسي– من أول حاله إلى نزول الوحي عليه معصوماً من عبادة الأوثان، وقاذورات أهل الفسق والعصيان[١].

وأحسن ما تحمل عليه الآية الكريمة: "وجدك جاهلاً على ما يكون في أصل الخلقة، فهداك إلى العلم الصحيح النافع، فهي كالآية المتقدمة في سورة الشورى. ومن المعلوم أن الخلق في ابتداء أحوالهم يكونون جهالاً لا جهل كسب يذمون عليه لكن جهل خلقة"[٢].

نعم، إن حال الإنسان لا يخفى عليه، وهو بصيرة[٣] على نفسه، أعلم بها من غيره، وإن اعتذر بما يخدع غيره ويخادع نفسه، وسأذكر قصتين لعبدين صالحين موهبين.

الأولى: تُبينُ حَال الصحابي المبارك عبد الله بن عمر بن الخطاب –رضي الله عنهما– كيف وهبه الله الجليل من فضله ما خفي على غيره، كما ثبت في المسند والصحيحين وغيرهما عنه –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –ﷺ– "إنَّ مِنَ الشجر شجرة لا يَسْقُط ورقُها، وإنها مَثَلُ المسلم، فحدّثوني ما هي؟ فوقع الناسُ في شجَرِ

---

[١] النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج٥، ص٣٧٥.

[٢] هذا أحد التوجيهات في تأويل الآية الكريمة، كما في تأويلات أهل السنة ج٥، ص٤٧٥. وعند القرطبي، الجامع الأحكام القرآن، ج٢٠، ص٩٦–٩٨. والسراج المنير في الإعانة على معرفة بعض كلام ربنا الحكيم الخبير، ج٤، ص٥٥١–٥٥٢. وهناك تأويلات أُخَرُ معتبرات.

[٣] الهاء في بصيرة للمبالغة كعلامة، أو يراد بها الحجة، تقول لغيرك أنت حجة على نفسك، وبصيره. كما في مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج٥، ٧٥.

البوادي. قال عبد الله: فوقع في نفسي أنها النخلةُ، فاستحييتُ، ثم قالوا: حَدِّثنا ما هي يا رسولَ الله؟ قال: هي النخلةُ" [١].

قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله– فيه: "أن العالم الكبير قد يخفى عليه بعض ما يدركه من هو دونه، لأن العلم مواهب، والله يؤتي فضله من يشاء".[٢]

وقال الحافظ العيني –رحمه الله– فيه: "إن العالم الكبير قد يخفى عليه بعض ما يدركه من هو دونه، لأن العلم منح إلهية، ومواهب رحمانية، وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء".[٣]

ومن لطائف فقه سيد المحدثين الإمام البخاري –رحمه الله– ترجمته لهذا الحديث الشريف في بعض مواضع إيراده بقوله: "باب الفهم في العلم".[٤]

ولا غروَ في بلوغ هذا السيد الجليل تلك المنزلة العالية فهو الذي نعته الإمام الذهبي في السير بقوله: "الإمام القدوة شيخ الإسلام"[٥] فهو حقاً شيخ الإسلام بين الصحابة الكرام –رضي الله عنهم جميعاً–.

وأما القصة الثانية، فتبين حال سيدنا عبدالله بن مسعود –رضي الله عنه– وهو الإمام الحبر فقيه الأمة كان معدوداً في أذكياء العالم –كما نعته بذلك الإمام الذهبي–[٦] كيف سدده ربنا في الفتيا بما لم يعلم فيه أثراً، فطابقت فتياهُ الأثر، وكأنه سمعه من رسولنا سيد البشر –ﷺ– والخبر في المسند والسنن بسند صحيح حسن: "أُتِيَ عبدُ الله بن مسعود في رجل تزوج امرأة، ولم يفرِضْ لها، فتُوُفِّيَ قبل أن يدخلَ بها، فقال عبد الله: سَلُوا: هل تجدون فيها أثراً؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن، ما نَجِدُ فيها، قال: أقول برأيي، فإن كان صواباً فمن الله، لها مهر كمهر نسائها، لا وَكْسَ ولا شطَطَ، ولها الميراثُ، وعليها العِدَّةُ، فقام رجل من أَشْجَع، فقال: في مثل هذا قضى

---

[١] أحمد بن حنبل، المسند، ج٢، ص١٢-٤١-٦١-١١٥. البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر رقم:٦٢، وهو فيه في تسع مواضع، وصحيح الإمام مسلم، رقم: ٢٨١١. وهو في جامع الأصول: رقم ٤٨١٦.

[٢] ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج١، ص١٤٧.

[٣] بدر الدين العينى، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج٢، ص١٥.

[٤] وهو الباب الرابع عشر من كتاب العلم، ج١، ١٦٥، بشرح الفتح.

[٥] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٢٠٤.

[٦] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١، ص٤٦١.

رسول الله –ﷺ– فينا، في امرأة يقال لها: بَرْوَعُ بنتُ واشِق، تزوجتْ رجلاً، فمات قبل أن يدخلَ بها، فقضى رسول الله –ﷺ– بمثل صَدَاقِ نسائها، ولها الميراث، وعليها العِدَّةُ، فرفع عبد الله يدَيْه وكبَّر". [1]

وهذا الصحابي المبارك الموهوب، يأتي بعده إمام مبارك موهوب، وهو الإمام الشافعي –رحمه الله– فيقول: "وَقَدْ رُوِيَ عَنْ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنَّهُ قَضَى فِي بَرْوَعُ بِنْتِ وَاشِقٍ وَنَكَحَتْ بِغَيْرِ مَهْرٍ فَمَاتَ زَوْجُهَا فَقَضَى لَهَا بِمَهْرِ نِسَائِهَا وَقَضَى لَهَا بِالْمِيرَاثِ فَإِنْ كَانَ ثَبَتَ عَنْ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَهُوَ أَوْلَى الْأُمُورِ بِنَا وَلَا حُجَّةَ فِي قَوْلِ أَحَدٍ دُونَ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَإِنْ كَثُرُوا وَلَا فِي قِيَاسٍ فَلَا شَيْءَ فِي قَوْلِهِ إلَّا طَاعَةُ اللَّهِ بِالتَّسْلِيمِ لَهُ"[2] قال الإمام أبو عبد الله محمدُ بن يعقوب، شيخُ الإمام الحاكم: "لو حضرت الشافعي لقمت على رؤوس أصحابه وقلت: قد صح الحديث فقل به".[3]

نعم إن تمام الاتباع، أكبر علامة على كمال الوهب بلا نزاع، اللهم اجعل هوانا تبعاً لشرعك يا مولانا.

إن الكَيِّس الذي يجد هذا من نفسه يعلم أنه موهوب من ربه، وذلك يدل على تمكن أسباب الوهب في نفسه، ولذلك يشعر الصادق الناصح لنفسه بحرمانه من الوهب عند تفريطه في بعض أسباب الوهب، وسأقتصر على مثالين، ليتضح الأمر رأْيَ الَعَيْن.

المثال الأول: الإمام الكبير حافظ العصر شيخ الإسلام أبو محمد سفيان بن عيينة، توفي:١٩٨ –رحمه الله تعالى– نعته بذلك الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء، وزاد: "هو حجة مطلقاً، وحديث في جميع دواوين الإسلام، كان صاحب سنة واتباع". وقال الإمام عبدالله بن وهب: "لا أعلم أحداً بتفسير القرآن الكريم أعلم من سفيان بن عيينة".[4]

---

[1] أحمد بن حنبل، المسند، ج١، ص٤٣١، ج٣، ص٤٨٠، ج٤، ص٢٧٩–٢٨٠. والحديث في جامع الأصول، رقم:٤٩٩٠. وقد صححه الترمذي وابن حبان والحاكم وغيرهم. وانظره في التلخيص الحبير، ج٣، ص٢١٦. والإصابة في تميز الصحابة، ج١٣، ص٢٠٢، ترجمة بَروع بنت واشق –رضي الله عنها–

[2] الشافعي، الأم، ج٥، ص٦٨. ونقله عنه الحاكم في المستدرك، ج٢، ص١٨٠.

[3] الحاكم، المستدرك، ج٢، ص١٨٠. البيهقي، الخلافيات، ج٦، ص١٧٩.

[4] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٤٥٤–٤٦٦–٤٥٨.

وقال الإمام أبو نعيم في حلية الأولياء: "الإمام الأمين، ذُو الْعَقْلِ الرَّصِينْ، وَالرَّأْيِ الرَّاجِحِ الرَّكِينْ، الْمُسْتَنْبِطُ لِلْمَعَانِي، وَالْمُرْتَبِطُ لِلْمَبَانِي، أَبُو مُحَمَّدٍ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ الْهِلَالِيُّ،كَانَ عَالِمًا نَاقِدًا، وَزَاهِدًا عَابِدًا، عِلمه مَشْهُورْ، وَزُهْدُهُ مَعْمُورْ".[١]

هذا الامام المبارك الموهوب يخبر عن ذهاب بعض وهبه من ربه –جل وعلا– لما فَقَدَ بعضَ متمماتِ ولايته لربه –عز وجل– فيقول لإصحابه أهل الحديث: "أَعَلِمْتُم أني كنت قد أوتيت فهمَ القرآن الكريم، فلما قبلت الصرة من أبي جعفر (المنصور) سُلِبْتُه"[٢] وقال: "منذ أخذت من مال فلانٍ الأمير مُنِعت ما كان وهبه لي من فهم القرآن".[٣]

المثال الثاني: الإمام القدوة الثبت شيخ الإسلام أبو علي الفضيل بن عياض توفي: ١٨٧ –رحمه الله تعالى– نعته بذلك الإمام الذهبي[٤]، وقال الامام ابن كثير: "هو أحد أئمة العباد والزهاد، وأحد العلماء والأولياء".[٥] وفي الجوهرة المضية: "هو إمام عظيم أخذ الفقه عن إمام عظيم –يعني: أبا حنيفة– وأخذ عنه إمام عظيم، –يعني الإمام الشافعي–".[٦]

وهذا الإمام المبارك الموهوب لم يأخذ شيئاً من أُعطيات الأُمراء،[٧] ومع ذلك كان يرى أن أي تقصير منه يمنع من مواهب الله الجليل عنه، فهو القائل: "إني لَأَعصي الله –عز وجل– فأعرف ذلك في خلق حماري وخادمي. وفي البداية والنهاية زيادة: وامرأتي، وفأر بيتي".[١]

---

[١] أبو نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج٧، ص٢٧٠.

[٢] الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ج١، ص٣٦٧–٣٦٨. وأورد الإمام الخطيب البغدادي ذلك الأثر في فصل عظيم ينبغي أن يكون على بال طالب العلم في كل حين، فقال: من نزه نفسه من المحدثين عن قبول أموال السلاطين: ص٣٦١–٣٦٩.

[٣] الجوزي، صيد الخاطر، ص٢٥٤، فصل٢٠٦، النهي عن مخالطة السلاطين.

[٤] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٨، ص٤٢١–٤٢٢.

[٥] ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص١٩٨.

[٦] عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم بن أبي الوفاء القرشي الحنفي محي الدين أبو محمد، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، ج٢، ص٧٠٠.

[٧] وله في البعد عنهم، وعدم الأخذ منهم مواقف مشهورة كما في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ج١، ص٣٦٦–٣٦٧. وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج٨، ص٩٨–١٠٥–١٠٨.

سبحان الله العظيم! سيد المحدثين يأخذ جائزة من السلاطين فيحرم من فهم القرآن الكريم، وسيد الزهاد والعباد عندما يرى أنه قصر في حق رب العباد يشعر بتغير نحوه من قبل العباد. وما جرى منهما صغيرة، لكن فيه كدر في جانب الورع، وذلك –حتماً– يحط المنزلة عن الرتبة الكاملة، وذلك يمنع من حصول الوهب التام، فحسناتُ الأبرار سيئاتُ المقربين الأخيار كما قرر ذلك أئمتنا الكرام الأطهار.[٢]

ولتوضيح ذلك تماماً أوضح ما نقل عن الإمامين المتقدمين بنقلين عن الإمام ابن الجوزي، توفي: ٥٩٧ –رحمه الله تعالى– قال في كتابه صيد الخاطر: "تأملت في نفسي تأويلاً في مباح أنال به شيئًا من الدنيا، إلا أنه في باب الورع كدر، فرأيته أولًا قد احْتَلب درَّ الدين، فَذَهَبَتْ حلاوة المعاملة لله تعالى، ثم عاد فَقَلَّصَ ضَرْعَ حَلْبي له، فوقع الفَقْدُ للحالين، فقلت لنفسي: ما مثلك إلا كمثل والٍ ظالم، جمع المال من غير حِلِّه، فصودر، فأُخِذَ منه الذي جمع، وأُلزم ما لم يجمع، فالحذر الحذر من فساد التأويل، فإن الله تعالى لا يُخَادَعُ، ولا يُنال ما عنده بمعصيته".[٣]

وقال: "وأنا أقول عن نفسي: ما نزلت بي آفةٌ أو غم أو ضيقُ صدر، إلا بزلل أعرفه، حتى يمكنني أن أقول: هذا بالشيء الفلاني، وربما تأولت فيه بعد، فَأَرى العقوبة. فينبغي للإنسان أن يترقب جزاء الذنوب، فقل أن يسلم منه".[٤]

نعم عَلَت رتبةُ القوم فعرفوا من أين أُتوا، وبما عُوقبوا، قال أبو طالب المكي في "قوت القلوب" توفي سنة: ٣٨٦ –رحمه الله– وتابعه الزبيدي في "إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين" وقد توفي سنة: ١٢٠٥ –رحمه الله–: "دقائق العقوبات على قدر جلائل الدرجات، والعقوبة موضوعها الشِّدةُ والمشقة، فعقوبة كل

---

[١] أبو نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج٨، ص١٠٩. ابن الجوزي، في صفة الصفوة، ج٢، ص٢٣٨. وفي صيد الخاطر، ص٧٣. أبو طالب المكي، قوت القلوب، ج١، ص٣٧٧. الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٤، ص٥٣. محمد بن محمد الحسيني الزبيدي، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، ج٨، ص٦١٨. ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص١٩٩.

[٢] ليس بحديث شريف مرفوع إلى نبينا –ﷺ– كما في مجموع الفتاوى: ج١٨، ص٣٨٣. وَنُقِلَ عن الزاهد الصالح سهل التستري، توفي: ٢٨٣ –رحمه الله– كما في إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، ج٦، ص٥٣١. وهو منسوب فيه أيضاً: ج٦، ص٥٧٤، وج٨، ص٦٠٨، إلى الزاهد العابد أبي سعيد الخَّراز أحمد بن عيسى، توفي: ٢٨٦ وقيل ٢٧٧ – رحمه الله– وهو كلام حق تناقله أئمتنا ووجهوه بنحو ما ذكرت كما في مجوع الفتاوى: ج١١، ص٤١٥. ومدارج السالكين، ج١، ص٢٥٧، ج٢، ٢٨٥. والحاوي للفتاوي، ج٢، ص٢٣٤.

[٣] ابن الجوزي، صيد الخاطر، ص٩٤.

[٤] ابن الجوزي، صيد الخاطر، ص٣٩١–٣٩٢.

أحد من حيث تشتد عليه، فأهلُ الدنيا يُعاقَبونَ بحرمان رزق الدنيا من تعذر الاكتساب وإتلاف الأموال، وأهل الآخرة يعاقبون بحرمان رزق الآخرة من قلة التوفيق للأعمال الصالحة، وتعذر فتوح العلوم الصادقة، ذلك تقدير العزيز العليم".[١]

ثانياً: سَمْتُ الموهوب.

يراد من السمت هنا: حسن الهيئة وجمال المنظر في الدين، فيتزين بِزِيّ الصالحين، وَيلْزمُ هديهم القويم.

قال أبو عبيد في غريب الحديث الشريف: "السمت يكون في معنيين أحدهما: حسن الْهَيْئَة والمنظر فِي مَذْهَب الدَّين وَلَيْسَ من الْجمال والزينة وَلَكِن يكون لَهُ هَيْئَة أهل الْخَيْر ومنظرُهم.

وأما الوجه الآخر: فَإِن السَّمت الطَّرِيق يُقَال: الزم هَذَا السَّمْتَ. كِلَاهُمَا لَهُ معنى جيد، يكونُ أَن يلْزم طَرِيقَة أهلِ الْإِسْلَام، وَيكونُ أَن يكون لَهُ هَيْئَة أهل الْإِسْلَام".[٢]

نعم إن السمتَ الظاهرَ له أثر كبير عند الأفاضل، لتلقي العلم عن الموهوبين، كما ثبت في المسند، وصحيح الإمام البخاري، وسنن الإمام الترمذي، عن عبد الرحمن بن يزيد قال: "سألت حذيفة عن رجل قريب السَّمْتِ والهَدْيِ والدَّلِّ[٣] من رسولِ الله -ﷺ- حتى نأخذَ عنه؟ فقال: ما نعلم أحداً أقربَ سَمْتاً وهَدْياً ودَلاًّ بالنبيّ -ﷺ- من ابنِ أمِّ عبد، حتى يتوارى بجدار بيته، ولقد عَلِمَ المحفُوظُون من أصحاب محمد -ﷺ-: أن ابنَ أمِ عبدٍ أقربُهم إلى الله وسيلة".[٤]

ومما لا ينبغي أن يختلف فيه اثنان أن الطِّيبَ المعنويَّ أطيبُ شَذَاً من الطيب الحسي، ثبت في المسند والسنن بسند صحيح حسن عن عبد الله بن سَلَام -رضي الله عنه- قال: "أول ما قدم رسولُ الله -ﷺ- المدينةَ

---

[١] أبو طالب المكي، قوت القلوب، ج١، ص٣١٢.

[٢] أبو عُبيد القاسم بن سلاّم، غريب الحديث، ج٣، ص٣٨٤. ونحوه للزمخشري، في الفائق في غريب الحديث، ج٢، ص١٩٨-١٩٩، "سمت". ولابن الجوزي، غريب الحديث: ج١، ص٤٩٥-باب السين مع الميم، ولابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، رقم:٧٤٦٧. وابن حجر، فتح الباري، ج١٠، ص٥١٠.

[٣] قال ابن الملقن في، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ج٢٠، ص٣٦٤: "الدل -بفتح الدال-: (الشكل) التي يكون عليها الإنسان من السكينة والوقار، وحسن السيرة والطريقة والمنظر والهيئة".

[٤] أحمد بن حنبل، المسند، ج٥، ص٣٨٩-٣٩٤-٤٠٢. صحيح البخاري، رقم: ٣٧٦٢-٦٠٩٧. الترمذي، السنن، رقم:٣٨٠٩. وهو في جامع الأصول، رقم: ٦٥٨٧. وغير ذلك من دواوين السنة الشريفة.

انْجَفَل الناس إليه، فكنتُ فيمن جاءه، فلما تأمَّلْتُ وجهه واسْتَثْبَتُّه، عرفتُ أنَّ وجهه ليس بوجهِ كَذَّاب، قال: فكان أولَ ما سمعتُ من كلامِهِ أن قال: يا أيُّها الناس، أفْشُوا السلام، وأطعموا الطعام، وصَلُّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنةَ بسلام".[١]

ولذلك كان السمتُ: أحسنَ ما قيل في وصف نبينا الجليل -ﷺ- قال: شاعر الإسلام عبد الله بن رواحة -رضي الله عنه-:

لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بَديهتُه تُنبيك بالخبر[٢]

وقد أخبرنا نبينا -ﷺ- عن أثر السمت ومنزلته، ففي المسند، والأدب المفرد، عن أسماءَ بنتِ يزيد الأنصارية -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله -ﷺ- " ألا أخبركم بخياركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله -ﷺ- قال: الذين إذا رُؤوا ذُكِرَ الله"[٣] -ﷻ-.

هذا السَّمْتُ علامة على الوهب، ولا يكون إلا بحب من الكريم الوهاب، ويتبعه حب الخلق للموهوب، كما ثبت في المسند والصحيحين والسنن عن نبينا -ﷺ- قال: "إذا أَحَبَّ اللهُ العبدَ نادى جبريلَ: إنَّ اللهَ يحبُّ فلاناً فأَحِبُّوه، فيُحِبُّه أهلُ السماءِ، ثم يُوضَع له القَبول في الأرضِ".[٤]

والذي يبدو لي -والعلم عند ربي-: أن المراد من وضع القبول له في الأرض. عند الصالحين من أهل الأرض، فتميل إليه قلوبهم بالمحبة والرضا، ويشهدون له بالصلاح والخير والهدى، فهم شهداء الله في أرضه[٥]،

---

[١] أحمد بن حنبل، المسند، ج٥، ٤٥١. الترمذي، السنن، رقم٢٤٧٨. ابن ماجه، السنن، رقم: ١٢٣٥-٢٣٥١. الحاكم، المستدرك، ج٣، ص١٣، ج٤، ص١٥٩. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، وأقره الذهبي، وهو في جامع الأصول، رقم: ٧٢٩٥.

[٢] نسبه إليه الحافظ ابن حجر في ترجمته في الإصابة، ج٦، ص١٤٢، رقم: ٤٦٩٨. واعتبره من أحسن ما مدح به النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو كذلك في شرح الزرقاني على المواهب اللدنية، ج٤، ص٧٢، ونسبه لحسان بن ثابت -رضي الله عنه- المبرد، الكامل، ص٩-١٠. وهو كذلك في تفسير ابن كثير، ج٢، ص٤١٠. وشرح الطحاوية، ص٩٥.

[٣] أحمد بن حنبل، المسند، ج٦، ٤٥٩. البخاري، الأدب المفرد، ص٣٢٣. ابن ماجة، السنن، رقم: ٤١١٩.

[٤] أحمد بن حنبل، المسند، ج١٦، ٣٩٣، رقم: ١٠٦٧٤. البخاري، الصحيح، رقم: ٣٢٠٩، ومسلم في، الصحيح، رقم: ٢٦٣٧، وهو في جامع الأصول، رقم: ٤٧٨٤.

[٥] ثبت بسند صحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنه قال: "مروا بجنازة، فأثنوا عليها خيرا، فقال النبي -ﷺ-: وجبت ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرا، فقال: وجبت فقال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: ما وجبت؟ قال: هذا أثنيتم عليه خيرا، فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شرا، فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض". أخرجه البخاري في، الصحيح، رقم: ١٣٦٧. والترمذي في، السنن، رقم: ١٠٥٨، وهو في جامع الأصول، رقم: ٦٧٤٣.

ولعل الحافظ ابن حجر أراد هذا بقوله: "يؤخذ منه أن محبة قلوب الناس علامة على محبة الله" ولذلك قال السندي في حاشيته على المسند: "لا يلزم منه العموم، بل هو على قدر ما أراد الله له من القبول في الأرض، كيف ومعاداة الأشرار للأخيار معلومة"!.[١]

وإذا تحقق حسن السمت فيمن حصل له الوهب، فلابد من أربع علامات تصاحب الموهوب في كل وقت، لتكون علامة على حصول تمام السمت، وهي باختصار.

١. سكينة ووقار. ٢. تواضع وانكسار.

٣. بهاء وأنوار. ٤. خشوع وبكاء مدرار.

هذه سمات الموهبين، وهي موجودة في أهل الوهب من قرَّاء القرآن الكريم كما قال الصحابي الموهوب عبدالله بن مسعود –رضي الله عنه– "ينبغي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يُعْرَفَ بِلَيْلِهِ إِذَا النَّاسُ نَائِمُونَ، وَبِنَهَارِهِ إِذَا النَّاسُ يُفْطِرُونَ، وَبِحُزْنِهِ إِذَا النَّاسُ يَفْرَحُونَ، وَبِبُكَائِهِ إِذَا النَّاسُ يَضْحَكُونَ، وَبِصَمْتِهِ إِذَا النَّاسُ يَخْلِطُونَ، وَبِخُشُوعِهِ إِذَا النَّاسُ يَخْتَالُونَ، وَيَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ بَاكِيًا مَحْزُونًا حَكِيمًا حَلِيمًا عَلِيمًا سِكِّيتًا، وَلَا يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ جَافِيًا، وَلَا غَافِلًا، وَلَا صَخَّابًا، وَلَا صَيَّاحًا، وَلَا حَدِيدًا".[٢]

وقد كان السلف الصالح، يولون هذه العلامات اهتماماً كبيراً، فِيمَنْ يأخذون العلم عنه، يقول إمام دار الهجرة الشريفة: "إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم".[٣] وقال –رحمه الله–: "رأيت أيوب السختياني بمكة حجتين فما كتبت عنه، ورأيته في الثالثة قاعداً في فِناء زمزم، فكان إذا ذكر النبي –ﷺ– عنده يبكي حَتى أَرحمَه، فلما رأيت ذلك كتبت عنه".[٤]

---

[١] ابن حجر، فتح الباري، ج١، ص ٤٦٢. حاشية السندي على المسند، ج١٥، ص٢٦٨.

[٢] أبي نعيم، حلية الأولياء، ج١، ص١٣٠. أبي عبيد، فضائل القرآن، ص١١٣. السخاوي، جمال القراء وكمال الإقراء، ج١، ص٢٨٦. شرح الأثر في، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، ج٤، ص٤٦٨. وهو في التبيان في آداب حملة القرآن، ص٤٣.

[٣] خرج الأثر بن عبد البر، الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء، ص١٦. والقاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام الإمام مالك، ج١، ص١٢٣.

[٤] المصدر السابق.

وأيوب السختياني، ت١٣١، نعته الذهبي في سير أعلام النبلاء، ج٦، ص١٥، بالإمام الحافظ سيد العلماء. وهو تابعي جليل وحديثه في الكتب الستة وغيرها من دواوين الحديث الشريف.

وحال الإمام مالك في اعتبار سَمْتِ الشيوخ وهيئتهم هو حال سلفنا ليكونوا قدوة حسنة لطلابهم، قال الإمام إبراهيم النخعي –رحمه الله–: "كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه العلم، نظروا إلى صلاته، وسمته، وهيئته، ثم يأخذون عنه".[١]

قال الحسن البصري –رحمه الله– "كان الرجل يطلب العلم، فلا يلبث أن يرى ذلك في تخشعه، وهديه، ولسانه، وبصره، ويده".[٢]

وبالختام: فالسمت، والدل، والهيئة، هي عنوان الأدب ولا بد للكَيِّس من علم ليرتفع به عن دركة الحيوان البهيم، كما لا بد له من أدب كريم ليلتحق بالملائكة الكرام الطيبين –على نبينا وعليهم صلوات الله وسلامه– قال الإمام أبوا زكريا العنبري –رحمه الله–: "علم بلا أدب كنار بلا حطب، وأدب بلا علم كروح بلا جسم".[٣]

ثالثاً: مسلك الموهوب علامة على وجود الوهب في الموهوب.

وهذه العلامة هي أبرز العلامات، فهي ظاهرة للعيان، ولها موازينها الثابتة الحسان، ويمكن أن تُجمل في أربعة أمور.

أولها: زِيّ شرعي يدل على أنه تقي، وكان السلف الصلح يقولون: "أول النسك الزِّيُّ، ومن رقّ ثوبهُ رقّ دينهُ، والثياب الرقاق لباس الفساق".[٤] قال عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه– "لا يُشبه الزِّيُّ الزيَّ حتى يشبه القلبُ القلبَ"[٥]

---

[١] كما في سنن الدارمي، ج١، ص١١٣، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: ج١، ص١٨٢.

[٢] ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج١، ص ٢٥٨.

[٣] كما قال عبد الكريم السمعاني، في أدب الإملاء والاستملاء، ت:٥٦٢، والجامع لأخلاق الراوي وآدب السامع، ج١، ص٨٠. وأبو زكريا العنبري هو: الإمام الثقة المفسر المحدث الأديب العلامة يحيى بن محمد العنبري النيسابوري، توفي:٣٤٤ –رحمه الله– كما في سير أعلام النبلاء، ج١٥، ص٥٣٣–٥٣٤.

[٤] أبي طالب المكي، قوت القلوب، ج١، ص٣٤٦. الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٤، ص٢٢٩، وشرحه، ج٩، ٣٥٧. وجملة من "رق ثوبه رق دينه" رواها الدولابي في كتابه، الأسماء والكنى في –حرف الغين– ص٨٠، بسنده إلى أبي الغُدير المكي، أنه كان يقال: فذكره، وقد تناقل هذه الجملة العلماء في كتبهم كما في إحياء علوم الدين، ج٢، ص٩٨. وشرحه إتحاف السادة المتقين، ج٦، ص٩٢. ومرقاه المفاتيح، ج٤، ص٤٣٣. وقد نسبها الإمام ابن كثير في البداية والنهاية إلى الإمام الحسن البصري في ترجمته، ج٩، ص٢٧١.

[٥] قوت القلوب، ج١، ص٣٤٦. الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٤، ص٣٥٧. وشرحه، ج٩، ٣٥٧.
وفي الثلاثة أيضاً، وفي فيض القدير، ج٤، ص١٢٩، "أوحى الله إلى بعض الأنبياء –على نبينا وعليهم صلوات الله وسلامه–: قل لأوليائي لا يلبسوا ملابس أعدائي ولا يدخلوا مداخل أعدائي، فيكونوا كما هم أعدائي".

ومن المعلوم أن الفساق لا يبالون بما يلبسون، فصار التزيي بِزِيِّهم مذموم[1] كما أنه في نفسه مذموم، والتشبه بما هو من شعار العصاة مذموم، وإن كان مباحاً في أصله.

وللإمام ابن تيمية –رحمه الله– في توضيح ذلك كلام نفيس جداً في كتابه: "اقتضاءُ الصراطِ المستقيم مخالفةَ أصحاب الجحيم" قال –رحمه الله–: "إن الصراط المستقيم هو: أمور، باطنة في القلب، من اعتقادات، وإرادات، وغير ذلك، وأمور ظاهرة من أقوال، أو أفعال قد تكون عبادات، وقد تكون أيضا عادات في الطعام واللباس، والنكاح والمسكن، والاجتماع والافتراق، والسفر والإقامة، والركوب وغير ذلك، وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينهما ارتباط ومناسبة، فإن ما يقوم بالقلب من الشعور والحال يوجب أموراً ظاهرة، وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال، يوجب للقلب شعوراً وأحوالاً.

وقد بعث الله محمدا –ﷺ– بالحكمة التي هي سنته، وهي الشرعة والمنهاج الذي شرعه له، فكان من هذه الحكمة أن شرع له من الأعمال والأقوال ما يباين سبيل المغضوب عليهم والضالين، فأمر بمخالفتهم في الهَدْيِ الظاهرِ وإن لم يظهر لكثير من الخلق في ذلك مفسدة لأمور: منها: أن المشاركة في الهدي الظاهر تورثُ تناسباً وتشاكلاً بين المتشابهين، يقود إلى موافقة في الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس، فإن اللابسَ ثيابَ أهل العلم يجد من نفسه نوعَ انضمام إليهم، واللابسَ لثياب الجند المقاتلة يجد من نفسه نوعَ تخلقٍ بأخلاقهم، ويصير طبعه متقاضياً لذلك، إلا أن يمنعه مانع".[2]

وقال –رحمه الله–: "وقد بسطنا هذه المسألة في اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم وبينا أن المشابهة في الأمور الظاهرة تورث تناسباً وتشابهاً في الأخلاق والأعمال ولهذا نهينا عن مشابهة الكفار ومشابهة الأعاجم ومشابهة الأعراب، ونهى كلا من الرجال والنساء عن مشابهة الصنف الآخر كما في الحديث المرفوع: من تشبه بقوم فهو منهم[3] وليس منا من تشبه بغيرنا[1] والرجل المتشبه بالنساء يكتسب من أخلاقهن بحسب تشبهه حتى يُفضيَ الأمرُ به إلى التخنث المحض والتمكين من نفسه كأنه امرأة".[2]

---

[1] توضيح ذلك عند أبو طالب المكي، في قوت القلوب، ج ١، ص ٣٤٧. الزبيدي، إتحاف السادة المتقين، ج٦، ص٢٩.

[2] ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، ص١١–١٢.

[3] الحديث ثابت صحيح مروي عن عدد من الصحابة الكرام –رضي الله عنهم– كما في المسند، ج٢، ص٥٠، ٩٢. وسنن أبي داود، رقم: ٤٠٣١، ومصنف ابن أبي شيبة، ج٥، ص٣١٣، ج١٢، ص٣٥١.

ثانيها: مذهب سُنيٌّ سَنيٌّ، سار عليه جماعة الحق الجلي، ولا يتم ذلك إلا بالسلامة من الشبهات، والأهواء المضلات، فمن ابتلى بشيء من تلك الضلالات فهو مخذول، وعن وهب الكريم الوهاب مطرود معزول قال –سبحانه وتعالى–:{إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُون} [الأنعام:١٥٩] والتفريق في الدين شامل لأمرين:

أولهما: الإيمانُ ببعضه والكفر ببعضه، وقد حكم الله الحكيم على من فعل ذلك الصنيع بالهوان والذل في الدينا، وبالعذاب الأليم يوم القيامة، كما في سورة البقرة: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُون}[البقرة:٨٥].

ثانيهما: تعدد الفرق والأحزاب واختلافها، بحيث تُشايُع كل فرقة إماماً لها وتتبعه وتناصره ويكون بأسهم بينهم.[٣]

والمعنيان متلازمان وينطبقان على أهل البدع والأهواء، فأحزابهم مختلفة متباينة، وكل فرقة ضالة منهم تأخذ طرفاً من الدين، وتعرض عن الجانب الثاني الثابت منه بيقين.

والآية الكريمة شاملة لمن تلبس بذلك الوصف الذميم من أهل الملل، ومن أهل الأهواء والبدع،[٤] وقد ورد ما يؤكد ذلك ويوضحه عن نبينا المكرم –ﷺ– فقال: "افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: الْجَمَاعَةُ ".[٥]

---

[١] رواه الترمذي، في سننه، رقم: ٢٦٩٦. وهو في جامع الأصول، رقم: ٤٨٦٤.

[٢] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢٢، ص١٥٤.

[٣] كما عند النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج٢، ص٩٢. وابن الجوزي، زاد المسير، ج٣، ص١٥٨.

[٤] كما في كتب التفسير المتقدمة، الألوسي، روح المعاني، ج٨، ص٦٨. السيوطي، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، تفسير آية، ٥٩، من سورة الأنعام.

[٥] هذا لفظ رواية ابن ماجة في سننه، رقم: ٣٩٩٢. وكتاب السنة، لابن أبي العاصم، رقم: ٦٣.

وهؤلاء المخالفون للكتاب والمختلفون فيه سيكون نبينا –ﷺ– حتماً وجزماً– ليس منهم في شيء ما، فلا يَسأل عنهم ولا يُسأل، ولا يهمه تفرقتهم ومفارقتهم، وهو –ﷺ– بريء منهم، وفي ذلك عِدَةٌ كريمة من ربنا الكريم لرسوله الأمين –ﷺ– بالعصمة منهم، فلا يصل إليه ضررهم، وسينتقم الله العظيم منهم عاجلاً وآجلاً ويذلهم[1] قال الله –عز وجل–:{إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِين}[الأعراف:١٥٢] قال سفيان بن عيينة: "ليس في الأرض صاحب بدعة إلا وهو يجد ذلَّة تغشاه، قال: وهي في كتاب الله تعالى: قالوا: وأين هي؟ قال: أو ما سمعتم قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا قالوا: يا أبا محمد، هذه لأصحاب العجل خاصة، قال: كلا، أتلو ما بعدها. وَكَذلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ فهي لكل مفتر ومبتدع إلى يوم القيامة"[2] ومن كان بهذه الوضاعة فهو مزجى البضاعة، محروم من وهب الله الكريم محجوب على بصره مختوم على قلبه.

وهذا مثال، يوضح حال طرائق أهل الزيغ والضلال، وكيف حرموا الوهب والفهم لما فارقوا أهل الحق والطريق الصحيح.

هذا عمرو بن عبيد المؤسس الثاني لبدعة الإعتزال، أخذ بدعته عن شيخه: واصل بن عطاء الغزَّال، كانت بدايته حسنه، ويحضر مجلس الإمام الحسن البصري، فلما أحدث بدعته زجره وطرده، فانضم إليه عمرو بن عبيد تلميذُه، واعتزلا حلقة الحسن البصري فسموا معتزلة.

وعمرو بن عبيد حامل راية بدعة الاعتزال مع شيخه وبعده. قال عنه النسائي: "ليس بثقة". وقال سفيان بن عيينة: "كان كذاباً، يكذب على الحسن البصري". وقال ابن حبان: "كان له جُرأةٌ، يشتم الصحابة الكرام. ومن

والحديث صحيح ثابت مروي عن عدد من الصحابة الكرام –رضي الله عنهم جميعاً– وقد تتابع العلماء على تصحيح الحديث والاحتجاج به. قال الحاكم في المستدرك، وأقره الذهبي: هذه أسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث. وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، ج٢، ص ٢٢٥، إسناده جيد. وصحح إسناده الزبيدي في شرح الإحياء، ج٨، ص ١٤٠. وصححه الشاطبي في كتابه الاعتصام، ج٢، ص ١٨٩ –٢٨٧. وفي مجموع الفتوى لابن تيمية، ج٢، ص٢٤٥، والحديث مشهور في السنن والمسانيد. وهكذا السخاوي يقرر تصحيح الحديث في كتابه، المقاصد الحسنة، ص١٥٨، ويقول: "إنه جمع طرقه في كتابه الفرق". بل عده السيوطي من الأحاديث المتواترة، كما في فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي، ج٢، ص ٢٠–٢١، وفيه: عدَّه المؤلف –يعني السيوطي مؤلف الجامع الصغير– من المتواتر.

[1] كما عند الألوسي، روح المعاني، ج٨، ص٦٨.

[2] رواه ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ج٥، ص١٥٧١. الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج٩، ص٤٩. والبيهقي، شعب الإيمان، ج٧، ٧٢، رقم: ٩٥٢٢. وهو في زاد المسير، ج٢، ص٢٦٦.

ذلك قوله: قبح الله سمرة بن جندب، وعثمان ليس على السنة، وعبد الله بن عمر حشوي –أي من الرُّذالة– ولو أن علياً وطلحة والزبير شهدوا عندي على شراك نعل، أو سواك لما أجزت شهادتهم" وختم الإمام ابن حجر ترجمته في تهذيب التهذيب بقوله: "والكلام فيه والطعن عليه كثير جداً".[١]

فمن كان مخذولاً كيف سيكون موهوباً، وسيأتي معنا في الفصل الثالث عند الكلام على نماذج من تفسير المتكلمين أن عمرو بن عبيد ومن على شاكلته من الفرق الزائغة خالفوا النقل الصحيح، وفارقوا العقل الصريح،{فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِين} [الصف:٥] وهذا مثال مختصر لبيان زيغ عمرو بن عبيد، قال قريش بن أنس: سمعت عمرو بن عبيد يقول: "يُؤتى بي يوم القيامة فأُقام بين يدي الله تعالى، فيقول لي: لِمَ قلتَ: إنّ القاتل في النار؟! فأقول: أنت قلته، ثم تلا: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣]، قال: فقلت له –وما في القوم أصغر مني–: أرأيتَ إن قال لك إني قد قلت: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨] من أين علمت أني لا أشاء أن أغفر لهذا؟! قال: فما رد عليَّ شيئًا".[٢]

ومما ينبغي التنبيه إليه أن الاختلاف المشروع ليس كالخلاف الممنوع فبين الاختلاف والخلاف ثلاثة فروق.

أولها: إذا اختلف الاجتهاد والمقصود واحد فهو اختلاف، وإذا اختلفا الاجتهاد والمقصود فهو خلاف.

ثانيها: الإختلاف يستند إلى دليل، والخلاف يستند إلى الرأي العليل.

ثالثها: الاختلاف من آثار الرحمة وفيه سعة، والخلاف من آثار البدعة وفيه تفرقة. ولذلك ينقض الحكم المبني على الخلاف، ولا ينقض الحكم المبني الاختلاف[٣].

ثالثاً: العمل الصالح دليل واضح على حصول الوهب في الموهوب، ومن المعلوم عند أهل الفهم، أن العلم النافع لا بد له من نية صالحة قبله ثم تلازمه وتصاحبه، ولا بد له أيضاً من عمل صالح يتبعه ويكون بعده.

---

[١] ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٨، ص٧٤.

[٢] الدارقطني، أخبار عمرو بن عبيد، ص٨٦. العقيلي، الضعفاء، ج٣، ص١٨٢–١٨٣. الذهبي، ميزان الاعتدال، ج٣، ص٢٧٧.

[٣] إيضاح ذلك عند الكوفي، الكليات، ص٧٩–٨٠. وعند ابن عابدين، رد المحتار ، ج٥، ص٤٠٣.

قال الإمام الخطيب البغدادي "ثُمَّ إِنِّي مُوصِيكَ يَا طَالِبَ الْعِلْمِ بِإِخْلَاصِ النِّيَّةِ فِي طَلَبِهِ، وَإِجْهَادِ النَّفْسِ عَلَى الْعَمَلِ بِمُوجَبِهِ، فَإِنَّ الْعِلْمَ شَجَرَةٌ وَالْعَمَلَ ثَمَرَةٌ، وَلَيْسَ يُعَدُّ عَالِمًا مَنْ لَمْ يَكُنْ بِعِلْمِهِ عَامِلًا، وَقِيلَ: الْعِلْمُ وَالِدٌ وَالْعَمَلُ مَوْلُودٌ، وَالْعِلْمُ مَعَ الْعَمَلِ، وَالرِّوَايَةُ مَعَ الدِّرَايَةِ فَلَا تَأْنَسْ بِالْعَمَلِ مَا دُمْتَ مُسْتَوْحِشًا مِنَ الْعِلْمِ، وَلَا تَأْنَسْ بِالْعِلْمِ مَا كُنْتَ مُقَصِّرًا فِي الْعَمَلِ وَلَكِنِ اجْمَعْ بَيْنَهُمَا، وَإِنْ قَلَّ نَصِيبُكَ مِنْهُمَا، وَمَا شَيْءٌ أَضْعَفُ مِنْ عَالِمٍ تَرَكَ النَّاسُ عِلْمَهُ لِفَسَادِ طَرِيقَتِهِ، وَجَاهِلٍ أَخَذَ النَّاسُ بِجَهْلِهِ لِنَظَرِهِمْ إِلَى عِبَادَتِهِ، وَالْقَلِيلُ مِنْ هَذَا مَعَ الْقَلِيلِ مِنْ هَذَا أَنْجَى فِي الْعَاقِبَةِ إِذَا تَفَضَّلَ اللَّهُ بِالرَّحْمَةِ، وَتَمَّمَ عَلَى عَبْدِهِ النِّعْمَةَ. وَهَلْ أَدْرَكَ مِنَ السَّلَفِ الْمَاضِينَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى إِلَّا بِإِخْلَاصِ الْمُعْتَقَدِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالزُّهْدِ الْغَالِبِ فِي كُلِّ مَا رَاقَ مِنَ الدُّنْيَا. وَكَمَا لَا تَنْفَعُ الْأَمْوَالُ إِلَّا بِإِنْفَاقِهَا، كَذَلِكَ لَا تَنْفَعُ الْعُلُومُ إِلَّا لِمَنْ عَمِلَ بِهَا، وَرَاعَى وَاجِبَاتِهَا فَلْيَنْظُرِ امْرُؤٌ لِنَفْسِهِ، وَلْيَغْتَنِمْ وَقْتَهُ، فَإِنَّ الثَّوَاءَ قَلِيلٌ وَالرَّحِيلَ قَرِيبٌ، وَالطَّرِيقَ مَخُوفٌ، وَالِاغْتِرَارَ غَالِبٌ، وَالْخَطَرَ عَظِيمٌ، وَالنَّاقِدَ بَصِيرٌ، وَاللَّهُ تَعَالَى بِالْمِرْصَادِ، وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَعَادُ {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه} [الزلزلة:٧].[١]

ورأس العلم والعمل مخافة الله –عز وجل– قال الإمام عبد الأعلى التيمي –رحمه الله–: "إنَّ من أوتي من العلم مالا يبكيه لخليق أن لا يكون أوتي علماً ينفعه، لأن الله –تبارك وتعالى– نعت العلماء فقال: {وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلا قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولا وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا }[الإسراء:١٠٥–١٠٩]".[٢]

إن هذه الصفة علامة واضحة على حصول الوهب من الكريم الوهاب، وهذه والتي قبلها لابد فيهما ليكون الموهوب ربانياً والوهب حقيقياً، وبفقدانهما يكون المرء مطروداً شقياً، حيث يلزم من فقد الاعتقاد السُّني السَّني وجود شبهة منكرة، كما يلزم من عدم العمل الصالح وجود شهوة محرمة.

---

[١] الخطيب البغدادي، اقتضاء العلم العمل، ص ١٤–١٦.

[٢] الأثر في كتاب الزهد لشيخ الإسلام عبد الله بن المبارك، ص ٤١. وسنن الدارمي –المقدمة– ج١، ص٨٨. ومصنف ابن أبي شيبة، ج١٣، ص٥٤٢. وتفسير الطبري، ج١٥، ص ١٢١. وحلية الأولياء، ج٥، ص٨٨. وهو في زاد المسير، ج٥، ٩٨. والدر المنثور، ج٤، ص ٢٠٦.

وقد خشي علينا نبينا –ﷺ– من هذين المرضين الخطيرين، كما في المسند وغيره من دواوين السنة الشريفة عن أبي برزة الأسلمي –رضي الله عنه– عن النبي –ﷺ– قال: "إنما أخشى عليكم شهواتِ الغيِّ في بطونكم وفروجكم، ومضلاتِ الهوى".[١]

نعم إن جميع المخالفات ترجع إلى الشبهات والشهوات، قال الإمام ابن تيمة: "وهذا القرآن يهدي للتي هي أقوم وهي وسط بين هذين الصنفين: أصحاب البدع وأصحاب الفجور ولهذا كان السلف يحذرون من هذين الصنفين".[٢]

وقال –رحمه الله– "وثم قسم آخر –وهو غالب الناس– وهو أن يكون له هوى فيه شبهة فتجتمع الشهوة والشبهة، ولهذا جاء في حديث مرسل عن النبي –ﷺ– أنه قال: "إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات".[٣]

ولبيان منزلة السلامة من هاتين الآفتين قال أئمتنا الكرام في بيان حال سيد أهل السنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل –رحمه الله–: "عن الدنيا ما كان أصبره، وبالماضين ما كان أشبهه، وبالصالحين ما كان ألحقه، عرضت عليه الدنيا فأباها، وعرضت عليه البدع فنفاها"[٤].

نعم للإنسان ظاهر وباطن، والكيس من راقب الله في باطنه، واتبع هدي النبي –ﷺ– في ظاهره، وكل من خرج عن ذلك فهو مخذول وعن الموهبة معزول.

وأختم هذه العلامة بقصة وردت في الرسالة القشيرية عن أبي يزيد طيفور بن عيسى البسطامي قال: "ذهبنا ننظر إلى رجل شَهَر نَفْسه بالولاية، وَكَانَ رجلاً مقصوداً مشهوراً بالزهد، فمضينا إليه، فلما خرج من بيته

---

[١] الأثر عند أحمد، المسند، ج٤، ص٤٢٠،٤٢٢. ومعجم الطبراني الصغير، ج١، ص٢٠٩، رقم ٥١١. وهو في جامع الأصول ج١١، ص ٧٠٩، رقم ٩٣٦٨.

[٢] ابن تيمية، مجموع الفتوى، ج٤، ص ٤٥٩.

[٣] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢٩، ص٤٤، ومثله في، ج٢٠، ص٥٨. والحديث الذي استشهد به، حديث ضعيف لكن معناه صحيح، قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، –المغني عن حمل الأسفار في الأسفار– ج٤، ص٣٨٨، رواه أبو نعيم في الحلية، ج٦، ص١٩٩، من حديث عمران بن حصين –رضي الله عنه– وفيه حفص بن عمر العدني، ضعفه الجمهور. اه.

[٤] كما عند ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد، ص١٣٢. ابن قدامة، المغني، ج١، ص٩. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١١، ص١٩٨. وقائل ذلك هو الإمام أبو عمير عيسى بن محمد بن النحاس، المتوفى:٢٥٦هـ –رحمه الله– مترجم في سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص٥٢.

ودخل الْمَسْجِد، رمى ببصاقه تجاه القبلة فانصرفت وَلَمْ أسلم عَلَيْهِ، وقلت: إنه غير ممؤتمن عَلَى أدب من آداب رَسُول اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فكيف يَكُون مأموناً عَلَى مَا يدعيه؟".[1]

وفعل هذا الإمام دل عليه هدي نبينا -عليه الصلاة والسلام- ومن حرم الاتباع فهو محروم من الوهب من باب أولى.

ثبت في المسند وسنن أبي داود، عن أبي سهلة السائب بن خلاد الخزرجي -رضي الله عنه- وهو من أصحاب رسول الله -ﷺ- قال: "إنَّ رجُلاً أمّ قوماً، فبصق في القِبلة، ورسولُ الله -ﷺ- ينظر فقال رسولُ الله -ﷺ- لقومه حين فرغ: لا يُصلّي لكم، فأراد بعد ذلك أن يصلِّيَ لهم، فمنعوه، وأخبروه بقول رسولِ الله -ﷺ- فذكر ذلك لرسولِ الله -ﷺ- فقال: نعم - أحْسِبُ أنه قال -: إنك آذيتَ الله ورسولَهُ".[2]

وقد ورد في تحريم البصاق تجاه القبلة مع الوعيد الشديد على ذلك أحاديثُ كثيرةٌ صحيحة في الصحيحين وغيرهما، وفيها دلالة على أن البزاق في القبلة حرام، سواء كان في المسجد أم لا، ولا سيما من المصلي، فلا يجري فيه الخلاف في أن كراهية البزاق في المسجد هل هي للتنزيه أو للتحريم.[3]

والخلاصة: إن العملَ الصالح، دليلٌ في منتهى الظهور على الفوز بموهبة الكريم الغفور.

العلامة الرابعة وهي أظهر العلامات، فهي عصب الحياة وهي: الأدب مع الخالق -جل وعلا- ثم مع المخلوقات.

---

[1] الرسالة القشرية، ص٣٩٦. والرد على المنطقين، ص٥١٥. وأبو زيد البسطامي توفي سنة: ٢٦١هـ -رحمه الله- مختلف في حاله ومنزلته، ولا شك أنه قد كذب عليه شيء كثير كما في مجموع الفتاوى، ج١٣، ص٢٥٧. له كلام نافع ونكت مليحة، كما في ميزان الاعتدال، ص٣، ج٣٤٦-٣٢٢، ما أحلى قوله: لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتفع في الهواء فلا تغيروا به حتى تنظروا كيف هو عند الامر والنهى وحفظ حدود الشريعة.
نعم ليس عندنا من يسلم له حاله، وقد يفعل الإنسان مالا يحمد فلا يكون مشكوراً، وقد يكون معذوراً، والحجة في النصوص الشرعية، قال ابنُ الجوزي في تلبيس إبليس: ص٣٥٥، عندنا شريعة لو رام سيدنا أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- أن يخرج عنها إلى العمل برأيه، لم يقبل منه. -حاشاه من ذلك وفداه نفسي-.

[2] أحمد، المسند، ج٤، ص٥٦. وسنن أبي داود، رقم:٤٨١، وصحيح الإمام ابن حبان، ج٤، ص٥١٦، رقم: ١٦٣٦. وللحديث شاهد يقويه من رواية عبد الله ابن عمرو -رضي الله عنهما- أخرجه الطبراني في معجمه الكبير، ج١٤، ٨٠، رقم:١٤٦٨٨. وقال عنه الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد، ج٢، ص٢١: رجاله ثقات. وقال المنذري في، الترغيب والترهيب، ج٢، ص٢٠٢: إسناده جيد.

[3] كما في فتح الباري، ج١، ص٥٠٨. والحديث في جامع الأصول، الأرقام: ٨٧٢٨-٨٧٣٧. والترغيب والترهيب، ج١، ص١٩٩-٢٠٢.

ومن المعلوم عند أهل الإيمان، أن كمال الإنسان بالعلم التام، وبالأدب على التمام، فالعلم النافع يرفع الإنسان عن درَكَةِ بهيم الحيوان، والأدب الكامل فاصل بين الإنسان والشيطان، ورافع رتبته إلى رتبة الملائكة الكرام –على نبينا وعليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام–.

نعم، لا تُنال معالي الرتب إلا بتحقيق الأدب، والإنسان من غير أدب كجسم بلا عصب، وما فاز من فاز إلا بحسن الأدب، وما سقط من سقط إلا بسوء الأدب.

ومن المعلوم قطعاً وجزماً أن سيد الموهوبين هو رسولنا الكريم سيدُ الخلق أجمعين –ﷺ– وقد قال: "أدبني ربي فأحسن تأديبي، ثم أمرني بمكارم الأخلاق فقال: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}[الأعراف:١٩٩]"[١] قال المناوي في فيض القدير: "وفي هذا من تعظيم شأن الأدب مالا يخفى، ومن ثَمَّ قالوا: الأدب صورة العقل، فَصَوِّرْ عقلَك كيف شئت، والفضل بالعقل والأدب، لا بالأصل والنسب، لأن من ساء أدبه ضاع نسبه، ومن ضل عقله ضل أصله".[٢]

وقد كان السلف الصالح يوصون ويتواصون بالتخلق بأحسن الآداب، ليتأهبوا للوهب من الكريم الوهاب، ويرون التفريط بذلك من أكبر علامات الخذلان والتباب، ولهم في ذلك كلامٌ جدٌّ مستطاب.

هذا إمام دار الهجرة المباركة الإمام المبارك الموهوب مالك بن أنس يوصي تلميذه المبارك الإمام الشافعي بقوله: "يامحمد! اجعل علمك ملحاً وأدبك دقيقاً".[٣]

نعم إن قليلَ العلم يكفي، وكثيرُ الأدب لا يكفي، قال شيخ الإسلام الإمام عبدالله بن المبارك: "نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم"[٤] وقال الإمام سفيان الثوري: "كان يقال: حسن الأدب يطفئ

---

[١] رواه السمعاني في، أدب الإملاء والاستملاء في الصفحة الأولى، وهو أول حديث فيه، من رواية عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه–. قال الإمام الزركشي: معناه صحيح، لكنه لم يأتِ من طريق صحيح. كما في فيض القدير شرح الجامع الصغير، ج١، ص٢٢٥. وفي المقاصد الحسنة للسخاوي: اقتصر شيخنا "الحافظ ابن حجر" على الحكم عليه بالغرابة في بعض فتاويه، لكن معناه صحيح. وفي مجموع الفتاوى، ج١٨، ص٣٧٥: المعنى صحيح، لكن لا يعرف له إسناد ثابت.

[٢] المناوي ، فيض القدير، ج١، ص٢٢٥.

[٣] كما في لوامع الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية، ص٦٤٢. والفروق للإمام القرافي، ج٣، ص ٩٦، وقال شارحاً له: "أي استكثر من الأدب حتى يكون نسبته في الكثرة نسبة الدقيق إلى الملح وكثير من الأدب مع القليل من العمل الصالح خير من كثير العمل مع قلة الأدب".

[٤] عبد الكريم القشيرى، الرسالة القشرية، ص٢٨٥. ومدارج السالكين، ج٢، ص ٣٧٦.

غضب الرب"[١] وقال الإمام أبو علي الدقَّاق: "ترك الأدب موجب يوجب الطرد، فمن أساء الأدب على البساط رُدَّ إلى الباب، ومن أساء الأدب على الباب رُدَّ إلى سياسة الدواب".[٢]

وقد تحلى أئمتنا أئمة الهدى بأعلى مراتب الأدب فنالوا المواهب وأطيب المنى، أما أدبهم مع ربهم فهو جليل جميل، والشروع في بعضه طويل طويل، ولذلك سأقتصر على ثلاثة أمثلة توضح أدبهم الرفيع مع بعضهم، وفيها بيان تأهلهم لوهب ربهم، وَلِنتعرض لنفحاتِ ربنا الكريم –في آخر الفصل الأول– بأخبار الصالحين الموهبين، فعند ذكرهم تنزل رحمة أرحم الراحمين.[٣]

قال الإمام محمد بن يونس: "ما رأيت للقلب أنفع من ذكر الصالحين" وقال الإمام خلف بن حوشب: "ما وجدت شيئاً أنفع لي من ذكر أخلاق القوم".[٤]

أولها: أدب فقيه الملة الإمام أبي حنيفة مع شيوخه الكرام –رحمهم الكريم الرحمن–: قال: "ما صليت منذ مات حمادُ بنُ أبى سليمان صلاة إلا استغفرت له مع والدَيِ، وإني لأستغفر لمن تعلمت منه أو تعلم منى، وقال: ما مددت رجلى نحو دار أستاذى حمادَ بنِ أبى سليمان إجلالاً له، وكان بين داره وداري سبعُ سكك".[٥]

نعم هذا حال سيدنا فقيه الإسلام، ولقد وضع الإمام الذهبي الكلام في موضعه في ترجمة فقيه المِلَّة بقوله في بداية ترجمته: "الإمام فقيه الملة، عالم العراق أبو حنيفة عُني بطلب الآثار، وارتحل في ذلك، وأما الفقه والتدقيق في الرأي وغوامضه، فإليه المنتهى، والناس عليه عيال في ذلك" وختم ترجمته بقوله: "قال الإمام

---

[١] أبي نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج ٧، ص ٧٩.

[٢] عبد الكريم القشيرى، الرسالة القشرية، ص٢٨٤. ابن القيم، مدارج السالكين، ج٢، ص ٣٧٦.

[٣] ورد هذا الأثر في كتاب مسائل الإمام أحمد للإمام أبي داود، ص٢٨٣، قال: سمعت أحمد قال سمعت ابن عيينة يقول: كان يقال: تنزل الرحمة عند ذكر الصالحين. والأثر في حلية الأولياء، ج٧، ص ١٨٥. و في صفة الصفوة، ج١، ص ٤٥، وهو كذلك في المقاصد الحسنة، ص٢٩٦، وذكره الغزالي في الإحياء، ج٢، ص٢٣١، حديثاً مرفوعاً، فتعقبه العراقي في تخريجه بقوله: "ليس له أصلاً في المرفوع إنما هو من قول سفيان بن عيينة".

[٤] ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج١، ص ٤٥.

[٥] الأفغاني، مولوي محمد ملا عبد القادر، عقود الجمان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، ص٢٩٣. ابن حجر الهيتمي، الخيرات الحسان مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، ص٨٢.

الشافعي الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة. قلت: الإمامة في الفقه ودقائقه مسلمة إلى هذا الإمام، وهذا أمر لا شك فيه ".[١]

ثانيها وثالثها: أدب جم راق بين الشيخ الإمام الشافعي، وبين التلميذ الإمام أحمدَ بنِ حنبل –رحمهم الله– يقول الأستاذ الإمام لتلميذه الامام: "أنتم أعلم بِالْحَدِيثِ وَالرِّجَالِ مِنِّي، فَإِذَا كَانَ الْحَدِيثُ صَحِيحًا فَأَعْلِمُونِي، حَتَّى أَذْهَبَ إِلَيْهِ، إِذَا كَانَ صَحِيحًا" وقال التلميذ الإمام قال لنا الشافعي الإمام: "إذا صح عندكم الحديث عن النبي –ﷺ– فقولوا حتى أذهب إليه، في أي بلد كان"[٢] وكان الشيخ الإمام يلقب تلميذه الإمام بالثقة، ولا يسميه إجلالاً له. قال الإمام عبد الله ولد الإمام أحمد: "كل شيء في كتب الشافعي حدثني الثقة عن هشيم، وعن غيره من العراقيين فهو أبي".[٣]

وختاماً لذكر أدبهما الجليل، ولطفهما النبيل، أختم بهذا الخبر الجميل، كتب الإمام الشافعي –رضي الله عنه– لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– مَا لَفْظُهُ:

قَالُوا يَزُورُك أحمد وَتَزُورُهُ ... قُلْت الْفَضَائِلُ لَا تُفَارِقُ مَنْزِلَهْ

إنْ زَارَنِي فَبِفَضْلِهِ أَوْ زُرْتُهُ ... فَلِفَضْلِهِ فَالْفَضْلُ فِي الْحَالَيْنِ لَهْ

فَأَجَابَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–:

إنْ زُرْتنَا فَبِفَضْلٍ مِنْك تَمْنَحُنَا ... أَوْ نَحْنُ زُرْنَا فَلِلْفَضْلِ الَّذِي فِيكَا

فَلَا عُدِمْنَا كِلَا الْحَالَيْنِ مِنْك وَلَا ... نَالَ الَّذِي يَتَمَنَّى فِيك شَانِيكَا[٤]

---

[١] ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج١٠، ص٤٥٢.

[٢] الأثر الأول في آداب الشافعي ص٩٤–٩٥. والثاني في مناقب الإمام الشافعي ج١، ص٤٧٦. وزيادة "في أي بلد كان" في حلية الأولياء، ج٩، ص١٠٦.

[٣] الحنظلي، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، آداب الشافعي ص٩٦. البيهقي، مناقب الإمام الشافعي، ج٢، ص٣١٥. وراجع طبقات الشافعية الكبرى، ج٢، ص٣٠. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١١، ص١٨٢–٢١٠. السيوطي، تدريب الراوي، ص٢٠٨.

[٤] أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب، ج٢، ص٢٧٩.

ولله در الإمام الذهبي عند ما افتتح ترجمة الإمام بقوله: "الإمام عالم العصر، عالم الحديث، فقيه الملة، وهذه الأوراق تضيق عن مناقب هذا السيد. ثم ختم ترجمته العطرة بقوله العطر: لا نلام والله على حب هذا الإمام، لأنه من رجال الكمال في زمانه".[1]

وافتتح ترجمة التلميذ الإمام أحمد، بقوله: "هو الإمام حقاً، وشيخ الإسلام صدقاً" ثم ختم ترجمته بصبره على الحق وثباته عليه في محنة خلق القرآن، ولما قيل له يا أبا عبد الله، أولا ترى الحقَّ كيف ظهر عليه الباطلُ؟! قال: "كلا، إن ظهور الباطل على الحق أن تنتقل القلوب من الهدى إلى الضلالة، وقلوُبنا بعد لازمة للحق".[2]

وبهذا يكون قد تم الفصل الأول بفضل الله –عز وجل– وفقني ربي لإتمام بحثي بفضله وكرمه وإحسانه، إنه جواد، كريم وهو أرحم الراحمين.

---

[1] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٠، ص٥–٩٩. وهو أول ترجمة في المجلد العاشر.

[2] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١١، ص١٧٧–٣٥٨.

الفصل الثاني

وجود الموهبة في التفسير

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: أثر الاتصاف بالموهبة في المفسر

المبحث الثاني: نماذج من تفاسير الموهوبين

المبحث الأول

أثر الاتصاف بالموهبة في المفسر

كل ما تقدم في الفصل الأول دار حول الموهبة بصفة عامة، وحول مدلولها الشرعي بصفة خاصة.

وسأعرض في هذا المبحث: الكلام على خصوص الموهبة في المفسر، وأثر الوهب في الموهوب في تفسير كلام الله علام الغيوب.

إن عمل المفسر أشرف عمل، كيف لا، وهو متعلق بكلام ربنا الحكيم الأكرم، وعلم التفسير أشرف العلوم رتبة، وأعلاها درجة، وأرفعها منزلة، فقد اكتملت فيه الأمور الخمسة الحسان التي يعرف بها منزلة العلم وفضله، فصار لعلم التفسير أعلا مقام، وهذه الأمور هي:

أولا: موضوع علم تفسير القرآن: كلام ربنا ذي الجلال والإكرام، وما عسى أن يقول فيه الإنسان؟ فهو مَعْدِنُ الحِكَمِ الحسان، وينبوع فضائل الكرام، وفضله على سائر الكلام كفضل ربنا الرحمن على سائر الأنام، وقد ثبت التصريح بذلك عن نبينا –عليه الصلاة والسلام– عن أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه– قال: قال رسولُ الله –ﷺ–: يقول الرب –تبارك وتعالى: "مَن شَغَلَهُ قراءةُ القرآن عن مسألتي: أعطيتُهُ أفضل ما أُعْطِي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه".[1]

ثانياً: معلوم علم التفسير أشرف معلومات العلوم، كما أن موضوعه أشرف موضوعاتها، فهو مع أنه مرادُ الله الحكيم الدَّالُ عليه كلامهُ الكريم، فهو جامع للعقائد الحقة اليقينية، والأحكام القيمة الشرعية، وغير ذلك مما لا بد منه لسعادة البرية، قال الله –عز وجل–{وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} [النحل:٨٩] قال الطبري –رحمه الله–: "يقول: نزل عليك يا محمد هذا القرآن بيانا لكلّ ما بالناس إليه

---

[1] أخرجه الترمذي، السنن: رقم: ٢٩٢٧، وقال: هذا حديث حسن غريب، وهو عند الدارمي، السنن: ج٢، ص٤٤١. وهو في جامع الأصول: ٦٢٨٧، ونقص الشطر الثاني منه، وهو موجود في رواية الإمام الترمذي، ولعل ذلك النقص من عمل الناشرين. ولا ينزل الحديث الشريف بشطريه عن درجة الحسن، كما نص على ذلك الترمذي، وقد استشهد بالحديث الشريف مع حكايته تحسين الترمذي له جم غفير من أئمة الإسلام، منهم: النووي في، التبيان في آداب حملة القرآن، ص: ١٤، ابن تيمية كما في، مجموع الفتاوى: ج١٠، ص٢٤٥، ابن القيم في، الوابل الصيب: ص١١٨–١١٩، والحافظ ابن حجر في، فتح الباري:ج٩،ص٦٦، وذكر شواهد له أيضاً.

الحاجة من معرفة الحلال والحرام والثواب والعقاب وَهُدًى من الضلال وَرَحْمَةً لمن صدّق به، وعمل بما فيه من حدود الله، وأمره ونهيه، فأحل حلاله، وحرّم حرامه".[1]

ثالثاً: وَثَاقة دليل علم التفسير. فهو أقوى العلوم دليلاً، وأقوها قيلاً، وأصدقها سبيلاً، كيف لا، وهو المبين للمهيمن على ما سواه بالنقل الثابت الصحيح، والعقل السديد الصريح.

رابعاً: غاية علم التفسير وفائدته أشرف غاية، وهي: الاعتصام بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والوصول –عاجلاً وآجلاً– إلى السعادة الحقيقية التي لا زوال لها. ويشهد لذلك ما ورد عن رسول الله –ﷺ– أنه قال: "من قرأ القرآن الكريم واتبع ما فيه هداه الله –عز وجل– من الضلالة، ووقاه يوم القيامة سوء الحساب، وذلك بأن الله –عز وجل– قال: {فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى} [طه:١٢٣]".[2]

خامساً: شدة الاحتياج إلى علم التفسير: ظاهرة مما تقدم، فهو رئيس جميع العلوم الدينية، لكونها مأخوذة من كتاب رب البرية، فهي تحتاج من حيث ثبوتهُا، أو الاعتدادُ بها إلى علم التفسير.[3]

ولا يخفى على بصير أن علم التفسير حوى جميع أنواع علوم شرعنا الجليل، فهو كتاب هداية وإعجاز.

فالكشف عن هدايته البالغة، وإرشاده للتي هي أقوم بالأساليب والحجج الواضحة عن طريق بيان معاقد التشريع وأصوله، وطرق المحافظة عليها، ليسعد الخلق بها، وتنعم الحياة في ظلالها. وهي ثلاثة أصول يقوم عليها الشرع الصالح المقبول.

---

[1] الطبري، التفسير، ج١٧، ص ٢٧٨.

[2] أخرج الأثر الحاكم، في المستدرك: ج٢، ص٣٨١، وعبد الرزاق، المصنف: ج، ص٣٨٢، رقم: ٦٠٣٣، وابن أبي حاتم، تفسيره، ج٧، ص٢٤٣٨، رقم: ١٣٥٦١، والطبري في، تفسيره، ج١٦، ص١٦٣، وأبو نعيم، حلية الأولياء: ج٩، ص٣٤، والبيهقي، شعب الإيمان: ج٢، ص٣٥٧، رقم: ٢٠٢٩.

[3] إيضاح الأمور الخمسة المتقدمة عند: الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة: ص١٢١، ومقدمة تفسيره أصول التفسير، ص٩١–٩٢ فصل في شرف علم التفسير، والألوسي، وروح المعاني:١ج، ص٥، والسيوطي، الإتقان في علوم القرآن: ج٤، ص٩٧–٢٠٠ شرف علم التفسير، وطالع للمزيد في تفضيل بعض أنواع العلوم على غيرها، مع بيان علة ذلك، في: إحياء علوم الدين: ج، ص٣٥–٥١، وجامع بيان العلم وفضله: ج٢، ص٣٦–٤٠.

أولها: العناية بدرء المفاسد عن الحياة والاهتمام بها، وهي المسماة عند الأصوليين بالضروريات، وهي خمسة، أو ستة على حسب عدِّ المحافظة على العِرض والنسب واحداً أو اثنين. وحفظ دينٍ، ثم نفسٍ، مالْ نسبْ .:. ومثلها عقلٌ، وعِرْضٌ، قد وجَبْ[1]

ثانيها: رعاية جلب المصالح والاعتناء بها، وهي المعروفة عند الأصوليين بالحاجيات.

ثالثها: الحث على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات، والترغيب في الجري عليها وملازمتها في جميع الأوقات، وهي المشهورة عند علماء الأصول بالتحسينيات والتتمات.[2]

وهذه الأمور الثلاثة هي معاقد التشريع السديد، وقد هدى فيها القرآنُ المجيدُ لأقوم طريق، ومعلوم أن الكشف عنها بتقريرها المحكم الحميد هو مهمة المفسر الموهوب الرشيد.

ومهمة المفسر الموهوب: الكشف أيضاً عن وجوه إعجاز كلام ربنا علام الغيوب، ليثبت أن القرآنَ الكريمَ كلامُ الحكيم العليم، وأن رسولناَ الصادقَ الأمينَ، هو–حقاً وصدقاً– رسولُ رب العالمين –ﷺ–.

وعليه فقد دخل في صفة المفسر الموهوب وعمله العظيم جميع أمور الدين، وأما العقائد وهي أوجب واجب على العبيد، وقد تضمنتها كتبُ التوحيد، وعملُ المفسرِ الموهوب بيانها كما هو معتقد أهل الهدى في شأنها. والآيات الكريمات المتعلقة بأصول الدين سمعية قطعية، وتتضمن دلالاتٍ عقليةً نقية، فاجتمع فيها دلالةُ النقل الصحيح، مع دلالة العقل السوي الصريح، فدخل علم التوحيد في علم التفسير بالفصيح لا بالتلويح.[3]

---

[1] إبراهيم بن إبراهيم اللقائي، جوهرة التوحيد، ت: ١٠٤١هـ – رحمه الله– مع شرحها لولده عبد السلام، ت: ١٠٧٨هـ – رحمه الله– وعلى شرحها حاشية الأمير محمد بن محمد الأمير، ت: ١٢٣٢هـ – رحمه الله– ص: ١٥٢، على الجوهرة شرح أيضاً لإبراهيم بن محمد الباجوري، ت: ١٢٧٧، سماه تحفة المريد على جوهرة التوحيد: ج٢، ص٩٨–٩٩، وعنون على الضروريات بقوله: "وجوب حفظ الكليات الخمسة التي ذكرها المصنف".

[2] كما أشار لذلك محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، توضيح هداية القرآن للتي هي أقوم وأحسن، في: ج٣، ص٤٤٨–٤٥٧، ولمؤلفه –رحمه الله– محاضرة في تقرير تلك الهداية وتوضيحها ألقاها في مسجد سيدنا رسول الله –ﷺ– في خمس وعشرين صفحة، مطبوعة ضمن مجالس فضيلته: ص١١٠–١٣٥.

[3] تقرير مدار دين الله الحق على خمسة أمور حق مزبور وقد عني أئمتنا السادة الفقهاء بترتيب ما يتعلق منها باختصاصهم –وهي ثلاثة: العبادات، والمعاملات، والعقوبات– ترتيباً بديعاً عجيباً، ولهم في ذلك اعتبارات معتبرة، كما عند ابن عابدين، في رد المحتار على الدرر المختار: ج١، ص٧٩. وكمال الدين ابن الهمام ،فتح القدير بشرح الهداية: ج٣، ص١٨٤–١٨٥، وابن تيمية، مجموع الفتاوى: ج٣٢، ص٢٣١.

قال الإمام ابن تيمية –رحمه الله– "وقد بين لنا نبينا –ﷺ– الأدلةَ والبراهين الدالة على أصول الدين، أحسن تبيين، ودل الناس إلى الأدلة العقلية، وهداهم إلى البراهين اليقينية التي بها يعلمون المطالبَ الإلهية وبها يعلمون إثباتَ ربوبية الله –جل وعلا– ووحدانيته، وصفاته، وصِدْقَ رسوله –ﷺ– والمعادَ، وغيرَ ذلك مما يحُتاج إلى معرفته بالأدلة العقلية فجمع في بيانه –ﷺ– الطريقين: السمعَ، والعقلَ، وليست دلالة الكتاب والسنة على أصول الدين بمجرد الخبر كما تظنه طائفة من الغالطين من أهل الكلام والحديث والفقهاء والصوفية وغيرهم، بل الكتاب والسنة دَّلا الخلق وهداياهم إلى الآيات والبراهين والأدلةِ المبينة لأصول الدين".[1]

وقال تلميذه الإمام ابن القيم –رحمه الله–: "تظافر على إيمان المؤمنين الشريعةُ المنزلةُ والفطرة المكملة، والعقل الصريح، فكانوا هم العقلاء حقاً وعقولهم هي المعيار، فمن خالفها فقد خالف صريح المعقول والقواطع العقلية".[2]

نعم، إن القرآن الكريم كتاب الحياة وروحها، وتفسيره بيان لمعالم الحياة وبه سعادتها، كيف لا، والله العليم القدير الحكيم البصير هو خالق الحياة والمخلوقات، ولا يسعد الخلق إلا بهَدْي خالقهم وهداه، فلا تتم صحتهم، ولا تعالج أمراضهم وعللهم إلا بالغذاء والدواء ممن خلقهم، كما هو مقتضى العقول الصريحة، والفطر السليمة الصحيحة، وقد قررت آيات القرآن الكريم هذه الحقيقة، قال الله –جلَّ وعز–: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِين} [الأعراف:٥٤] وقال –جل ثناؤه–:{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا} [الإسراء:٨٢] وقال–جل جلاله–:{أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِير} [الملك:١٤].[3]

الله أكبَرُ إِنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ وكتابهُ أقوى وأقومُ قيلا

---

[1] في رسالته الفذة النادرة، والدرة الفاخرة، معارج الوصول إلى أن أصول الدين وفروعه قد بينها الرسول –ﷺ– وهي ضمن مجموع الفتاوى، والكلام المنقول في: ج ١٩، ص١٥٥، بختصار.
وزاد ذلك تقريراً وبسطاً في كتابه، درء تعارض العقل والنقل والمعروف بموافقة صريح المعقول لصحيح المنقول: ج١، ص١٣٨–١٤٢.

[2] ابن القيم، طريق الهجرتين، وباب السعادتين: ص١٩٥، والكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية: ص١٦٤.

[3] توضيح ذلك عند سيد قطب، في ظلال القرآن: ج١، ص١٥.

طلعتْ به شمسُ الهداية للورى وأبى لها وصفُ الكمالِ أُفولا

والحقُّ أبلجُ في شريعتهِ التي جمعتْ فروعاً للورى وأصولا

لاتذكروا الكتبَ السَّوالفَ عندهُ طلعَ النهارُ فأطفِئُوا القنديلا.[1]

ولذلك كان المشتغل بالقرآن الكريم إتقاناً وحفظا وفهما وعملاً، وتفسيراً وتعليماً، من أهل الله الكريم، وخاصته المخلصين، كما ثبت ذلك عن نبينا الأعظم –ﷺ– قال: "إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ"[2]

وهذا الحديث الشريف يبين لنا ما ينبغي أن يكون في المفسر لكلام الله –عز وجل– من الوهب من فضل الكريم الوهاب، ولا يتم ذلك إلا إذا كان من أهل الله الكريم وخاصته المخلصين الصادقين، لأنه من المعلوم عند أهل الفهوم أن إضافة أهل القرآن الكريم إلى الله الجليل العظيم إضافة تشريف وتكريم، فهم أهله حقاً، وخاصته حقيقة وصدقاً، وتلك أشرف مرتبة، وأعلى مزية،[3] وتقتضي أمرين اثنين لازمين ملازمين لتلك الإضافة الكريمة العالية إلى رب العالمين:

---

[1] من قصيدة طويلة تنسب البوصيري صاحب البردة محمد بن سعيد، ت: ٦٩٥هـ – رحمه الله– كما عند السيوطي، في حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: ج١، ص٥٧٠، وعند وابن العماد الحنبلي، في شذرات الذهب: ج٥، ص٤٣٢.

[2] أخرج الأثر أحمد، المسند: ج٣، ص١٢٧، ١٢٨–١٢٩، ٢٤٢. وابن ماجه، السنن، رقم: ٢١٥، وإسناده صحيح، ورجاله موثوقون كما قرر ذلك شهاب الدين أبو العباس البوصيري، في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة: ج١٠١، ص٩١، رقم:٧٩، وفضائل القرآن له أيضاً: ص٥٦. وقال الحاكم في، المستدرك: ج١، ص٥٥٦، وفيه: "روي هذا الحديث من ثلاثة أوجه عن أنس، هذا أمثلها". وقال الذهبي في، تلخيص المستدرك: "هذا أجودها" وقال المنذري، في الترغيب والترهيب: ج٢، ص٣٥٤، "إسناده صحيح".

[3] قرر أئمتنا الكرام أن المضاف إلى ربنا ذي الجلال والإكرام نَوْعَانِ:

أولهما: "صِفَاتٌ لَا تَقُومُ بِأَنْفُسِهَا كَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْكَلَامِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَهَذِهِ إضَافَةُ صِفَةٍ إلَى الْمَوْصُوفِ بِهَا فَالْعِلْمُ وَالْقُدْرَةُ إلَخْ صِفَاتٌ لَهُ تَعَالَى غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ وَكَذَا وَجْهُهُ وَيَدُهُ وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةِ وَالذَّاتِيَّةِ وَكَذَا الْفِعْلِيَّةُ مِنَ التَّكْوِينِ وَالْمَحَبَّةِ وَالرِّضَا وَنَحْوِهَا.

وثانيهما: إضَافَةُ أَعْيَانٍ مُنْفَصِلَةٍ كَبَيْتِ اللَّهِ وَنَاقَةِ اللَّهِ وَعَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِ اللَّهِ وَكَذَلِكَ رُوحُ اللَّهِ فَهَذِهِ إضَافَةُ مَخْلُوقٍ إلَى خَالِقِهِ وَمَصْنُوعٍ إلَى صَانِعِهِ لَكِنَّهَا تَقْتَضِي تَخْصِيصًا أَوْ تَشْرِيفًا يَتَمَيَّزُ بِهِ الْمُضَافُ إلَيْهِ عَنْ غَيْرِهِ كَبَيْتِ اللَّهِ وَإِنْ كَانَتْ كُلُّ الْبُيُوتِ لِلَّهِ مِلْكًا لَهُ وَكَذَلِكَ نَاقَةُ اللَّهِ وَالنُّوقُ كُلُّهَا مِلْكُهُ وَخَلْقُهُ وَلَكِنَّ هَذِهِ إضَافَةٌ إلَى إلَهِيَّتِهِ تَقْتَضِي مَحَبَّتَهُ لَهَا وَتَكْرِيمَهُ وَتَشْرِيفَهُ بِخِلَافِ الْإِضَافَةِ الْعَامَّةِ إلَى رُبُوبِيَّتِهِ حَيْثُ تَقْتَضِي خَلْقَهُ وَإِيجَادَهُ فَالْإِضَافَةُ الْعَامَّةُ تَقْتَضِي الْخَلْقَ وَالْإِيجَادَ وَالْخَاصَّةُ تَقْتَضِي الِاخْتِيَارَ {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ} [القصص: ٦٨] فَإِضَافَةُ الرُّوحِ إلَيْهِ تَعَالَى مِنْ هَذِهِ الْإِضَافَةِ الْخَاصَّةِ لَا مِنَ الْعَامَّةِ وَلَا مِنْ بَابِ إضَافَةِ الصِّفَاتِ فَتَأَمَّلْ هَذَا الْمَوْضِعَ فَإِنَّهُ نَفِيسٌ وَيُخَلِّصُكَ مِنْ ضَلَالَاتٍ كَثِيرَةٍ وَقَعَ فِيهَا كثير من الناس". بين ذلك ابن القيم، في كتاب الروح: ص١٥٤–١٥٥، والصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: ج٢، ص٢٢٠–٢٢١، وعند شيخه ابن تيمية، في مجموع الفتاوى: ج١٧، ص١٥٠–١٥٢.

أولها: تقوى المفسر لربه –جل وعلا– عن طريق القيام بالأركان الخمسة لصفة التقوى، وهي تقتضي اكتمال شروط التفسير فيمن يتأهل لتفسير كلام الله الجليل، فيفتح له وعليه الوهب الجزيل، ويسدده اللطيف الخبير، ولا يوكل إلى جهده الضعيف الحسير.[1]

وإذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده.[2]

نعم، ليس بين الخالق العظيم وبين عباده المخلوقين نسب إلا التقوى لله الكريم، كما أخبر عن ذلك ربنا في كتابه المبين:{يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِير} [الحجرات:١٣].

ووضح رسولُنا النبي –ﷺ– ذلك النسب الزكي، فعن ابن عمر –رضي الله عنهما– أنَّ رسول الله –ﷺ– خطب الناس يوم فتح مكة، فقال: "يا أيُّها الناس، إنَّ الله قد أذهب عنكم عُبِّيةَ الجاهلية، وتعاظُمَها بآبائها، الناس رجلان: بَرٌّ تقي كريم على الله عزَّ وجل، وفاجِرٌ شقي هيِّن على الله عزَّ وجل، الناسُ كلُّهم بنو آدمَ، وخلَقَ الله آدمَ من تراب، قال الله تعالى: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى}إلى{إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِير} [الحجرات:١٣]".[3]

هذا هو نسب ربنا العظيم، ومَنْ أحقُّ به من أهل القرآن الكريم، فإذا تحققت فيهم التقوى فهم –حقاً– أولى بولاية الله الرحيم، وهم صفوة أهله الكرام الطيبين، وهذه الميزة الشريفة تقتضي حصول صلة لطيفة بينهم وبين وليهم –جل وعلا– وبيانها بالأمر الثاني، وهو:

ثانيهما: إن المعروف من حال أفراد الأهل، أن صلتهم فيما بينهم تقتضي تمامَ معرفتهم بأحوال بعضهم، كما تقتضي فهمَ كمالِ المراد فيما بينهم من كلامهم، هذا مع العناية التامة في رعاية بعضهم، لاسيما

---

[1] تقدم بيان أركان التقوى، والشروط اللازمة في المفسر لكلام الله –جل وعلا– في، ص:٧١.

[2] نسبه إلى علي –رضي الله عنه– بغير إسناد، عند ابن الجوزي في، كتاب الفرج بعد الشدة: ج١، ص١٧٧.

[3] أخرجه الترمذي في، السنن، رقم: ٣٢٦٦، وابن حبان في، صحيحه، رقم: ٣٨٢٨، وهو في مصنف ابن أبي شيبة: ج١٤، ص٤٩٣-٤٩٤، رقم: ١٨٧٦٥، وابن أبي حاتم في، تفسيره: ج١٠، ص١٣٣٠٦، رقم: ١٨٦٢٢، والبيهقي، في، شعب الإيمان: ١٥٣٠، وإسناده حسن كما عند المنذري في، الترغيب والترهيب: ج٣، ص٦١٤.

إذا وجد مع الرابطة النسبية الأهلية، رابطة حقيقية تجمع بين أفكارهم ومشاعرهم على هدى من ربهم، حيث تجتمع جميع مقتضيات الاحتفاء ببعضهم فيفهمون الفهم التام فيما بينهم بالإشارات، كما يفهمون بالعبارات، ويعرفون من دلالة حالهم، وقرائن أحوالهم ما يفهمونه تماماً من صريح مقالهم، فيستوي فيما بينهم إشارة اللحظ مع صريح اللفظ.

هذا بين أفراد الأهل من الخلق، فكيف سيكون الحال بين أولياء الله وخاصته وبين مولاهم الحق؟! سيكون من الفهم فيما بينهم مالا يطلع عليه غيرهم، فيفهمون من كلام من اصطفاهم ووهبهم وأكرمهم مالا يحصل لسواهم، ويظهر لهم مآل الكلام كما ظهر معناه على التمام، وهذا وَهْبُ ربنا الوهاب الرحمن لمن اصطفاه من الأنام.

وسأقتصر على مثال واحد يتجلى به حقيقة الوهب الجميل، وأثره في تفسير كلام الله الجليل، وسيأتي مزيد إيضاح لذلك بالبراهين عند استعراض نماذج من تفسير الموهوبين، مع عرض نماذج من تفسير المحرومين المخذولين، جزاء وفاقاً من أحكم الحاكمين. قال ربنا العظيم: {وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يَعْقِلُون} [يونس:٤٢].

وهذا مثال لإمام موهوب، أكرم الله به البرية في هذا العصر، وهو الشيخ الإمام محمد الأمين الشنقيطي الموهوب.[١]

قال في تفسير قوله –تبارك وتعالى–: {إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِين وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلاَلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُون} [النمل:٨٠ –٨١].

"اعْلَمْ أَنَّ التَّحْقِيقَ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ الْقَرَائِنُ الْقُرْآنِيَّةُ وَاسْتِقْرَاءُ الْقُرْآنِ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ: {إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى}. لَا يَصِحُّ فِيهِ مِنْ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ، إِلَّا تَفْسِيرَانِ.

---

[١] المتوفي في: ١٣٩٣/١٢/١٧هـ –رحمه الله تعالى– له ترجمة في أول تفسيره، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، من عمل تلميذه عطية سالم، –رحمه الله–: ج١، ص٣–٦٤، وللشيخ أخبار حسان في كتابه: رحلة إلى الحج إلى بلد الله الحرام، تتعلق ببعض فضائل هذا الإمام.

الْأَوَّلُ: أَنَّ الْمَعْنَى: إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى، أَيْ: لَا تُسْمِعُ الْكُفَّارَ الَّذِينَ أَمَاتَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ، وَكَتَبَ عَلَيْهِمُ الشَّقَاءَ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ إِسْمَاعَ هُدًى وَانْتِفَاعٍ، لِأَنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْهِمُ الشَّقَاءَ، فَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَعَلَى سَمْعِهِمْ، وَجَعَلَ عَلَى قُلُوبِهِمُ الْأَكِنَّةَ، وَفِي آذَانِهِمُ الْوَقْرَ، وَعَلَى أَبْصَارِهِمُ الْغِشَاوَةَ، فَلَا يَسْمَعُونَ الْحَقَّ سَمَاعَ اهْتِدَاءٍ وَانْتِفَاعٍ.

وَمِنَ الْقَرَائِنِ الْقُرْآنِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى مَا ذَكَرْنَا، أَنَّهُ –جَلَّ وَعَلَا– قَالَ بَعْدَهُ: {وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلاَلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُون} [النمل:٨١].

فَاتَّضَحَ بِهَذِهِ الْقَرِينَةِ أَنَّ الْمَعْنَى: إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى، أَيِ: الْكُفَّارُ الَّذِينَ هُمْ أَشْقِيَاءُ فِي عِلْمِ اللَّهِ إِسْمَاعَ هُدًى وَقَبُولٍ لِلْحَقِّ، مَا تُسْمِعُ ذَلِكَ الْإِسْمَاعَ، إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون، فَمُقَابَلَتُهُ جَلَّ وَعَلَا بِالْإِسْمَاعِ الْمَنْفِيِّ فِي الْآيَةِ عَنِ الْمَوْتَى بِالْإِسْمَاعِ الْمُثْبَتِ فِيهَا، لِمَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِهِ، دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْمَوْتِ فِي الْآيَةِ: مَوْتُ الْكُفْرِ وَالشَّقَاءِ، لَا مَوْتُ مُفَارَقَةِ الرُّوحِ لِلْبَدَنِ، وَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ بِالْمَوْتِ فِي قَوْلِهِ: "إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى" مُفَارَقَةَ الرُّوحِ لِلْبَدَنِ لَمَا قَابَلَ قَوْلَهُ: "إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى" بِقَوْلِهِ: "إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا" بَلْ لَقَابَلَهُ بِمَا يُنَاسِبُهُ، كَأَنْ يُقَالَ: إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ لَمْ يَمُتْ، أَيْ: يُفَارِقْ رُوحُهُ بَدَنَهُ، كَمَا هُوَ وَاضِحٌ".

ثم أوضح الشيخ –رحمه الله–: "أن اسْتِقْرَاءَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ يَدُلُّ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى، كَقَوْلِهِ تَعَالَى:{إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُون} [الأنعام:٣٦] وَقَدْ أَجْمَعَ مَنْ يُعْتَدُّ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْمَوْتَى فِي قَوْلِهِ: وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ: الْكُفَّارُ، وَيَدُلُّ لَهُ مُقَابَلَةُ الْمَوْتَى فِي قَوْلِهِ: "وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ" بِالَّذِينَ يَسْمَعُونَ فِي قَوْلِهِ: "إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ" وَيُوَضِّحُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى قَبْلَهُ: {وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاء فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ}[الأنعام:٣٥] أَيْ: فَافْعَلْ، ثُمَّ قَالَ: { وَلَوْ شَاء اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِين إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُون }[الأنعام:٣٥–٣٦] وَهَذَا وَاضِحٌ فِيمَا ذَكَرْنَا. وَلَوْ كَانَ يُرَادُ بِالْمَوْتَى مَنْ فَارَقَتْ أَرْوَاحُهُمْ أَبْدَانَهُمْ لَقَابَلَ الْمَوْتَى بِمَا يُنَاسِبُهُمْ، كَأَنْ يُقَالَ: إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الْأَحْيَاءُ، أَيِ: الَّذِينَ لَمْ تُفَارِقْ أَرْوَاحُهُمْ أَبْدَانَهُمْ".

ثم أتى بدليل يقوي ما ذهب إليه من أن المراد بالسماع المذكور سماع حقيقي. فقال: "وَمِنْ أَوْضَحِ الْأَدِلَّةِ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى، أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: {إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى}الْآيَةَ، وَمَا فِي مَعْنَاهَا مِنَ الْآيَاتِ كُلِّهَا، تَسْلِيَةٌ لَهُ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لِأَنَّهُ يُحْزِنُهُ عَدَمُ إِيمَانِهِمْ، كَمَا بَيَّنَهُ تَعَالَى فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ

لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ}[الأنعام:٣٣] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ، وَلَمَّا كَانَ يُحْزِنُهُ كُفْرُهُمْ وَعَدَمُ إِيمَانِهِمْ، أَنْزَلَ اللَّهُ آيَاتٍ كَثِيرَةً تَسْلِيَةً لَهُ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بَيَّنَ لَهُ فِيهَا أَنَّهُ لَا قُدْرَةَ لَهُ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَلَى هُدَى مَنْ أَضَلَّهُ اللَّهُ، فَإِنَّ الْهُدَى وَالْإِضْلَالَ بِيَدِهِ جَلَّ وَعَلَا وَحْدَهُ، وَأَوْضَحَ لَهُ أَنَّهُ نَذِيرٌ، وَقَدْ أَتَى بِمَا عَلَيْهِ فَأَنْذَرَهُمْ عَلَى أَكْمَلِ الْوُجُوهِ وَأَبْلَغِهَا، وَأَنَّ هُدَاهُمْ وَإِضْلَالَهُمْ بِيَدِ مَنْ خَلَقَهُمْ.

وَمِنَ الْآيَاتِ النَّازِلَةِ تَسْلِيَةً لَهُ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَوْلُهُ هُنَا: {إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى} أَيْ: لَا تُسْمِعُ مَنْ أَضَلَّهُ اللَّهُ إِسْمَاعَ هُدًى وَقَبُولٍ، إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا، يَعْنِي: مَا تُسْمِعُ إِسْمَاعَ هُدًى وَقَبُولٍ إِلَّا مَنْ هَدَيْنَاهُمْ لِلْإِيمَانِ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ.

وَلَوْ كَانَ مَعْنَى الْآيَةِ وَمَا شَابَهَهَا: "إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى" أَيِ: الَّذِينَ فَارَقَتْ أَرْوَاحُهُمْ أَبْدَانَهُمْ لَمَا كَانَ فِي ذَلِكَ تَسْلِيَةً لَهُ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَالْآيَاتُ الدَّالَّةُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ} [النحل:٣٧] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ".

ثم ذكر الشيخ –رحمه الله–: "أَنَّ آيَةَ (النَّمْلِ) هَذِهِ جَاءَتْ آيَتَانِ أُخْرَيَانِ بِمَعْنَاهَا:

الْأُولَى مِنْهُمَا: قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ (الرُّومِ): {فَإِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِين وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلاَلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُون}[الروم:٥٢–٥٣] وَلَفْظُ آيَةِ (الرُّومِ) هَذِهِ كَلَفْظِ آيَةِ (النَّمْلِ)، فَيَكْفِي فِي بَيَانِهَا مَا ذَكَرْنَاه فِي آيَةِ (النَّمْلِ)".

وَالثَّانِيَةُ مِنْهُمَا: قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ (فَاطِرٍ): {وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاء وَلاَ الأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاء وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُور}[فاطر:٢٢] وَآيَةُ (فَاطِرٍ) هَذِهِ كَآيَةِ (النَّمْلِ) وَ (الرُّومِ) الْمُتَقَدِّمَتَيْنِ، لِأَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ فِيهَا: مَنْ فِي الْقُبُورِ الْمَوْتَى، فَلَا فَرْقَ بَيْنَ قَوْلِهِ: "إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى" وَبَيْنَ قَوْلِهِ: "وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ" لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْمَوْتَى وَمَنْ فِي الْقُبُورِ وَاحِدٌ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُور}[الحج:٧] أَيْ: يَبْعَثُ جَمِيعَ الْمَوْتَى مَنْ قُبِرَ مِنْهُمْ وَمَنْ لَمْ يُقْبَرْ، وَقَدْ دَلَّتْ قَرَائِنُ قُرْآنِيَّةٌ أَيْضًا عَلَى أَنَّ مَعْنَى آيَةِ (فَاطِرٍ) هَذِهِ كَمَعْنَى آيَةِ (الرُّومِ) مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى قَبْلَهَا: {إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَمَن تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِير} [فاطر:١٨] لِأَنَّ مَعْنَاهَا: لَا يَنْفَعُ إِنْذَارُكَ إِلَّا مَنْ هُدَاهُ اللَّهُ وَوَفَّقَهُ فَصَارَ مِمَّنْ يَخْشَى رَبَّهُ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ، أَيِ: الْمَوْتَى، أَيِ: الْكُفَّارَ الَّذِينَ سَبَقَ لَهُمُ الشَّقَاءُ كَمَا تَقَدَّمَ".

التَّفْسِيرُ الثَّانِي: "هُوَ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْمَوْتَى الَّذِينَ مَاتُوا بِالْفِعْلِ، وَلَكِنَّ الْمُرَادَ بِالسَّمَاعِ الْمَنْفِيِّ فِي قَوْلِهِ: "إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى" خُصُوصُ السَّمَاعِ الْمُعْتَادِ الَّذِي يَنْتَفِعُ صَاحِبُهُ بِهِ، وَأَنَّ هَذَا مَثَلٌ ضُرِبَ لِلْكُفَّارِ، وَالْكُفَّارُ يَسْمَعُونَ الصَّوْتَ، لَكِنْ لَا يَسْمَعُونَ سَمَاعَ قَبُولٍ بِفِقْهٍ وَاتِّبَاعٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُون}[البقرة:١٧١] فَهَكَذَا الْمَوْتَى الَّذِينَ ضُرِبَ بِهِمُ الْمَثَلُ لَا يَجِبُ أَنْ يُنْفَى عَنْهُمْ جَمِيعُ أَنْوَاعِ السَّمَاعِ، كَمَا لَمْ يُنْفَ ذَلِكَ عَنِ الْكُفَّارِ، بَلْ قَدِ انْتَفَى عَنْهُمُ السَّمَاعُ الْمُعْتَادُ الَّذِينَ يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَأَمَّا سَمَاعٌ آخَرُ فَلَا".

وذكر –رحمه الله–: "أن هذا التفسير دَلَّتْ عَلَيْهِ أَيْضًا آيَاتٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، جَاءَ فِيهَا التَّصْرِيحُ بِالْبَكَمِ وَالصَّمَمِ وَالْعَمَى مُسْنَدًا إِلَى قَوْمٍ يَتَكَلَّمُونَ وَيَسْمَعُونَ وَيُبْصِرُونَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي الْمُنَافِقِينَ: {صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُون}[البقرة:١٨] فَقَدْ قَالَ فِيهِمْ: صُمٌّ بُكْمٌ مَعَ شِدَّةِ فَصَاحَتِهِمْ وَحَلَاوَةِ أَلْسِنَتِهِمْ، كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِيهِمْ: {وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ} [المنافقون:٤] أَيْ: لِفَصَاحَتِهِمْ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ} [الأحزاب:١٩] فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ إِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ، وَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوا الْمُسْلِمِينَ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ، هُمُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: {صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ} وَمَا ذَلِكَ إِلَّا أَنَّ صَمَمَهُمْ وَبَكَمَهُمْ وَعَمَاهُمْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى شَيْءٍ خَاصٍّ، وَهُوَ مَا يُنْتَفَعُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ، فَهَذَا وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي صُمُّوا عَنْهُ فَلَمْ يَسْمَعُوهُ، وَبُكِمُوا عَنْهُ فَلَمْ يَنْطِقُوا بِهِ، وَعُمُوا عَنْهُ فَلَمْ يَرَوْهُ مَعَ أَنَّهُمْ يَسْمَعُونَ غَيْرَهُ وَيُبْصِرُونَهُ، وَيَنْطِقُونَ بِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلاَ أَبْصَارُهُمْ وَلاَ أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون}[الأحقاف:٢٦] وَهَذَا وَاضِحٌ كَمَا تَرَى".

ثم أحال –رحمه الله– إلى كتابه "دَفْعُ إِيهَامِ الِاضْطِرَابِ عَنْ آيَاتِ الْكِتَابِ" وبين أَنَّ الْعَرَبَ تُطْلِقُ الصَّمَمَ وَعَدَمَ السَّمَاعِ عَلَى السَّمَاعِ الَّذِي لَا فَائِدَةَ فِيهِ، وَذَكَرْنَا بَعْضَ الشَّوَاهِدِ الْعَرَبِيَّةِ عَلَى ذَلِكَ.[1]

---

[1] وراجع ما أحال عليه في كتابه، دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب: ص١٢–١٣، فقد وضح فيه ما قرره هنا، ودعمه كلام العرب نثراً وشعراً.

وطالع – أيضاً– عند ابن القيم، مفتاح دار السعادة: ج١، ص٤٨، ١٣٧، ففيه تقرير ذلك، مع أشعار حسنة، وأحسنها:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله ... وأجسامهم قبل القبور قبور

وأرواحهم في وحشة من جسومهم ... وليس لهم حتى النشور نشور

وينسبان إلى الماوردي كما في، معجم الأدباء–: ج٥، ص١٩٥٦ بلفظ:

وبعد هذا البيان السديد والتفسير الموفق الرشيد لآي الذكر المجيد، حسبما يقتضيه الجمع بين الآيات القرآنية، وعلى حسب دلالة اللغة العربية.

انتقل الشيخ إلى تقرير ما أفادته الآياتُ الكريماتُ ودلت عليه بأمرين معتبرين، ليجمع بين الحسنيين:

الأمر الأول: دلالة السنة الصحيحة –وهي الوحي غير المتلو– على ما دلت عليه الآيات الكريمات –وهي الوحي المتلو– دلالة صريحة حسب اللغة الفصيحة. فقد اتفق نوعا الوحي الحق، على تقرير ذلك التفسير الحق.

والدلالة الثانية: دلالة العقول الصريحة، على ما دلت عليه النصوص الصحيحة. فكل ما ورد به السمع الصحيح، ولا يحيله العقل الصريح، وجب الإيمان به[1] وهذا ما فعله الشيخ في تفسيره المبارك لتلك الآيات الكريمات وغيرها، فجمع بين الأدلة كلها، وهذا وَهْبُ الكريم الوهاب، يرزق من يشاء بغير حساب.

قال الشيخ المبارك: مسألة تتعلق بهذه الآية الكريمة. ثم كتب في تقريرها وفيما يتعلق بها، تسع عشرة صفحة. سألخصها مع المحافظة على دقة النقل فيها.

قال –رحمه الله– "اعْلَمْ أَنَّ الَّذِي يَقْتَضِي الدَّلِيلُ رُجْحَانَهُ هُوَ أَنَّ الْمَوْتَى فِي قُبُورِهِمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ مَنْ كَلَّمَهُمْ، وَأَنَّ قَوْلَ عَائِشَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا– وَمَنْ تَبِعَهَا: إِنَّهُمْ لَا يَسْمَعُونَ، اسْتِدْلَالًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: "إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى" وَمَا جَاءَ بِمَعْنَاهَا مِنَ الْآيَاتِ غَلَطٌ مِنْهَا –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا– وَمِمَّنْ تَبِعَهَا[2].

وَإِيضَاحُ كَوْنِ الدَّلِيلِ يَقْتَضِي رُجْحَانَ ذَلِكَ مَبْنِيٌّ عَلَى مُقَدِّمَتَيْنِ:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله ... فأجسادهم دون القبور قبور
وإنّ امرءا لم يحي بالعلم صدره ... فليس له حتى النشور نشور

[1]. وقد وضح ذلك ابن تيمية في، الرسالة التدمرية: ٢٢–٢٣.

[2] أخرجه البخاري في، صحيحه، رقم: ١٣٧٠، ١٣٧١، ٣٩٧٩، ٣٩٨٠، ٤٠٢٦. ومسلم في، صحيحه، رقم: ٩٣٢، والنسائي في، السنن، رقم: ٢٠٧٦، وأحمد، المسند: ج٢، ص٣١، ٣٨، وهو في جامع الأصول، رقم: ٦٠٣٤.عن ابن عمر قال: وقف النبي –صلى الله عليه وسلم– على قليب بدر، فقال: هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ ثم قال: إنهم الآن يسمعون ما أقول لكم، فَذُكِرَ لعائشةَ، فقالت: إنما قال: إنهم ليعلمون أن الذي كنتُ أقول لهم هو الحق، ثم قرأتْ: {إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِين}[النمل: ٨٠].

المقدمة الْأُولَى: أَنَّ سَمَاعَ الْمَوْتَى ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي أَحَادِيثَ مُتَعَدِّدَةٍ ثُبُوتًا لَا مَطْعَنَ فِيهِ، وَلَمْ يَذْكُرْ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنَّ ذَلِكَ خَاصٌّ بِإِنْسَانٍ وَلَا بِوَقْتٍ. ثم أورد حديثاً أخرجه الإمام البخاري في صحيحه عن قتادة قال: "ذَكَرَ لنا أنسُ بنُ مالك –رضي الله عنه– عن أبي طلحة –رضي الله عنه– قال: لما كان يومُ بدر، وظهر عليهمُ نبيُّ الله –ﷺ–أمر ببضعة وعشرين رجلاً –وفي رواية: بأربعة وعشرين رجلاً– من صناديد قريش، فأُلْقُوا في طَوِيّ من أَطْوَاءِ بدر خبيث مُخْبِث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعَرْصَة: ثلاثَ ليال، فلما كان ببدر اليومَ الثالث: أمر براحلته فَشُدَّ عليها رحلُها، ثم مشى، واتَّبَعه أصحابه، قالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شَفَة الرَّكيّ، فجعل يُناديهم بأسمائهم، وأسماء آبائهم: يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان، أيَسُرُّكم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فقال عمر: يا رسولَ الله، ما تُكلِّم من أجساد لا أرواحَ لها؟ فقال النبيُّ –ﷺ–: والذي نفس محمد بيده، ما أنتم بأسمعَ لما أقول منهم". قال قتادة: "أحياهم الله حتى أسمعهم قولَه، توبيخاً، وتصغيراً، ونِقْمة، وحسرة، وندماً".[1]

وأورد حديثاً آخر في صحيح الإمام مسلم عن أنس بن مالك –رضي الله عنه– قال: "كنا مع عمر بين مكة والمدينة، فتراءَينا الهلالَ، وكنتُ رجلاً حديدَ البصر، فرأيتُه، وليس أحد يزعم أنه رآه غيري، فجعلت أقول لعمر: أما تراه؟ فجعل لا يراه، قال: يقول عمر: سأراه، وأنا مُسْتَلْق على فراشي، ثم أنشأ يحدِّثنا عن أهل بدر، فقال رسولُ الله –ﷺ– كان يُرِينا مَصارعَ أهل بدر بالأمس، يقول: هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله، وهذا مصرع فلان إن شاء الله، قال عمر: فو الذي بعثه بالحق ما أخطؤوا الحدودَ التي حدَّها رسولُ الله –ﷺ– قال: فجُعلوا في بئر بعضُهم على بعض، فانطلق رسولُ الله –ﷺ– حتى انتهى إليهم، فقال: يا فلان بنَ فلان، ويا فلان بن فلان، هل وجدتم ما وعدكم الله ورسولُه حقاً، فإني قد وجدتُ ما وعدني الله حقاً؟ فقال عمر: يا رسولَ الله كيف تُكلِّم أجساداً لا أرْوَاحَ فيها؟ فقال: ما أنتم بأسمعَ لما أقول منهم، غير أنهم لا يستطيعون أن يردُّوا عليَّ شيئاً".[2]

والحديث الشريف كما رواه أنس –رضي الله عنه– عن زوج أمه أبي طلحة، وعن عمر بن الخطاب –رضي الله عنهم– فرواه أيضاً –بدون واسطة– كما في صحيح مسلم وغيره، ولفظه عنه –رضي الله عنه–: "أن

---

[1] محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان: ج٦، ص٤٢٢. والحديث في صحيح البخاري، رقم: ٣٩٧٦، وهو في صحيح مسلم، رقم: ٢٨٧٥. وهو في جامع الأصول: ٦٠٣٢.

[2] أخرجه مسلم في، صحيحه، رقم: ٢٨٧٣، والنسائي في، السنن، رقم: ٢٠٧٤، وأحمد في، المسند: ج١، ص٢٦–٢٧. وهو في جامع الأصول، رقم: ٦٠٣١.

رسول الله –ﷺ– ترك قتلى بدر ثلاثاً، ثم أتاهم، فقام عليهم، فناداهم، فقال: يا أبا جهل بن هشام، يا أميَّةَ بن خلف، يا عتبةَ بن ربيعة، يا شَيبة بن ربيعة، أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقاً، فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً؟ فسمع عمرُ بن الخطَّاب قول النبيّ –ﷺ– فقال: يا رسولَ الله، كيف يسمعون؟ أو أنَّى يُجيبون، وقد جَيّفُوا؟ قال: والذي نفسي بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا، ثم أُمر بهم فسُحِبوا، فأُلْقوا في قَليب بدر".[1]

ثم علق الشيخ المبارك –رحمه الله– على تلك الروايات الثابتة بقوله: فترى هذه الأحاديث الثابتة في الصحيح عن عمر وابنه، وأنس، وأبي طلحة –رضي الله عنهم– فيها التصريح من النبي –ﷺ– بأن الأحياء الحاضرين ليسوا بأسمع من أولئك الموتى لما يقوله –ﷺ– وقد أقسم –ﷺ– على ذلك ولم يذكر تخصيصا.[2]

وَالْمُقَدِّمَةُ الثَّانِيَةُ: هِيَ أَنَّ النُّصُوصَ الصَّحِيحَةَ عَنْهُ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فِي سَمَاعِ الْمَوْتَى لَمْ يَثْبُتْ فِي الْكِتَابِ وَلَا فِي السُّنَّةِ شَيْءٌ يُخَالِفُهَا، وَتَأْوِيلُ عَائِشَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا– بَعْضَ الْآيَاتِ عَلَى مَعْنًى يُخَالِفُ الْأَحَادِيثَ الْمَذْكُورَةَ، لَا يَجِبُ الرُّجُوعُ إلَيْهِ، لِأَنَّ غَيْرَهُ فِي مَعْنَى الْآيَاتِ أَوْلَى بِالصَّوَابِ مِنْهُ، فَلَا تُرَدُّ النُّصُوصُ الصَّحِيحَةُ عَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِتَأْوِلِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ بَعْضَ الْآيَاتِ".[3]

ويتأكد، ذلك بثلاثة أمور:

الأول: أن رواية العدل لا ترد بالتأويل، ونقل عن شيخ الإسلام قوله: "والنص الصحيح عن النبي –ﷺ– مقدم على تأويل من تأول من أصحابه وغيره، وليس في القرآن ما ينفي ذلك، فإن قوله تعالى: "إنك لا تسمع الموتى" إنما أراد به السماع المعتاد الذي ينفع صاحبه، فإن هذا مَثَلٌ ضربه الله للكفار، والكفار تسمع الصوت،

---

[1] أخرجه مسلم في، صحيحه، رقم: ٢٨٧٤، وأحمد في، المسند: ج٣، ص١٠٤، ١٨٢، ٢١٩–٢٢٠، ٢٦٣، ٢٨٧، والنسائي في، السنن، رقم: ٢٠٧٥، وابن حبان في، صحيحه، رقم: ٦٤٩٨، ٦٥٢٥، وهو في جامع الأصول، رقم: ٦٠٣٣.

[2] محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان: ج٦، ص٤٢٣–٤٢٤، ورواية الحديث الشريف عن ابن عمر، وأبي طلحة هي بعض ما ورد من رواته الكرام.

[3] محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ج٦، ص٤٢١–٤٢٢.

لكن لا تسمع سماع قبول بفقه واتباع، كما قال تعالى: {وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُون}[البقرة:١٧١].[١]

الثاني: أن عائشة -رضي الله عنها- لما أنكرت رواية ابن عمر عن النبي -ﷺ-: "إنهم ليسمعون الآن ما أقول" قالت: إن الذي قاله -ﷺ-: "إنهم ليعلمون الآن أن الذي كنت أقول لهم هو الحق" فأنكرت السماع ونفته عنهم، وأثبتت لهم العلم، ومعلوم أن من ثبت له العلم صح منه السماع، كما نبه عليه بعضهم.[٢]

الثالث: هو ما جاء عنها مما يقتضي رجوعها عن تأويلها، المذكور إلى الروايات الصحيحة قال ابن حجر: "ومن الغريب أن في المغازي لابن إسحاق رواية يونس بن بكير بإسناد جيد، عن عائشة مثل حديث أبي طلحة، وفيه: "ما أنتم بأسمع لما أقول منهم" وأخرجه أحمد بإسناد حسن، فإن كان محفوظاً فكأنها رجعت عن الإنكار لما ثبت عندها من رواية هؤلاء الصحابة، لكونها لم تشهد القصة".[٣]

وبعد أن نقلت عن الشيخ المفضال إزالةَ الإشكال، بما يشرح الصدور ويريح البال، سأقتصر على أثرين من عشرة آثار، أكّد بها الشيخ -رحمه الله- القولَ المختار.

أولها: قال الشيخ المبارك: قال الإمام البخاري في صحيحه أيضاً عن أنس-رضي الله عنه- عن النبي- ﷺ- قال: "إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد -ﷺ-؟ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً في الجنة. وقد رأيت في هذا الحديث الصحيح تصريح النبي -ﷺ- بأن الميت في قبره،

---

[١] محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان: ج٦، ص٤٢٨-٤٢٩، ابن تيمية، مجموع الفتاوى: ج٤، ص٢٩٨.

[٢] وثبت عنها أن الصحابة الكرام لما قالوا للنبي -ﷺ-: "كيف تكلم أقواماً قد جيفوا؟ أجابهم -ﷺ- بقوله: "ما أنتم بأفهم لقولي منهم. أو لهم أفهم لقولي منكم". في المسند، ج٦، ص١٧٠-٢٧٦. والرواية بذلك لا تنزل عن درجة الحسن. وهذا أصرح في الدلالة على سماعهم، من دلالة علمهم على سماعهم.

[٣] محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان: ج٦، ص٤٢٩-٤٣٠، ابن حجر، فتح الباري: ج٧، ص٣٠٣-٣٠٤، ورواية الإمام أحمد في المسند عن أمنا الصديقة المباركة سيدتنا عائشة: ج٦، ص١٧٠-٢٧٦، وصحيح ابن حبان، رقم: ٧٠٨٨، والمستدرك: ج٣، ص٢٢٤، قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، والحديث صحيح، والرواية الأولى من المسند من رواية النخعي عن أمنا عائشة ولم يسمع منها وإن ثبت دخوله عليها، لكن يشهد لها الرواية الثانية في المسند عنها فهي متصلة ورجال إسنادها ثقات كما في المجمع: ج٦، ص٩٠، كما يشهد لها رواية ابن حبان، والحاكم. والرواية الأولى ليس فيها التصريح بسماعهم بل فيها إثبات الفهم لهم، وأن الحاضرين الأحياء ليسوا بأفهم لقول النبي -ﷺ- منهم، وأما الثانية ليس فيها إلا إثبات علمهم بصدق النبي -ﷺ- وفي بعض روايات هذه الرواية "والناس يقولون: لقد سمعوا ما قلت لهم" وإنما قال رسول الله- ﷺ- "لقد علموا.....".

يسمع قرع نعال من دفنوه إذا رجعوا، وهو نص صحيح صريح في سماع الموتى، ولم يذكر -ﷺ- فيه تخصيصاً".[1]

ثانيها: تلقين الميت بعد دفنه دليل على سماعه، كتب الشيخ الموهوب في تقرير ذلك سبع صفحات، أغلبها نقلٌ عن الإمام ابن القيم مع زيادة تقرير لها، فقال مفتتحاً هذه المسألة بالنقل عن الإمام ابن القيم: "ويدل على هذا -سماع الموتى- ما جرى عليه عمل الناس قديماً وإلى الآن، من تلقين الميت في قبره ولولا أنه يسمع ذلك وينتفع به لم يكن فيه فائدة، وكان عبثاً. وقد سئل عنه الإمام أحمد رحمه الله، فاستحسنه واحتج عليه بالعمل.

ويروى فيه حديث ضعيف: ذكره الطبراني في معجمه من حديث أبي أمامة، قال: قال رسول الله -ﷺ: "إِذا مَاتَ أحدكُم فسويتم عَلَيْهِ التُّرَاب فَليقمْ أحدكُم على رَأس قَبره ثمَّ يَقُول يَا فلَان ابْن فُلَانَة فَإِنَّهُ يسمع ولا يجيب ثمَّ ليقل يَا فلَان ابْن فُلَانَة الثَّانِيَة فَإِنَّهُ يَسْتَوِي قَاعِدا ثمَّ ليقل يَا فلَان ابْن فُلَانَة يَقُول أرشدنا رَحِمك الله وَلَكِنَّكُمْ لا تسمعون فَيَقُول أذكر مَا خرجت عَلَيْهِ من الدُّنْيَا شَهَادَة أَن لَا إِلَه إِلَّا الله وأنَّ مُحَمَّد رَسُول الله وَأَنَّك رضيت بِالله رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دينا وَبِمُحَمَّدٍ نَبياً وَبِالْقُرْآنِ إِمَاماً فإن مُنْكَرا ونكيراً يتَأَخَّر كل وَاحِد مِنْهُمَا وَيَقُول انْطلق بِنَا، مَا يقعدنا عِنْد هَذَا وَقد لُقِّن حجَّته، وَيكون الله وَرَسُوله حجيجه دونهمَا فَقَالَ رجل يَا رَسُول الله فَإِن لم يعرف أمه قَالَ ينْسبهُ إِلَى أمهِ حَوَّاء".[2]

ثم قال ابن القيم: "فهذا الحديث وإن لم يثبت، فاتصال العمل به في سائر الأمصار والأعصار من غير إنكار كاف في العمل به، وما أجرى الله سبحانه العادة قط بأن أمة طبقت مشارق الأرض ومغاربها، وهي أكمل الأمم عقولا، وأوفرها معارف تطبق على مخاطبة من لا يسمع، وتستحسن ذلك لا ينكره منها منكر بل سنه الأول

---

[1] محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان: ج٦، ص٤٢٣، والحديث المشار إليه أخرجه البخاري في، صحيحه، رقم: ١٣٣٨، ١٣٧٤، ومسلم، الصحيح، رقم: ٢٨٧٠، وهو في جامع الأصول، رقم:٨٧٠٥.

[2] حديث التلقين: أخرجه الطبراني في، المعجم الكبير: ج٨، ص٢٤٩-٢٥٠، رقم: ٧٩٧٩، والسخاوي، في المقاصد الحسنة: ص١٦٣، وابن قدامة في، المغني: ج٢، ص٣٨٦.وإسناد الحديث ضعيف كما قال ابن القيم في، زاد المعاد: ج١، ص٥٢٣، "لا يصح رفعه". لكن للحديث شواهد تقويه، وقد أخذ أهل الشام في القرن الأول به، فعملوا بهذه السنة المستحبة اتباعاً للصحابي الجليل أبي أمامة وتبعهم المسلمون في أمصارهم. هذا ما حطَّ عليه قول أئمتنا المحدِّثين. انظر قول النووي في المجموع: ج٥، ص٣٠٤، وابن حجر في التلخيص الحبير: ج٢، ص١٤٢-١٤٣: والقرطبي في كتابه، التذكرة، ص، ١٣٨-١٣٩.
وأما وصية عمرو بن العاص -رضي الله عنه- أخرجها أحمد في، المسند ج٤، ص١٩٩، ومسلم في، الصحيح، رقم: ١٢١، وابن سعد في، الطبقات: ج٤، ص٢٥٨-٢٥٩، وابن خزيمة في، صحيحه، رقم: ٢٥١٥، وهي في جامع الأصول، رقم: ٦٦٥٤.

للآخر، ويقتدي فيه الآخر بالأول، فلولا أن الخطاب يسمع لكان ذلك بمنزلة الخطاب للتراب، والخشب والحجر والمعدوم، وهذا وإن استحسنه واحد فالعلماء قاطبة على استقباحه واستهجانه".

"وقد روى أبو داود في سننه بإسناد لا بأس به: أن النبي –ﷺ– حضر جنازة رجل، فلما دفن قال: "سلوا لأخيكم التثبيت، فإنه الآن يسأل"[1] فأخبر أنه يسأل حينئذ، وإذا كان يسأل فإنه يسمع التلقين، وقد صح عن النبي –ﷺ– أن الميت يسمع قرع نعالهم إذا ولوا مدبرين".[2]

ثم قال خاتماً الكلام في مشروعية التلقين واستحبابه: "وبما ذكر ابنُ القيم وابنُ الطَّلاع، وصاحبُ المدخل من المالكية، والنوويُّ من الشافعية، كما أوضحنا كلامهم تعلم أن التلقين بعد الدفن له وجه قوي من النظر، لأنه جاء فيه حديث ضعيف، واعتضد بشواهد صحيحة، وبعمل أهل الشام قديماً، ومتابعة غيرهم لهم. وبما علم في علم الحديث من التساهل في العمل بالضعيف في أحاديث الفضائل، ولا سيما المعتضد منها بصحيح، وإيضاح شهادة الشواهد له أن حقيقة التلقين بعد الدفن مركبة من شيئين:

أحدهما: سماع الميت كلام ملقنه بعد دفنه.

والثاني: انتفاعه بذلك التلقين، وكلاهما ثابت في الجملة.

أما سماعه لكلام الملقن: فيشهد له سماعه لقرع نعل الملقن الثابت في الصحيحين، وليس سماع كلامه بأبعد من سماع قرع نعله كما ترى.

وأما انتفاعه بكلام الملقن: فيشهد له انتفاعه بدعاء الحي وقت السؤال في حديث: "سلوا لأخيكم التثبيت فإنه يسأل الآن" واحتمال عدم الفرق بين الدعاء والتلقين قوي جداً كما ترى، فإذا كان وقت السؤال ينتفع بكلام الحي الذي هو دعاؤه له، فإن ذلك يشهد لانتفاعه بكلام الحي الذي هو تلقينه إياه وإرشاده إلى جواب الملكين في

---

[1] أبو داود، السنن، رقم: ٣٢٢١، ولفظه: عن سيدنا عثمان بن عفان –رضي الله عنه– "كان رسولُ الله –ﷺ– إذا فَرَغ من دفن الميت وقَفَ عليه، وقال: استغفروا لأخيكم، واسألوا له التثبيت، فإنه الآنَ يُسأَل" وأخرج الأثر الحاكم في، المستدرك: ج١، ص٣٧٠، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد،" ووافقه الإمام الذهبي، والبيهقي في، السنن الكبرى: ج٤، ص٥٦، والحديث صحيح كما تقدم، وقال عنه النووي في، المجموع: ج٥، ص٢٩٢: "إسناده جيد" وقال في الأذكار: "إسناده حسن" وهو في جامع الأصول، رقم: ٨٦٥٨.

[2] محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان: ج٦، ص٤٣٣–٤٣٤، ابن القيم، كتاب الروح: ص١٣–١٦، وابن تيمية، مجموع الفتاوى: ج٤، ص٢٩٨–٢٩٩. والحديث في الصحيحين وغيرهما، كما تقدم، ص: ١٣٢.

الجميع، في الأول سماعٌ من الميت لكلام الحي، وفي الثاني انتفاع من الميت بكلام الحي وقت السؤال، وقد علمت قوة احتمال عدم الفرق بين الدعاء والتلقين، وفي ذلك كله دليل على سماع الميت كلام الحي".

ثم ختم الشيخ كلامه في تفسير الآية الكريمة بقوله: "وقد انتصر ابن كثير –رحمه الله– في تفسير سورة الروم في كلامه على قوله تعالى: {فَإِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِين} [الروم:٥٢] لسماع الموتى، وأورد في ذلك كثيرا من الأدلة التي قدمنا في كلام ابن القيم، وابن أبي الدنيا وغيرهما".[١]

والخلاصة: إن جميع ما ذكره الشيخ –رحمه الله– في هذا المبحث في الكلام على آية "النمل" يؤكد رجحان قول من قال: أن الموتى يسمعون سلام الأحياء وخطابهم سواء قلنا: إن الله يرد عليهم أرواحهم حتى يسمعوا الخطاب ويردوا الجواب، أو قلنا: إن الأرواح أيضا تسمع وترد بعد فناء الأجسام، لأن الشيخ قد بنى ذلك على مقدمتين: ثبوت سماع الموتى بالسنة الصحيحة، وأن القرآن لا يعارضها على التفسير الصحيح الذي تشهد له القرائن القرآنية، واستقراء القرآن، وإذا ثبت ذلك بالسنة الصحيحة من غير معارض من كتاب ولا سنة، ظهر بذلك رجحانه على تأول عائشة –رضي الله عنها– بعض آيات القرآن. والله أعلم.[٢]

وبهذا يتبين ما فتح به ربنا الكريم الرحمن على هذا الإمام، من تحقيق دقيق، وأدب جمع عال رفيع، كيف جمع بين الأدلة النقلية الثابتة الصحيحة، والأدلة العقلية السديدة الصريحة، فوصل بها إلى الأحكام الحقة، وناقش بمنتهى القوة واللطف أقوال أهل الفضل من قبله، وحمل أفعال العباد على السداد والرشاد، مادامت تحتملها شريعة رب العباد.

وختاماً لهذه المسألة الواسعة، والمتعلقة بأول مراحل الدار الآخرة، لابد من تلخيصها بأمور مختصرة تجلى من خلالها أثر الموهبة في التفسير:

---

[١] ابن كثير، التفسير، ج٣، ص ٤٣٨–٤٣٩. ومما جاء فيه: "والسلف مجمعون على هذا، وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف بزيارة الحي ويستبشر" وهذه الجملة هي نص كلام ابن القيم أيضاً في كتاب الروح: ص١٧، وقرر ذلك أيضاً القرطبي في تفسيره: ج١٣، ص٢٣٣. وأحال على كتابه "التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة" وذلك في: ص١٨٠–١٨١، باب ما جاء أن الميت يسمع ما يقال.

[٢] محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، ج٤، ص٤٣٨–٤٣٩.

أولها: تبين لنا مكانة الشيخ محمد الأمين الشنقطي –رحمه الله– في تفسير كلام ربنا علام الغيوب.

ثانيها: أقام شيخ الإسلام البرهان التام، في كتابه أضواء البيان، على سماع الموتى كلامَ من يزورهم ويسلم عليهم، موضحاً دلالةَ آيات القرآن الكريم على ذلك الأمر العظيم، وموافقةَ السنة الصحيحة الصريحة لتلك الدلالة بيقين.

ثالثها: نقل تقرير ذلك القول المبين عن أئمة الإسلام الراسخين، من متقدمين ومتأخرين.

رابعها: ردَّ ما اختلف فيه في هذا الموضوع من جزئيات، إلى المعالم الواضحات التي قررتها النصوص الثابتات، وتدخل في معناها من جميع الاعتبارات، كحكم تلقين الأموات.

خامسها: جمع إمامنا الموهوب، بين العلم الغزير، والفهم السوي المستنير، والأدب الجم العالي الوفير، فسبحان الوهاب القدير.

المبحث الثاني

نماذج من تفاسير الموهوبين

تعرضت في المبحث الأول من الفصل الثالث لنموذج جدّ جميل لتفسير إمام موهوب جليل، وكان حقَّ ذلك النموذج –في الترتيب– التأخير، وقدمته لأمرين معتبرين:

أولهما: للإشارة إلى عظيم نعمة الله وفضله على هذه الأمة، فلن يزال فيها موهوبون يوضح الله الكريم بهم معاني الكتاب والسنة، فهم العدول بيقين ينفون عن ديننا القويم تحريفَ الغالين، وانتحالَ المتنطعين، وتأويلَ الجاهلين، كما أخبرنا بذلك نبينا –ﷺ–[1] قال الإمام النووي: "وهذا إخبار منه –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بصيانة العلم وحفظه وعدالة ناقليه، وأن الله تعالى يوفق له في كل عصر خلفاء من العدول يحملونه وينفون عنه التحريف وما بعده فلا يضيع، وهذا تصريح بعدالة حامليه في كل عصر، وهكذا وقع ولله الحمد، وهذا من أعلام النبوة، ولا يضر مع هذا كون بعض الفساق يعرف شيئًا من العلم، فإن الحديث إنما هو إخبار بأن العدول يحملونه، لا أن غيرهم لا يعرف شيئًا منه، والله أعلم".[2]

وقال الإمام ابن كثير " وهذا موجود ولله الحمد والمنة إلى زماننا هذا، ونحن في القرن الثامن، والله المسئول أن يختم لنا بخير وأن يجعلنا من عباده الصالحين، ومن ورثة جنة النعيم آمين آمين يا رب العالمين".[3]

ويدخل في هؤلاء دخولاً أولياً المجددون كما قال رسولُنا المباركُ الميمون– ﷺ–: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كلِّ مائةٍ سنةٍ من يُجَدِّد لها دينَها".[1]

---

[1] ولفظ الحديث الشريف: "يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ" كما عند الخطيب البغدادي في كتابه، شرف أصحاب الحديث من رواية أبي هريرة، وأسامة بن زيد، وعبد الله بن مسعود –رضي الله عنهم– وعن التابعي إبراهيم بن عبد الرحمن العُذْري مرفوعاً، ص: ٢٨–٢٩، رقم: ٥٢– ٥٥، ورواه أيضاً الخطيب في شرف أصحاب الحديث عن معاذ بن جبل–رضي الله عنه– ص:١١، رقم: ١٤، وروى البيهقي الأثر في، السنن الكبرى: ج١٠، ص٢٠٩، وصحح الأثر الإمام أحمد كما في، شرف أصحاب الحديث: ص٢٩، فتح المغيث، للسخاوي: ج١، ص٢٧٦.

[2] النووي، تهذيب الأسماء واللغات: ج١، ص١٧.

[3] ابن كثير، البداية والنهاية: ج٦، ص٢٥٦، وراجع ما كتبه حول هذا الحديث الشريف في حوادث: ٢٤١، في ترجمة الإمام أحمد – رحمه الله–: ج١٠، ص٣٣٧.

قال الإمام ابن كثير: "والظاهر، والله أعلم، أنه يعم حملة العلم العاملين به من كل طائفة، ممن عمله مأخوذ عن الشارع، أو ممن هو موافق من كل طائفة وكل صنف من أصناف العلماء، من مفسرين، ومحدثين، وقراء، وفقهاء، ونحاة، ولغويين، إلى غير ذلك من أصناف العلوم النافعة، والله أعلم".[٢]

ثانيهما: إذا كان مثلُ ذلك النموذج الفاضل موجوداً في أيامنا، فمن باب أولى ينبغي أن توجد أمثال ذلك النموذج الطيب المبارك بكثرة في العصور الماضية الفاضلة، وهذا ما سأوضحه في هذا المبحث مستعينا بالله –سبحانه وتعالى–.

وسأبدأ قبل عرضي لنماذج من تفسير الموهوبين، بنماذج من تفسير ربنا الوهاب الكريم لكتابه الحكيم، وتقدم في هذا البحث المبارك أن هذا النوع من التفسير هو أجل أنواع التفسير وأشرفها، كيف لا، وآي الكتاب هي كلام الكريم الوهاب، فتفسير كلامه بكلامه –جلَّ وعلا– هو عين الصواب، قال الحكيم الوهاب: {وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا}[الفرقان:٣٣].

هذا، وقد قال الإمام الشافعي–رحمه الله–: "كل ما حكم به رسول الله –ﷺ– فهو مما فهمه من القرآن الكريم".[٣]

وهذا الذي قرره جم غفير من أئمة الإسلام منهم الإمام ابن بَرَّجان، وألف في بيان ذلك كتابه (الإرشاد) استخرج فيه أحاديث صحيح الإمام مسلم من كتاب ربنا الوهاب –ﷻ–.[٤]

قال الإمام الزركشي: قال الإمام الشافعي في (الرسالة): "لا أعلم خلافاً بين أهل العلم أن سنن رسول الله –ﷺ– تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

---

[١] أخرج الأثر أبو داود، السنن، رقم: ٤٢٩١، والطبراني، المعجم الأوسط: ج٦، ص٤٠٥، رقم: ٦٥٢٧، والحاكم، المستدرك: ج٤، ص٥٢٢، وأبو نعيم، حلية الأولياء: ج٩، ص٩٧–٩٨، والبيهقي في، مناقب الإمام الشافعي: ج١، ص٥٥، وقال السخاوي في المقاصد الحسنة: ١٢٢ سنده صحيح، ورجاله كلهم ثقات، وقد اعتمد الأئمة هذا الحديث. وانظر ما يتعلق بعدِّ المجددين في طبقات الشافعية الكبرى: ج١، ص١٩٨–٢٠٤، وقد تطلع ابن حجر إلى جمع جزء مفرد فيهم، كما في كتابه، توالي التأسيس:٤٩. وانظر الحديث الشريف في جامع الأصول، رقم: ٨٨٨١.

[٢] ابن كثير، النهاية –كتاب الفتن والملاحم–: ج١، ص٢٤، ونحوه في، البداية والنهاية: ج٦، ص٢٥٦.

[٣] تقدم بيان ذلك في، ص: ٣٢.

[٤] أشار إلى ذلك الشيخ طاش كبرى زاده في كتابه، مفتاح السعادة، ومصباح السيادة: ج١، ص٤٩٤.

أحدها: ما أنزل الله فيه نص كتاب، فبين رسول الله -ﷺ- مثل نص الكتاب.

والثاني: ما أنزل الله فيه جملة كتاب، فبين عن الله ما أراد، وهذان الوجهان لم يختلفوا فيهما.

والثالث: ما سن الرسول -ﷺ- وليس فيه نص كتاب، واختلفوا فيه، فمنهم من قال: جعل الله له بما فرض من طاعته، وسبق في علمه من توفيقه لرضاه، أن يسن فيما ليس فيه نص كتاب. ومنهم من قال: لم يسن سنة قط إلا ولها أصل في الكتاب. ومنهم من قال: بل جاءته رسالة الله فأثبت سنته بفرض الله. ومنهم من قال: أُلقي في روعه كما سن.

وبالقول الثاني جزم أبو الحكم بن برجان، وبنى عليه كتابه المسمى (بالإرشاد) وبين كثيراً من ذلك مفصلاً، وقال: كل حديث ففي القرآن الإشارة إليه تعريضاً أو تصريحاً، وما قال من شئ فهو في القرآن أو فيه أصله قرب أو بعد، فهمه من فهمه، وَعَمِه عنه من عمه. قال تعالى:{مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ}[الأنعام:٣٨] ألا يسمع إلى قوله -ﷺ-: لأقضين بينكما بكتاب الله،[١] وقضى بالرجم،[٢] وليس هو نصاً في كتاب الله، ولكن تعريض مجمل في قوله: {وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ }[النور:٨] وأما تعيين الرجم من عموم ذلك العذاب، وتفسير هذا المجمل فهو مبين بحكم الرسول -ﷺ- فيه، وبأمره به، وموجود في عموم قوله: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا}[الحشر:٧] وقوله: {مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ}[النساء:٨٠] وهكذا جميع قضائه وحكمه. وإنما يدرك الطالب من ذلك بقدر اجتهاده وبذل وسعه، ويبلغ منه الراغب فيه حيث بلغه ربه تبارك وتعالى، لأنه واهب النعم. قال: وقد نبهنا النبي -ﷺ- على هذا المطلب بمواضع كثيرة من خطابه. منها قوله عن الجنة: فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، بله[٣] ما أطلعكم الله عليه، ثم

---

[١] أخرج الحديث أحمد في، المسند: ج٤، ص٤١٥، ومالك في، الموطأ: ج٢، ص٨٢٢، وهو الكتب الستة: صحيح البخاري، رقم: ٢٣١٤-٦٨٥٩، وصحيح مسلم، رقم: ١٦٩٧-١٦٩٨، وسنن الترمذي، رقم: ١٤٣٣، وسنن النسائي، رقم: ٥٤١٠-٥٤١١، وسنن أبي داود، رقم: ١٤٤٥، وسنن ابن ماجة، رقم: ٢٥٤٩، ومضمونه معدود في الأحاديث المتواترة، وأكمل ألفاظه، رواية البخاري وأوضحها في الدلالة، رقم: ٢٧٢٤. والحديث في جامع الأصول، رقم: ١٨٤٧.

[٢] رجم الزاني الحر المحصن متواتر، كما عند السيوطي في، قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة: ٢٢٣-٢٢٦، رقم: ٨٣، وللكتاني، نظم المتناثر من الحديث المتواتر: ص١٨٢، وللكمال ابن الهمام الحنفي في، فتح القدير: ج٥، ص ٢٢٤، بثبوت الرجم متواتر المعنى وعليه إجماع الصحابة، ومن تقدم من علماء المسلمين، والحديث المتقدم في التعليق المتقدم من تلك الأحاديث الشريفة.

[٣] قال النووي في ، شرح صحيح مسلم: "بله: فَبِفَتْحِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَإِسْكَانِ اللَّامِ وَمَعْنَاهَا دَعْ عَنْكَ مَا أَطْلَعَكُمْ عَلَيْهِ فَالَّذِي لَمْ يُطْلِعْكُمْ عليه اعظم وكانه اضرب عنه استقلالاله في جنب مالم يُطْلِعْ عَلَيْهِ" ج١٧، ص١٦٦.

قال: اقرءوا إن شئتم: {فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ}[السجدة:١٧][١] وحديثه الآخر: اعملوا فكل ميسر لما خلق له، فمن كان من أهل السعادة فهو يعمل لها، ومن كان من أهل الشقاوة فهو يعمل لها، ثم قرأ {فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} [الليل:١٠-٥].[٢] ومنها قوله: إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، ثم قال: اقرءوا إن شئتم: {وَظِلٍّ مَّمْدُود}[الواقعة:٣٠][٣] فأعلم -ﷺ- بمواضع حديثه من القرآن، ونبههم على مصداق خطابه من الكتاب، ليستخرج علماء أمته معاني حديثه منه، طلبا لليقين وحرصاً منه -عليه السلام- على أن يزيل عنهم الارتياب، وأن يرتقوا في الأسباب".[٤]

وأبرز من عنى بهذا النوع من البيان، واهتم به في تفسير كلام ربنا الرحمن-جل ثناؤه- الشيخ الموهوب الإمام محمد الأمين الشنقيطي-رحمه الله- وسمى به كتابه (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) قال في مقدمته: "اعلم أن من أهم المقصود بتأليفه أمران:

أحدهما: بيان القرآن بالقرآن لإجماع العلماء على أن أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله، إذ لا أحد أعلم بمعنى كلام الله جل وعلا من الله جل وعلا.

الثاني: بيان الأحكام الفقهية في جميع الآيات المبينة -بالفتح- في هذا الكتاب فإننا نبين ما فيها من الأحكام، و أدلتها من السنة، و أقوال العلماء في ذلك، و نرجح ما ظهر لنا أنه الراجح بالدليل من غير تعصب لمذهب معين و لا لقول قائل معين".[٥]

وسأقتصر على ثلاثة أمثلة توضح تفسير كلام الله العظيم بكلامه الحكيم- ﷻ-.

---

[١] أخرج الحديث أحمد، في المسند: ج٢، ص٣١٣ والبخاري، الصحيح، رقم: ٣٢٤٤، ومسلم، الصحيح، رقم: ٢٨٢٤، والترمذي، السنن، رقم: ٣١٩٥، من رواية أبي هريرة -رضي الله عنه- وهو في جامع الأصول رقم: ٨٠٢٦.

[٢] أخرج الحديث أحمد، في المسند، ج١، ص٨٢ والبخاري، الصحيح، رقم: ٤٩٤٦ ومسلم، الصحيح، رقم: ٢٦٤٧، وابن حبان، الصحيح، رقم: ٣٣٤ من رواية سيدنا علي -رضي الله عنه- وهو في جامع الأصول، رقم: ٧٥٧٩.

[٣] أخرج الحديث أحمد، في المسند، ج٢، ص٢٥٧. والبخاري، الصحيح، رقم: ٣٢٥٢-٤٨٨١. ومسلم، الصحيح، رقم: ٢٨٢٦. وهو في جامع الأصول، رقم:٨٠٤٠.

[٤] الزركشي، البحر المحيط: ج٤، ص١٦٥-١٦٦، ونص كلام الشافعي في، الرسالة: ص٩١-٩٣.

[٥] محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج١، ص٦٧-٦٨.

أولها: قال الشيخ المبارك الموهوب في تفسير قوله –تبارك وتعالى–: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِين} [الدخان:٣] "أبهم –تعالى– هذه الليلة المباركة هنا، ولكنه بين أنها هي ليلة القدر في قوله –تعالى–: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْر}[القدر:١] وبين كونها (مباركة) المذكورة هنا في قوله – تعالى –: {لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْر}[القدر:٣] إلى آخر السورة.

فقوله: في ليلة مباركة أي كثيرة البركات والخيرات. ولا شك أن ليلة القدر هي خير من ألف شهر، إلى آخر الصفات التي وصفت بها –في سورة القدر– كثيرة البركات والخيرات جداً.

وقد بين –تعالى– أن هذه الليلة المباركة هي ليلة القدر، التي أنزل فيها القرآن من شهر رمضان، في قوله –تعالى–: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ }[البقرة:١٨٥] فدعوى أنها ليلة النصف من شعبان كما روي عن عكرمة وغيره، لا شك في أنها دعوى باطلة لمخالفتها لنص القرآن الصريح، ولا شك كل ما خالف الحق فهو باطل.

والأحاديث التي يوردها بعضهم في أنها من شعبان –المخالفة لصريح القرآن– لا أساس لها، ولا يصح سند شيء منها، كما جزم به ابن العربي وغير واحد من المحققين. فالعجب كل العجب من مسلم يخالف نص القرآن الصريح بلا مستند كتاب، ولا سنة صحيحة".[١]

وهذا الذي قرره الشيخ هو الحق الذي لا مرية فيه، قال الإمام الطبري: "والصواب من القول في ذلك قول من قال: عَنى بها ليلة القدر".[٢] وقال الإمام ابن العربي عن قول عكرمة: "إنه باطل، فمن زعم أنه في غيره –غير رمضان– فقد أعظم على الله الفرية".[٣] وصحح هذا القول الإمام القرطبي[٤]، ومال إليه الإمام أبو حيان[٥]، وحكى قول الإمام ابن العربي، وأقره. قال الإمام الرازي: "وأما القائلون بأن المراد من الليلة المباركة المذكورة في هذه الآية هي ليلة النصف من شعبان، فما رأيت لهم فيه دليلاً يعول عليه، وإنما قنعوا فيه بأن نقلوه

---

[١] محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان: ج٧، ص٣١٩.

[٢] الطبري، التفسير: ج٢٥، ص٦٤.

[٣] ابن العربي، أحكام القرآن: ج٤، ص١٦٩٠.

[٤] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ج١٦، ص١٢٦.

[٥] أبو حيان، البحر المحيط: ج٨، ص٣٢، ومعه النهر، ج٨، ص٣١.

عن بعض الناس، فإن صح عن رسول الله –ﷺ– فيه كلام فلا مزيد عليه، وإلا فالحق هو الأول– وقد مرَّ معنا أنه لم يصح في ذلك شيء".[١]

ثانيها: قال الشيخ الموهوب في تفسير قول الله –علام الغيوب–: {تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلاَئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ أَلاَ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيم} [الشورى:٥] قرأ هذا الحرفَ عامةُ العشرة غير نافع والكسائي (تكاد) بالتاء الفوقية، لأن السماوات مؤنثة، وقرأه نافع والكسائي (يكاد) بالياء التحتية لأن تأنيث السماوات غير حقيقي.[٢]

وقرأه عامة السبعة غير أبي عمرو، وشعبة عن عاصم (يتفطرن) بتاء مثناة فوقية مفتوحة بعد الياء وفتح الطاء المشددة، مضارع تفطر، أي تشقق.

وقرأه أبو عمرو وشعبة عن عاصم (ينفطرن) بنون ساكنة بعد الياء وكسر الطاء المخففة، مضارع انفطرت، كقوله: {إِذَا السَّمَاء انفَطَرَت} [الانفطار:١] أي انشقت.[٣]

وقوله: تكاد، مضارع كاد، التي هي فعل مقاربة، ومعلوم أنها تعمل في المبتدإ والخبر، ومعنى كونها فعل مقاربة، أنها تدل على قرب اتصاف المبتدإ بالخبر.

وإذاً، فمعنى الآية: أن السماوات قاربت أن تتصف بالتفطر على القراءة الأولى، والانفطار على القراءة الثانية.

وسبب مقاربة السماوات للتفطر في هذه الآية الكريمة فيه للعلماء وجهان كلاهما يدل له قرآن:

---

[١] الرازي، التفسير: ج٢٧، ص٢٣٨.

[٢] ابن الجزري، تقريب النشر في القراءات العشر: ص١٤٠، نسبة قراءة التاء الفوقية إلى عامة العشرة غير أبي عمرو، وشعبة، في سورة ((مريم)): ٩٠، وفي سورة الشورى:٥. وعند أبو زرعة ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد، في حجة القراءات: ص٤٤٨، ٦٤٠، تعليل آخر لتعليل تذكير الفعل، وهو: لأن السموات جمع قليل، والعرب تذكر فعل المؤنث إذا كان قليلاً، لأن الجمع القليل قبل الكثير، والمذكر قبل المؤنث، فحمل الأول على الأول.

[٣] المصدر السابق: ص١٤٠ وفيه، إضافة قراءة يعقوب إلى قراءة أبي عمرو وشعبة أما بقية العشرة فقراءتهم ((يتفطرن)) مضارع تفطر. أي: تشقَّق. في آية الشورى. وفي حجة القراءات: ص٤٤٩–٦٤٠: "وَالْأَمر فِي التَّاء وَالنُّون يرجع إِلَى معنى وَاحِد، إِلَّا أَن التَّاء للتكثير، وَذَلِكَ أَن (ينفطرن) إِنَّمَا هُوَ من (فُطِرتْ فانفطرت) مثل (كُسرتْ فانكسرتْ، وقُطِعت فانقطعت) و (يتفطَّرْن) من قولك (فُطِّرْت فتفطَّرت) مثل (كسِّرتْ فتكسَّرتْ وَقُطِّعتْ فتقطَّعت) فَهَذَا لَا يكون إِلَّا للتكثير. فَقَوله (يتفطَّرْن) أَشد مُبَالغَة فِي تغيظهن على من نسب إِلَى الله ولدا" ص ٤٤٨–٤٤٩، ونحوه في الحجة في القراءات السبع، ص٢٣٩. وفيه "هما لغتان فصيحتان، معناهما: التشقق"

الوجه الأول: أن المعنى: تكاد السماوات يتفطرن خوفاً من الله، وهيبة وإجلالاً، ويدل لهذا الوجه قوله – تعالى– قبله: {لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيم} [الشورى:٤] لأن علوه وعظمته سبَّبَ للسماوات ذلك الخوف والهيبة والإجلال، حتى كادت تتفطر. وعلى هذا الوجه، فقوله بعده: (والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض) مناسبته لما قبله، لأن المعنى: أن السماوات في غاية الخوف منه – تعالى– والهيبة والإجلال له، وكذلك سكانها من الملائكة، فهم (يسبحون بحمد ربهم) أي ينزهونه عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله مع إثباتهم له كل كمال وجلال، خوفا منه وهيبة وإجلالاً، كما قال –تعالى–:{وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلآئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ} [الرعد:١٣] وقال – تعالى–: {وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَالْمَلآئِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُون يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُون } [النحل: ٥٠–٤٩].

الوجه الثاني: أن المعنى (تكاد السماوات يتفطرن) من شدة عظم الفرية التي افتراها الكفار على خالق السماوات والأرض –جل وعلا– من كونه اتخذ ولداً سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيراً وهذا الوجه جاء موضحاً في سورة (مريم) في قوله –تعالى–: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا }[مريم:٨٨ –٩٣] كما قدمنا إيضاحه.

وغاية ما في هذا الوجه أن آية (الشورى) فيها إجمال في سبب تفطر السماوات، وقد جاء ذلك موضحاً في آية (مريم) المذكورة. وكلا الوجهين حق.

ثم قال –رحمه الله– وقوله –تعالى–: {أَلاَ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيم}[الشورى:٥] أكد –جل وعلا– في هذه الآية الكريمة، أنه هو الغفور الرحيم، وبين فيها أنه هو وحده المختص بذلك. وهذان الأمران اللذان تضمنتهما هذه الآية الكريمة – قد جاءا موضحين في غير هذا الموضع.

أما اختصاصه هو –جل وعلا– بغفران الذنوب، فقد ذكره في قوله –تعالى–: {وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ }[آل عمران:١٣٥] والمعنى لا يغفر الذنوب إلا الله، وفي الحديث: "رب إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت". [١]

ووجه دلالة هذه الآية على أن الله وحده هو الذي يغفر الذنوب: هو أن ضمير الفصل بين المسند والمسند إليه في قوله: (ألا إن الله هو الغفور الرحيم) يدل على ذلك كما هو معلوم في محله.

وأما الأمر الثاني: هو توكيده –تعالى– أنه هو الغفور الرحيم، فإنه أكد ذلك هنا بحرف الاستفتاح الذي هو (ألا)، وحرف التوكيد الذي هو (إن).

وقد أوضح ذلك في آيات كثيرة، كقوله –تعالى–: {إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيم}[الزمر:٥٣] وقوله –تعالى–: {إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ } [النجم:٣٢] وقوله في الكفار: {قُل لِلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغَفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ} [الأنفال:٣٨] وقوله في الذين قالوا: {إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ}[المائدة:٧٣] {أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيم} [المائدة:٧٤] والآيات بمثل ذلك كثيرة.[٢]

ولا يسع القارئ نحو التفسير بهذه الطريقة السديدة المحكمة، إلا أن يقول: سبحان من ألهم هذا المفسر وأكرمه، ووهبه الحكمة وعلمه، وسيتحقق بأنه لن يزال في الزوايا خبايا، وفي الرجال بقايا[٣] وكم ترك الأول للآخر من الكنوز والهدايا، وسيبقى فضل ربنا الكريم الوهاب مستمراً في البرايا، ولله در الإمام ابن مالك فما أجمل قوله وأصدقه في توضيح تلك العطايا: "وإذا كانت العلوم منحاً إلهية، ومواهبَ اختصاصية، فغيرُ مُستَبعدٍ

---

[١] أخرج الأثر، البخاري في، الصحيح، رقم: ٨٣٤، ٦٣٢٦، ٧٣٨٧، ومسلم في، الصحيح، رقم: ٢٧٠٥، والترمذي في، السنن، رقم: ٣٥٢١، وهو في جامع الأصول، رقم: ٢١٨٦.

[٢] محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان: ج٧، ص١٥١–١٥٥.

[٣] جمع: بقية. وهي: الفضل وتمام العقل، وسُمي الفضل والجُودة ((بقية)) لأن الرجل يستبقي مما يخرجه أجوده وأفضله، فصار مثلاً في الجُودة والفضل. ويقال: فلان من بقية القوم. أي: من خيارهم. ومنه قولهم: في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا. كما في تفسير النسفي: ج٢، ص٣٤٩، عند تفسير قوله –جل وعلا–:{فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ}[هود:١١٦] وراجع عمدة الحفاظ: ٥٩ ((بقي)) وكذلك لسان العرب: ج١٧، ص٨٦–٨٧، وتاج العروس: ج١٠، ص٤١.

أن يُدَّخر لبعض المتأخرين، ما عسر على كثير من المتقدمين، نعوذ بالله من حسدٍ يسدُّ باب الإنصاف، ويصدُّ عن جميل الأوصاف".[1]

المثال الثالث: ذكر الإمام ابن الجوزي في كتابه (المدهش) جملة كبيرة لبيان معاني القرآن الكريم بالقرآن العظيم فقال: "وقد يحتاج بعض الكلام إلى بيان فيبينونه متصلا بالكلام تارة ومنفصلا أخرى وجاء القرآن على ذلك:

فمن المتصل بيانه: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللّهُ فَكُلُواْ مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُواْ اسْمَ اللّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [المائدة:٤].

وأما المنفصل: فتارة يكون في السورة كقوله في براءة: {قَدْ نَبَّأَنَا اللّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ}[التوبة:٩٤] بيانه فيها عند قوله:{لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً} [التوبة:٤٧].

وتارة يكون في غير السورة كقوله في البقرة:{وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ} [البقرة:٤٠] بيانه في المائدة:{ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ }[المائدة:١٢] .[2]

نماذج من تفسير القرآن الكريم لسيد الموهوبين رسولنا –ﷺ–.

تقدم معنا في بحثنا أن هذا النوع من التفسير أعلا مراتب تفسير كلام الله الجليل، إذ هو متعلق بوظيفة نبينا البشير النذير كما هو نص التنزيل: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُون} [النحل:٤٤] وهذا البيان شامل لبيان لفظه وبيان معناه، وهذا معلوم بالضرورة من دين الإسلام، ويوضح ذلك خمسة أمور حسان.

---

[1] ابن مالك الطائي، محمد بن عبد الله، إمام النحاة، وحافظ اللغة، ت: ٦٧٢هـ كما في بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: ج، ص١٣٠–١٣٧ .مقدمة تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد. ص٢.

[2] ابن الجوزي، المدهش: ص٢٧–٣٠.

أولها: وظيفة النبي –ﷺ– بيان هُدى ربنا الرحمن، وذلك شامل لبيان ألفاظ القرآن ومعانيه الحسان، كما دل على ذلك آية (النحل) ومثلها قول الله –عز وجل–:{ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَه}[القيامة:١٩] قراءته وتفسيره.[١]

ثانيها: كثير من آي القرآن الحكيم عام ومجمل، وقد خَصَّت السنةُ الشريفة عمومَه، وقيدت مطلقه، كما رفعت ما توهم فهم بعض الصحابة الكرام –رضي الله عنهم– نحوه.

ثالثها: موقف الصحابة الكرام يدل على ما روي عن عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه– قال: "كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعملَ بهن".[٢]

رابعاً: إن العادة تمنع أن يقرأ قوم كتاباً في فن من العلم كالطب والحساب ولا يستشرحوه فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم؟ ولهذا كان النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليلا جدا وهو وإن كان في التابعين أكثر منه في الصحابة فهو قليل بالنسبة إلى من بعدهم وكلما كان العصر أشرف كان الاجتماع والائتلاف والعلم والبيان فيه أكثر.[٣]

خامساً: من المعلوم عند أهل الحق أن وحي الله الحق نوعان: وحي متلو: هو القرآن الكريم الواجب مراعاة نظمه والمتعبد بتلاوته. وحي غير متلو: وهو السنة الشريفة المباركة المطهرة.

ومن المعلوم أيضاً أن حجية الإجماع أُخذتْ منهما، كما أنه يستدل على صحة القياس بهما، فآل الأمر بدءاً ونهاية إلى الوحي فهو الحكم بين العباد، وفيه هداهم وسعادتهم في الدنيا ويوم المعاد.[٤]

والسنة المشرفة كلها من أولها لآخرها بجميع أنواعها تدخل في آية واحدة من كتاب ربنا– جل وعلا– وهي قوله –جل وعلا–:{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَاب}[الحشر:٧].

---

[١] ابن كثير، التفسير، ج٨، ص٢٧٨.

[٢] رواه محمد بن نصر في، قيام الليل –مختصره–: ص٧٨، والطبري في، تفسيره: ج١، ص٢٧، ٣٠ وصححه، والطحاوي في، شرح مشكل الآثار: ج٤، ص٨٢، رقم:١٤٥٠، والحاكم، المستدرك: ج١، ص٥٥٧، وصححه، ووافقه الذهبي، والبيهقي في، السنن الكبرى: ج٣، ص١١٩–١٢٠، وشعب الإيمان: ج٢، ص٣٣٠–٣٣١، رقم: ١٩٥٣.

[٣] كما هو نص كلام ابن تيمية –مقدمة التفسير– ضمن مجموع الفتاوى: ج١٣، ص٣٣٢، وفيها– أيضاً– بيان للأمور المتقدمة. وعند السيوطي في، الإتقان: ج٤، ص٢١٢، والألوسي، وروح المعاني: ج١٤، ص١٥٠.

[٤] تقدم تقرير ذلك في، ص:٣٣.

نعم كل من القرآن، وسنة نبينا –عليه الصلاة والسلام– وحي من ربنا الرحمن، وباعتقادهما والعمل بهما يتحقق الإيمان، فجميع ما يقوله الأئمة الكرام شرح لسنة النبي –عليه الصلاة والسلام– وجميع شرح السنة الشريفة شرح للقرآن كما نقل ذلك الإمام السيوطي عن الإمام الشافعي في مطلع كتابه (الإكليل في استنباط التنزيل).[1]

وسأقتصر على مثالين فقط من أنواع بيان السنة الشريفة للقرآن الحكيم.

أولهما: إزالة خفاء دلالة الكلام المبارك لاحتماله له، بتحديد معناه بالسنة المطهرة.

ثبت في المسند والصحيحين وغير ذلك من دواوين السنة الشريفة عن عبد الله بن مسعود– رضي الله عنه– قال: "لما نزلت: {الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ} [الأنعام:٨٢] شَقَّ ذلك على المسلمين، وقالوا: أَيُّنَا لا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ فقال رسول الله –ﷺ–: ليس ذلك، إنَّما هو الشِّركُ، أَلم تَسمَعُوا قولَ لقمان لابنه: {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيم} [لقمان:١٣]".[2]

وفي أخرى: "لما نزلت: {وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ} [الأنعام:٨٢] قال أصحابه: وأينا لم يظلم؟ فنزلت: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيم} [لقمان:١٣]".[3]

ومن المعلوم أن فهم الصحابة الطاهرين –رضي الله عنهم أجمعين– عقلي مظنون، لأن لفظ الظلم، الوارد في الآية الكريمة عام يشمل عموم المعاصي لأنه نكره في سياق نفي والنكرة في سياق النفي تعم، وهذا ما فهمه الصحابة –رضوان الله عليهم– من الآية الكريمة لكن النبي –ﷺ– قصر ذلك العام على فرد من الأفراد، وهو الشرك، ومن أجل ذلك طرح المعقول الظني للثابت من المنقول، لأنه إذا قام تعارض بين المنقول الثابت،

---

[1] السيوطي، الإكليل: ص٥–١١، ومحمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان: ج٣، ص٣٣٦–٣٤٥.

[2] أخرج الأثر أحمد في، المسند: ج١، ص٣٧٨، والبخاري رقم: ٣٣٦٠. ومسلم في، صحيحه، رقم: ١٢٤، وهو في جامع الأصول، رقم: ٦١٩.

[3] الرواية الثانية أخرجها البخاري في، صحيحه، رقم: ٣٢. وابن حبان، الصحيح، رقم:٢٥٣.

وبين المنقول المظنون وكان هذا التعارض في الحقيقة ونفس الأمر بحيث لا يمكن الجمع بينهما بحال يقدم المنقول الثابت ويرد المعقول المظنون.[١]

قال الإمام النووي –عليه رحمة الله تعالى–: "هاتان الروايتان إحداهما تبين الأخرى، فيكون لما شق عليهم أنزل الله تعالى: (إن الشرك لظلم عظيم) وأعلم النبي –ﷺ– أن الظلم المطلق هناك المراد به هذا المقيد، وهو الشرك. فقال لهم النبي –ﷺ– بعد ذلك: ليس الظلم على إطلاقه وعمومه كما ظننتم. إنما هو الشرك كما قال لقمان لابنه" أ هـ .

وقال الإمام ابن حجر – رحمه الله تعالى –: "يحتمل أن يكون نزولها – أي آية لقمان– وقع في الحال، فتلاها عليهم، ثم نبههم، فتلتئم الروايتان".[٢]

ثانيهما: تخصيص الحكم العام الذي دل عليه آي القرآن بسنة نبينا –عليه الصلاة والسلام– قال الله – جل وعلا–: {وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاء ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا}[النساء:٢٤] أي: ما سوى المحرمات المذكورة في الآيتين المذكورتين: ٢٣–٢٤، ولم يتقدم تحريم الجمع بين المرأة وعمتها، والمرأة وخالتها، وعليه فيدخلن في عموم قول الله– جل وعز–:{وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاء ذَلِكُمْ} لكن السنة الشريفة الثابتة ثبوتاً لا مطعن فيه ألبته،[٣] فهي مستفيضة بل متواترة، حرمت الجمع بينهن، والحديث الشريف مجمعٌ على العمل به في تحريم الجمع بين من ذكر فيه بالنكاح، كما هو نص كلام الإمام القرطبي.[٤]

وقال الإمام ابن الجوزي: "{وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاء ذَلِكُمْ} أي: ما بعد هذه الأشياء –أي المحرمات المذكورات من نكاح النساء– إلا أن السنة قد حَّرمت تزويج المرأة على عمتها، وتزويجها على خالتها".[٥]

---

[١] مستفاد من مذكرة الدكتور إبراهيم خليفة في، مناهج المفسرين، ص٩.

[٢] انظر شرح النووي على صحيح مسلم: ج٢، ص١٤٣، وابن حجر، فتح الباري: ج١، ص٨٨.

[٣] يجوز في همزتها الوصل والقطع، طالع تفصيل ذلك عند الزَّبيدي في، تاج العروس: ج١، ص٥٣٤، "بتت" وأبو البقاء الحنفي، الكليات: ج١، ص٤٢٦، "فصل الباء" ابن حجر، فتح الباري: ج٧، ص.٤٨٣

[٤] القرطبي، التفسير: ج٥، ص١٢٥.

[٥] ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير: ج٢، ص٥٢.

ثبت عنه –عليه الصلاة والسلام– من حديث أبي هريرة– رضي الله عنه– قال: "نهى رسول الله –ﷺ– أن تُنْكَح المرأةُ على عمتها، والمرأةُ على خالتها" وفي رواية "لا تُنكَحُ العمةُ على بنت الأخ، ولا ابنة الأخت على الخالة".[١]

وأما فيما يتعلق بدلالة الحديث الشريف فمجمعٌ عليها عند أهل الهدى، ولم يخالف في ذلك إلا شرذمة من أهل الردى، لا يعتد بخلافهم.

قال الإمام الترمذي –رحمه الله– عقب روايته للحديث المتقدم: "والعمل على هذا عند عامة أهل العلم، لا نعلم بينهم اختلافاً أَنَّهُ لاَ يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا، أَوْ خَالَتِهَا، فَإِنْ نَكَحَ امْرَأَةً عَلَى عَمَّتِهَا أَوْ خَالَتِهَا، أَوِ العَمَّةَ عَلَى بِنْتِ أَخِيهَا، فَنِكَاحُ الأُخْرَى مِنْهُمَا مَفْسُوخٌ، وَبِهِ يَقُولُ عَامَّةُ أَهْلِ العِلْمِ".[٢]

وقال الإمام النووي –رحمه الله–: "هَذَا دَلِيلٌ لِمَذَاهِبِ الْعُلَمَاءِ كَافَّةً أَنَّهُ يَحْرُمُ الْجَمْعُ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ خَالَتِهَا سَوَاءٌ كَانَتْ عَمَّةً وَخَالَةً حَقِيقَةً وَهِيَ أُخْتُ الْأَبِ وَأُخْتُ الْأُمِّ أَوْ مَجَازِيَّةً وَهِيَ أُخْتُ أَبِي الْأَبِ وَأَبِي الْجَدِّ وَإِنْ عَلَا أَوْ أُخْتُ أُمِّ الْأُمِّ وَأُمُّ الْجَدَّةِ مِنْ جِهَتَيِ الْأُمِّ وَالْأَبِ وَإِنْ عَلَتْ فَكُلُّهُنَّ بِإِجْمَاعِ الْعُلَمَاءِ يَحْرُمُ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْخَوَارِجِ وَالشِّيعَةِ يَجُوزُ وَاحْتَجُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ، واحتج الجمهور بهذه الأحاديث خصوا بِهَا الْآيَةَ وَالصَّحِيحُ الَّذِي عَلَيْهِ جُمْهُورِ الْأُصُولِيِّينَ جواز تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُبَيِّنٌ لِلنَّاسِ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ"[٣] وتبعهم من جاء بعدهم على نقل أقولهم، رادين شذوذ من خالفهم.[٤]

---

[١] أخرج الأثر البخاري في، الصحيح، رقم: ٥١٠٩، وعلقه عقيب حديث. ٥١٠٨، قال الإمام الزيلعي في نصب الراية: ج٣، ص١٧٠ قال الإمام المنذري: أخرجه البخاري تعليقاً. وأخرجه مسلم في، صحيحه، رقم: ١٤٠٨، والترمذي في، السنن، رقم: ١١٢٦. وهو في جامع الأصول، رقم: ٩٠٥٥ وهو حديث متواتر، وقد صرح بتواتره ابن رشد في، بداية المجتهد: ج٦، ص٤٥٠، كما عدَّه الكتاني من المتواتر في، نظم المتناثر من الحديث المتواتر، ص: ٩٧، رقم: ١٥٨.

[٢] أخرج الأثر الترمذي في، السنن –كتاب النكاح– باب ما جاء ((لا تنكح المرأة على عمتها، ولا على خالتها)): ج٤، ص٨٩، رقم: ١١٢٦.

[٣] النووي، المنهاج شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج: ج٩، ص١٩٠–١٩١.

[٤] طالع مثلاً: أبو الحسن نور الدين، الملا الهروي القاري، مرقاة المفاتيح: ج٣، ص٤٢٩، والشوكاني، نيل الأوطار: ج٦، ص١٤٧–١٤٨، والسهارنفوري، خليل أحمد، بذل المجهود في حل سنن الإمام أبي داود: ج٧، ص٦٢٣–٦٢٦، وشرح الجامع الصحيح:ج١٠، ص٤٣١–٤٣٢.

نماذج تفسير موهوب من الصحابة –رضي الله عنهم أجمعين–.

قبل البدء بعرض نماذج من موهبته في تفسير كلام ربه، هذه نبذة عن حياته –رضي الله عنه– فيها تطبيق عملي لكل ما تقدم تقريره في الفصل الأول، من قيامه بأسباب الحصول على الوهب، وظهور موهبته، في تفسيره لكلام ربه حتى قيل عنه "ترجمان القرآن".[١]

وهو سيدنا المبارك الموهوب عبدالله بن العباس بن عم نبينا –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– ولد قبل الهجرة الشريفة بثلاث سنين في مكة المكرمة، وهاجر إلى مدينة المنورة مع أبويه الكريمين سنة الفتح العظيم، وعمره إحدى عشرة سنة، وقد أسلم قبل ذلك بيقين، ولم يجر عليه قلم التكليف، كما ثبت عنه –رضي الله عنه– قال: "كنت أنا وأمي من المستضعفين، أنا من الولدان، وأمي من النساء".[٢]

وبلغ عمره المبارك عند انتقال سيدنا رسول الله –ﷺ– إلى الرفيق الأعلى، ثلاث عشرة سنة، فقد أخبر عن نفسه أنه ناهز الاحتلام في حجة الوداع، كما في الصحيحين وغيرهما، قال: "أقبلتُ راكباً على أتانٍ، وأنا يومئذ قد ناهزتُ الاحتلام والنبيُّ –ﷺ– يصلي بالناس بمنى إلى غير جدار، فمررتُ بين يدي الصفِّ فنزلتُ، وأرسلتُ الأتانَ ترْتعُ، ودخلتُ في الصف، فلم ينكر ذلك عليَّ أحد".[٣]

وفي معجم الطبراني الكبير عن ابن عباس–رضي الله عنهما– قال: "ولدت قبل الهجرة بثلاث سنين، ونحن في الشعب، وتوفي النبي –ﷺ– وأنا ابن ثلاث عشرة سنة".[٤] وهو –رضي الله عنه– في تلك المرحلة من

---

[١] سيأتي تخريج الأثر مفصلا في، ص ١٧٣. من هذا البحث.

[٢] أخرج الأثر البخاري في، الصحيح، رقم: ٤٥٨٧، دون آخره: "أنا من.." واللفظ بتمامه أخرجه الإسماعيلي كما في فتح الباري: ج٨، ص٢٥٥، وكذلك البيهقي في، سننه: ج٩، ص١٣، وابن أبي حاتم في، تفسيره، رقم: ٨٥٧١، والطبري في، تفسيره: ج٥، ص١٥٠. وهو في جامع الأصول، رقم: ٥٧٢.

[٣] أخرج الأثر البخاري في، الصحيح، رقم: ٧٦، ٤٩٣، ٨٦١، ومسلم في، صحيحه، رقم: ٥٠٤، والترمذي في، السنن، رقم: ٣٣٧، وهو في جامع الأصول، رقم:٣٧٢٢.

ومناهزة الاحتلام: مقاربته. كما عند أبو إسحاق، إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي في، مطالع الأنوار على صحاح الآثار:ج٤، ص٢٢٧، حرف النون. وعند ابن الأثير، في النهاية في غريب الحديث: (نهز) ناهز الصبي البلوغ إذا داناه . وحقيقته : كان ذا نهز. اهـ وورد في بعض روايات الإمام البيهقي:(قد راهقت الاحتلام) والمراهقة بمعنى المناهزة قال ابن قُرقول في كتابه (مطالع الأنوار): ج٣، ص١٩١(حرف الراء) راهق الحُلُم: دنا منه. وعند ابن الجوزي في، غريب الحديث:ج١، ص٤٢٤، صبي مراهق: قد قارب الحلم.

[٤] أخرجه الطبراني في، معجمه الكبير، رقم: ١٠٥٦٧. وهذا هو الصحيح الذي اتفق عليه أهل السير كما تقدم نقل ذلك عن الحافظ ابن حجر.

عمره المبارك لم يصحب فيها نبينا المبارك –ﷺ– إلا أقل من سنتين ونصف، وقد تحلى بأعلى درجات الأدب اللطيف في ذلك السن الذي لم يجر عليه فيه قلم التكليف، وصاحب ذلك همة عالية فائقة في طلب معالي الأمور، وما انفك عنهما حتى لحقت نفسُه الطيبة المطمئنة راضيةً مرضيةً بربها الكريم الغفور، وسُنَّةُ رب الأرض والسماوات، لا تتخلف في وقت من الأوقات، فمن كانت بدايته مجاهدة محرقة للعادات، كانت نهايته مشرقة بأنواع السعادات، فالوهب والكسب متلازمان، والله أعلم حيث يجعل وهبه في الأنام.

وسأستعرض ثلاثة نماذج من كسبه المشكور وسعيه المبرور، مع ما صاحبها من وهب من ربه الكريم الشكور.

الأول: أدبه مع نبينا –ﷺ– دال على فطنته ومحبته –رضي الله عنه– ثبت في دواوين السنة الشريفة عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: "كنت في بيت ميمونة بنت الحارث، فوضعتُ لرسول الله –ﷺ– طهوراً فقال: من وضع هذا ؟ قالت ميمونة: عبدُ الله فقال –ﷺ–: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأول".[1] ذلك الأدب العظيم الذي كان عليه ذلك الغلام الحكيم، كافأه حبيبنا رسول رب العالمين –ﷺ– بما يوصله إلى أعلا مراتب وهب ربنا الرحيم، قال الإمام زين الدين ابن المنيرّ: "مناسبتُه الدُّعَاءِ لِابْنِ عَبَّاسٍ بِالتَّفَقُّهِ عَلَى وَضْعِهِ الْمَاءَ مِنْ جِهَةِ أَنَّهُ تَرَدَّدَ بَيْنَ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ، إمَّا أَنْ يَدْخُلَ إلَيْهِ بِالْمَاءِ إلَى الْخَلَاءِ، أَوْ يَضَعَهُ عَلَى الْبَابِ لِيَتَنَاوَلَهُ مِنْ قُرْبٍ، أَوْ لَا يَفْعَلَ شَيْئًا فَرَأَى الثَّانِيَ أَوْفَقَ، لِأَنَّ فِي الْأَوَّلِ تَعَرُّضًا لِلِاطِّلَاعِ وَالثَّالِثُ يَسْتَدْعِي مَشَقَّةً فِي طَلَبِ الْمَاءِ، وَالثَّانِي أَسْهَلُهَا فَفِعْلُهُ يَدُلُّ عَلَى ذَكَائِهِ فَنَاسَبَ أَن يَدعِي لَهُ بِالتَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ لِيَحْصُلَ بِهِ النَّفْعُ وَكَذَا كَانَ".[2]

وتأمل أدباً آخر من آداب ذلك الغلام اللبيب مع سيدنا رسولنا الحبيب –ﷺ– وكيف أثابه بما يزيده من الوهب العجيب، ثبت في المسند وغيره بإسناد صحيح ثابت على شرط الشيخين عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: " أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، فَصَلَّيْتُ خَلْفَهُ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَجَرَّنِي،

---

[1] أخرج الأثر أحمد في، المسند: ج١، ص٣٢٨، ٣٣٥، وصحيح ابن حبان: ٧٠٥٥، والمستدرك: ج٣، ص٥٣٤، وقال صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، والحديث في مصنف ابن أبي شيبة: ج١٢، ص١١٢، رقم: ١١٢٧٣، وطبقات ابن سعد: ج٢، ص٣٦٥.

[2] كما عند ابن حجر في، فتح الباري: ج١، ص٢٤٤–٢٤٥. وابن المنيّر هو: زين الدين على بن محمد بن المنير السكندري –من الإسكندرية– له شرح صحيح البخاري في عدة أسفار –عشر مجلدات– لم يعمل عليه مثله، وله حواشي على شرح ابن بطال على صحيح البخاري، وشرح على خصوص تراجم صحيح البخاري. وهو الذي يقصده ابن حجر في فتح الباري، بقوله: قال ابن المنيّر. مترجم في شجرة النور الزكية في طبقات السادة المالكية توفي: ٦٩٥هـ – رحمه الله: ج١، ص١٨٨، رقم ٦٢٦.

فَجَعَلَنِي حِذَاءَهُ، فَلَمَّا أَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَلَى صَلاتِهِ، خَنَسْتُ، فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ لِي: مَا شَأْنِي أَجْعَلُكَ حِذَائِي فَتَخْنِسُ؟ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَيَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُصَلِّيَ حِذَاءَكَ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللهِ الَّذِي أَعْطَاكَ اللهُ؟ قَالَ: فَأَعْجَبَتْهُ، فَدَعَا اللهَ لِي أَنْ يَزِيدَنِي عِلْمًا وَفَهْمًا".[1]

قال الحافظ في الفتح: "وهذه الدعوه مما تحقق إجابة النبي –ﷺ– فيها، لما علم من حال عبد الله بن عباس في معرفة التفسير والفقه في الدين– رضي الله تعالى عنه–".[2]

وكذلك اعتبر الإمام ابن كثير في كتابه البدايه والنهاية ما حصل لابن عباس –رضي الله عنهما– من وهب من دلائل النبوة، قال رحمه الله تعالى: "وقد استجاب الله لرسوله –ﷺ– هذه الدعوة في ابن عمه، فكان إماماً يهتدى بهداه ويقتدى بسناه في علوم الشريعة، ولا سيما في علم التأويل وهو التفسير، فإنه انتهت إليه علوم الصحابة قبله، وما كان عقله من كلام ابن عمه رسول الله –ﷺ–".[3]

الثاني: أدبه مع الصحابة الصادقين المفلحين، فنال بذلك الخير العميم.

سأقتصر على أدبين كريمين من آدابه العالية، كما اقتصرت على أدبين من آدابه المباركة مع رسول الله –ﷺ–.

أدبه في طلب العلم منهم –رضي الله عنهم–.

ثبت في دواوين السنة الشريفة عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: "لما قبض رسول اللَّه –صلى اللَّه عليه وآله وسلّم– قلت لرجل من الأنصار: هلمّ فلنسأل أصحاب رسول اللَّه –صلى اللَّه عليه وآله وسلّم– فإنّهم اليوم كثير. فقال: واعجباً لك! أترى الناس يفتقرون إليك؟ قال: فترك ذلك، وأقبلت أسأل، فإن كان ليبلغني الحديث عن رجل فآتي بابه وهو قائل، فأتوسّد ردائي على بابه تسفي الريح علي من التراب، فيخرج فيراني فيقول: يا ابن

---

[1] أخرج الأثر أحمد في، المسند: ج١، ص٣٣٠، ورجاله رجال الصحيح كما في مجمع الزوائد: ج٩، ص٢٨٤، وهو عند الحاكم في، المستدرك: ج٣، ص٥٣٤. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وأخرجه أبو نعيم، حلية الأولياء: ج١، ص٣١٥. وابن أبي شيبة في، المصنف: ج١٢، ص١١١، رقم: ١٢٢٧٠، مقتصراً على قوله: "دعالي أن يزيدني علماً وفهماً". وكذلك ابن جرير في، تهذيب الآثار في السفر الأول: ص٢٦٤.

[2] ابن حجر في، فتح الباري: ج١، ص١٧٠، وفي: ج٧، ص١٠٠. "كان من أعلم الصحابة– رضي الله عنهم– بتفسير القرآن الكريم".

[3] ابن كثير، البداية والنهاية: ج٦، ص١٦٥.

عم رسول الله، ما جاء بك؟ هلا أرسلت إليّ فآتيك؟ فأقول: لا، أنا أحقّ أن آتيك، فأسأله عن الحديث. فعاش الرجل الأنصاريّ حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي ليسألوني. فقال: هذا الفتى كان أعقل مني" قال الإمام الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الإمام البخاري، وهو أصل في طلب الحديث، وتوقير المحدث".[1]

وفي طبقات الإمام سعد، وغيره عن ابن عباس– رضي الله عنهما– قال: "وجدت عامة علم رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلّم– عند هذا الحيّ من الأنصار، إن كنت لأقيل بباب أحدهم، ولو شئت أن يؤذن عليه لأذن، لكن أبتغي بذلك طيب نفسه".[2]

هذ أدبه العظيم، مع الصحابة الكرام الطيبين –رضي الله عنهم أجمعين– في جهده في طلب حديث نبينا الأمين –ﷺ–.

وتأمل أدبه الثاني في توقيره لهم عند لقائه بهم –رضي الله عنهم–.

ثبت في دواوين السنة الشريفة بسند صحيح عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: "ذَهَبَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ لِيَرْكَبَ وَوَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرِّكَابِ فَأَمْسَكَ ابْنُ عَبَّاسٍ بِالرِّكَابِ فَقَالَ تَنَحَّ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَقَالَ: لَا، هَكَذَا نَفْعَلُ بِالْعُلَمَاءِ وَالْكُبَرَاءِ" زاد الإمام ابن المقرئ في روايته فقال زيد: "أنىّ يداك؟ فأخرج يديه فقبلهما وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا –ﷺ–".[3]

---

[1] البيهقي، فضائل الصحابة: ص١٩٢٥، والدارمي في، السنن: ج١، ص١٤١، وابن سعد في، الطبقات الكبرى: ج٢، ص٣٦٧–٣٦٨، والطبراني، المعجم الكبير، رقم: ١٠٥٩٢، وقال الهيثمي في، المجمع: ج٩، ص٢٧٧ رجاله رجال الصحيح. والحاكم، المستدرك: ج١، ص١٠٦–١٠٧، ج٣، ص٥٣٨.

[2] ابن سعد، الطبقات الكبرى: ج٢، ص٢٦٨، والخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: ج١، ص١٥٩، والبلاذري، أنساب الأشراف: ج٤، ص٤٨.

[3] الرواية الأولى عند: ابن سعد، في الطبقات الكبرى: ج٢، ص٣٦٠، والفسوي، المعرفة والتاريخ: ج١، ص٤٨٤، والطبراني، المعجم الكبير، رقم: ٤٧٤٦، والحاكم، المستدرك: ج٣، ص٤٢٣، وقال هذا صحيح الإسناد على شرط الإمام مسلم، ولم يخرجاه. والزيادة في جزء تقبيل اليد لابن المقرئ في، الرخصة في تقبيل اليد، ص:٩٥، رقم: ٣٠، وابن عساكر، تاريخ دمشق: ج١٩، ص٣٢٦، من طريق الإمام ابن المقرئ ففيهما: زيادة قول زيد وفعله مع ابن عباس– رضي الله عنهم–. وهي عند ابن كثير في، البداية والنهاية: ج٨، ص٣٠١. وابن حجر، فتح الباري: ج١١، ص٥٧. وتقبيل اليد مشروعة في شريعتنا، روى البيهقي في، السنن الكبرى: ج٧، ص١٠١ –باب ما جاء في قبلة اليد– عن تميم بن سلمة قال: "لما قدم عمر رضي الله عنه الشام استقبله أبو عبيدة بن الجراح –رضي الله عنه– فقبل يده ثم خلوا يبكيان قال: فكان يقول تميم: تقبيل اليد سنة " وقال النووي في، الأذكار: ص٢٢٤ "إذا أراد تقبيل يد غيره، إن كان ذلك لزهده وصلاحه، أو علمه، أو شرفه وصيانته، أو نحو ذلك من الأمور الدينية لم يكره ذلك بل يستحب".

وحتماً من قام بتلك الجهود القوية، وتحلى بأجمل الآداب الزكية، سينال وهب رب البرية، حسب سننه الشرعية والقدرية.

الثالث: طريقته الرشيدة مع أدلة الشرع السديدة الحميدة.

سأقتصر أيضاً على مثالين يدلان على كمال وعيه وتمام رشده، وبلوغه أعلا الدرجات في اتِّباعه، وفي ذلك دلالة واضحه على فضل الله عليه في وهبه.

أولهما: روى الإمام ابن سعد، والإمام الدارمي بسند صحيح: "كان ابن عباس إذا سئل فإن كان في القرآن أخبر به، فإن لم يكن وكان عن رسول الله –صلى الله عليه وآله وسلّم– أخبر به، فإن لم يكن وكان عن أبي بكر وعمر أخبر به، فإن لم يكن قال برأيه. وفي رواية ابن سعد: اجتهد رأيه".[1]

وهذا المسلك في الفتيا والقضاء هو طريق الموهوبين أهل الإهتداء، وتقدمت الدلالة عليه في حديث معاذ، وورد مثله عن فاروق هذه الإمة، وعن عبد الله بن مسعود –رضي الله عنهم جميعاً–.[2]

ثانيهما: ثبت بسند صحيح عن ابن عباس –رضي الله عنهما– "أَنَّ مُعَاوِيَةَ قَالَ لَهُ: أَنْتَ عَلَى مِلَّةِ عَلِيٍّ؟ قَالَ: لَا، وَلَا عَلَى مِلَّةِ عُثْمَانَ، وَلَكِنِّي عَلَى مِلَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".[3]

وهذا الجواب من سيدنا أبي العباس، سيد الموهوبين، يقطع كل وسواس، ولا يبقي على أي التباس، فإذا حصلت فرقة بين المسلمين، فلا بد من جمعهم بما يتفق عليه الجميع، والحق بعد ذلك واضح، وسيؤول إليه أهل الصدق.

وقد قرر الإمام ابن تيمية أن من البدع المخالفة لأهل السنة والجماعة التفريق بين الأمة، وامتحانها بما لم يأمر به الله ولا رسوله –ﷺ– والواجب على كل مسلم أن يقول: أنا مسلم متبع لكتاب الله وسنة رسوله –ﷺ– ثم

---

[1] ابن سعد، الطبقات الكبرى: ج٢، ص٣٦٦، والدارمي، السنن: ج١، ص٥٩، بسند صحيح كما عند ابن حجر في، الإصابة: ج٦، ص٢٤٣، وابن كثير في، البداية والنهاية: ج٨، ص٣٠٣.

[2] تقدم في، ص:٣٣، وانظر الأثرين في جامع الأصول، رقم: ج١٠، ص١٧٩–١٨٠.

[3] عبد الرزاق، المصنف: ج١١، ص٤٥٣، رقم: ٢٠٩٨٣، وابن حجر العسقلاني، المطالب العالية: ج٣، ص٧٤، رقم: ٢٩١٥، وقال البوصيري: هذا إسناد صحيح، واللالكائي، شرح أصول أهل السنة والجماعة: ص١٣٢، ١٣٣، وأبو نعيم، حلية الأولياء: ج١، ص٣٢٩، وابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام: ج٥، ص٨٨٠.

ذكر الأثر المتقدم عن معاوية، وابن عباس –رضي الله عنهم– وقال: "بل الأسماء التي قد يسوغ التسمي بها مثل انتساب الناس إلى إمام كالحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي أو إلى شيخ كالقادري والعدوي ونحوهم أو مثل الانتساب إلى القبائل: كالقيسي واليماني وإلى الأمصار كالشامي والعراقي والمصري. فلا يجوز لأحد أن يمتحن الناس بها ولا يوالي بهذه الأسماء ولا يعادي عليها بل أكرم الخلق عند الله أتقاهم من أي طائفة كان. وأولياء الله الذين هم أولياؤه: هم الذين آمنوا وكانوا يتقون".[١]

واجتمع في ذلك الإمام الحبر البحر النقل السليم الصحيح، ورأي العقل السوي الصريح، فتفاعلا مع بعضهما بأحسن تلقيح، فولد بينهما علم رشيد سديد، ظهرت آثاره وبركاته في ذلك الإمام الموهوب، فقد أحرز قصب السبق في علمين، هو فيهما رأس وإمام. علم الفقه وعلم التفسير.

أما علم الفقه: فهو أحد السبعة المكثرين إفتاء [٢]

وأما علم التفسير: فهو ترجمان كلام الله –ﷻ– وليس له في ذلك نظير، كما أخبر عن ذلك بقوله: "دعا لي رسول الله –ﷺ– بخير كثير، وقال: نعم ترجمان القرآن أنت".[٣]

وهكذا كان إماماً في إقراء القرآن، وقرأ عليه كبار الصحابة الكرام. كما ثبت عن حبر الأمة وبحرها – رضي الله عنه– قال: "كنت أقرئ رجالاً من المهاجرين، فمنهم عبدالرحمن بن عوف..."[٤]

وكذلك شارك المكثرين في رواية حديث نبينا الأمين –ﷺ– فهو في عداد من زادت رواياته على ألف، وهم ستة –رضي الله عنهم–.[١]

---

[١] ابن تيمية، مجموع الفتاوى: ج٣، ص٤١٥، وكرر أثر معاوية وابن عباس–رضي الله عنهم– في منهاج السنة. ج٢، ص٩٦، والنبوات: ص١٩٧.

[٢] وهم السادة الكرام: عمر، وعلي، وابن مسعود، وزيد، وأُمنا عائشة الغراء، والسابع وهو أكثر الصحابة الكرام على الإطلاق، وهو حبر الأمة وبحرها بلا امتراء، كما عند السخاوي في، فتح المغيث شرح ألفية الحديث: ج٤، ص١٠٣، وابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام: ج٥، ص٦٦٦.

[٣] أخرج الحديث أبو نعيم في، حلية الأولياء: ج١، ص٣١٦، والطبراني في، المعجم الكبير: ج١١، ص٨٠، رقم: ١١١٠٨، بلفظ: دعاني رسول الله– ﷺ– فقال: "نعم الترجمان أنت، ودعالي جبريل –عليه السلام– مرتين".

[٤] أخرج الأثر البخاري في، الصحيح، رقم: ٦٨٣٠، ٧٣٢٣، وهو في جامع الأصول، رقم: ٢٠٧٦.

تلك منزلة ذلك الإمام الموهوب، وفيها أوضح برهان على ما حصل له من وهب تام من ربنا الوهاب الرحمن.

سأقتصر على مثالين يقرران تمكن الوهب في فهمه لكلام ربنا علام الغيوب.

أولهما: يدل على فهمه على الغاية التي تؤخذ من سياق آي القرآن، ولا ينزع هذا منها إلا غواص في بحر القرآن، يستخرج منه الدرر الحسان، روى الإمام الدِّينَوريُّ في كتابه "المجالسة" عن سيدنا علي، قال في ابن عمه ابن عباس –رضي الله عنهم–: "إنه لينظر إلى الغيب من ستر رقيق، لعقله وفطنه".[٢]

ولقبه سيدنا عمر –رضي الله عنه– بالغواص، كما في فضائل الصحابة –رضي الله عنهم–: "كان عمر يسأل ابن عباس –رضي الله عنهم– عن الشئ من القرآن، ثم يقول: غُصْ غواص".[٣]

وكان هو يشير إلى وصف نفسه بذلك تحدثاً بنعمة الله عليه، ووهبه له، فقال لما سئل عَنْ صَلَاةِ الضُّحَى، فَقَالَ: "إِنَّهَا لَفِي كِتَابِ اللَّهِ، ولا يغوص عليها إلا عواض ثُمَّ قَرَأَ: {فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَال} [النور:٣٦]".[٤]

وقال سيدنا طلحة بن عبيد الله: ما كنت أرى عمر بن الخطاب يقدم عليه أحداً[٥]–رضي الله عنهم– وقال سيدنا سعد بن أبي وقاص: "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَحْضَرَ فَهْمًا، وَلَا أَلَبَّ لُبًّا، وَلَا أَكْثَرَ عِلْمًا، وَلَا أَوْسَعَ حِلْمًا مِنَ ابْنِ

---

[١] أبو هريرة، وابن عمر، وأنس، وأمنا عائشة الحصان، وترجمان القرآن، وجابر ابن عبد الله بن حرام، وأضيف إليهم سابع، وهو أبو سعيد الخدري: سعد بن مالك بن سنان كما عند السخاوي فين فتح المغيث: ج٤، ص١٠٢.

[٢] ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تميز الصحابة: ج٦، ص٢٣٧.

الدِّينَوريُّ هو: الفقيه العلامة المحدث أبو بكر أحمد بن مروان الدِّينَوريُّ كتابه "المجالسة وجواهر العلم" في عشر مجلدات. ت :٣٣٠هـ بمصر المحروسة –رحمه الله تعالى– كما عند الذهبي في، السير: ج١٥، ص٤٢٧–٤٢٨، وإبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري، في الديباج المذهب: ص٣٢–٣٣، والسيوطي في، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: ج١، ص٣٦٧.

[٣] أحمد، فضائل الصحابة، رقم: ١٩٤٢، والأثر عند الذهبي في، السير: ج٣، ص٣٤٦، وفيه: "كان عمر يستشير ابن عباس في الأمر إذا أهمه، ويقول: غص غواص".

[٤] ابن أبي شيبة، المصنف: ج٢، ص٢٠٧–٢٠٨، وهو في جزء صلاة الضحى السيوطي، ضمن، الحاوي: ج١، ص٤٠، والسيوطي في، الدر المنثور: ج٥، ص٥٢، وفيهما زيادة العزو إلى شعب الإيمان للبيهقي.

[٥] ابن سعد في، الطبقات: ج٣، ص٣٧٠، وهو عند الذهبي في، السير:ج٣، ص٣٤٧.

عَبَّاسٍ وَلَقَدْ رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَدْعُوهُ لِلْمُعْضِلَاتِ ثُمَّ يَقُولُ عِنْدَكَ قَدْ جَاءَتْكَ مُعْضِلَةٌ، ثُمَّ لَا يجاوزُ قَوْلَهُ، وَإِنَّ حَوْلَهُ لَأَهْلَ بَدْرٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينِ وَالْأَنْصَارِ"[1]

وحتماً إن ذلك من عمر يدعو الصحابة الكرام –رضي الله عنهم– لمعرفة حقيقة الخبر، والجواب في هذا الأثر: ثبت في دواوين السنة الشريفة عن سيدنا الموهوب ترجمان القرآن قال: "كان عمر يُدخِلُني مَعَ أَشْياخِ بدْرٍ، فكأنَّ بعضَهُمْ وجَدَ في نفسه، فقال: لِمَ تُدْخِل هذا مَعنا، ولنا أبناءٌ مثْلُه؟ فقال عُمرُ إنَّهُ مَنْ علمتُم، فدعاه ذَاتَ يومٍ، فأدْخَله معُهم، قال: فما رُئِيتُ أنه دعاني يوماً، إلاَّ لِيُرِيَهُمْ، قال: ما تقولون في قول الله عز وجل {إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْح}[النصر:١] فقال بعضُهم: أُمِرْنا بأنْ نَحْمَدَ الله ونَسْتَغْفِرَهُ، إذا نُصِرْنا وفُتِحَ عَلَيْنا، وسكتَ بعضُهم، فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذَاك تقولُ يا ابن عباسٍ؟ قلتُ: لا، قال: فما تقول؟ قلتُ: هو أَجلُ رسولِ الله –ﷺ– أَعْلمهُ له، فقال: {إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْح}[النصر:١] فذلك علامةُ أَجَلِكَ {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}[النصر:٣] فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول".

قال الحافظ في فتح الباري: "وَفِيهِ فَضِيلَةٌ ظَاهِرَةٌ لِابْنِ عَبَّاسٍ وَتَأْثِيرٌ لِإِجَابَةِ دَعْوَةِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنْ يُعَلِّمَهُ اللَّهُ التَّأْوِيلَ وَيُفَقِّهَهُ فِي الدِّينِ كَمَا تَقَدَّمَ فِي كِتَابِ الْعِلْمِ: وَفِيهِ جَوَازُ تَحْدِيثِ الْمَرْءِ عَنْ نَفْسِهِ بِمِثْلِ هَذَا لِإِظْهَارِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِعْلَامِ مَنْ لَا يَعْرِفُ قَدْرَهُ لِيُنْزِلَهُ مَنْزِلَتَهُ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْمَقَاصِدِ الصَّالِحَةِ لَا لِلْمُفَاخَرَةِ وَالْمُبَاهَاةِ. وَفِيهِ جَوَازُ تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ بِمَا يُفْهَمُ مِنَ الْإِشَارَاتِ وَإِنَّمَا يَتَمَكَّنُ مِنْ ذَلِكَ مَنْ رَسَخَتْ قَدَمُهُ فِي الْعِلْمِ وَلِهَذَا قَالَ عَلِيٌّ –رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ– أَوْ فَهْمًا يؤتيه الله رجلا فِي الْقُرْآن".[2]

تنبيه حول فهم ترجمان القرآن بأن سورة النصر تنعى نبينا –عليه الصلاة والسلام– وتخبر بإقتراب أجله –فداه نفسي–. والجواب من وجهيين معتبرين:

أولهما: إن مهمة رسولنا الكريم –ﷺ– تبليغُ الرسالة، وإخراجُ الناس من ظلمات الجهالة و الضلالة، ولذلك كانت الآيات على نبينا تتوالى بالأمر بالبلاغ والدعوة والجهاد ليكون الدين كله لله. وسورة "النصر" فيها الإخبار بوجود ثمرة جهد نبينا المختار–ﷺ– فقد قامت الحجة على العباد، ودخل الناس في دين الله أفواجاً بعد

---

[1] المصدر السابق: ج٢، ص٣٦٩، وهو في السير: ج٣، ص٣٤٧.

[2] ابن حجر، فتح الباري: ج٨، ص١٣٦.

أفواج، وقد حقق الله الكريم لنبيه وعده، فنصره وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده. وإذا قام نبينا -ﷺ- بمهمته خير قيام، فما عليه إلا أن يتجهز للقاء ربه الكريم الرحمن، فعليه بالتسبيح والتحميد والاستغفار ليلقى الله التواب الغفار على أكمل حال، كما يتزين الحبيب للقاء حبيبه في هذه الدار.

فربنا العظيم لمحَّهَ، ورسولُنا الكريم -ﷺ- عرَّض وما صَّرح، فَجَهشَ صديق هذه الأمة سيدنا أبو بكر -رضي الله عنه- بالبكاء وصرَّخ[1]. وبيَّن سيدنا حبر هذه الأمة -رضي الله عنه- حقيقة الأمر ووضَّح، بأسلوب مقتصد جامع. فهذه عادة سلفنا في بيانهم. كلامٌ موجَزٌ بَليغ، "فلا يوجد في كلام من بعدهم من حق إلا وهو في كلامهم موجود بأوجز لفظ وأخصر عبارة ولا يوجد في كلام من بعدهم من باطل إلا وفي كلامهم ما يبين بطلانه لمن فهمه وتأمله ويوجد في كلامهم من المعاني البديعة والمآخذ الدقيقة مالا يهتدى إليه من بعدهم ولا يلم به".[2]

ثانيهما: إن سورة "النصر" تشير إلى أن دين الله -عز وجل- قد اكتمل، وسورة "النصر" هي آخر سورة كاملة مما نزل كما ثبت ذلك عن ترجمان كلام الله -عز وجل-.[3]

إذاً، دين الله قد اكتمل، ونعمه تمت على الوجه الأكمل، ودخل الناس أفواجاً في دين الله- عز وجل- ومن المعلوم بلا جدل: أن الكمال دليل الزوال، ومن المحال دوام الحال، وما وجد تمام إلا وأعقبه نقصان.

إذا تمَّ أمرٌ دنا نقصُه ... تَوقَّعْ زوالاً إذا قيل: تم[4]

إن سورة "النصر" فيها إشارة واضحة إلى هذين الأمرين بجلاء، فكيف لا يغوص عليهما ذلك الإمام الكيِّسُ سيدُ النجباء، نعم عبارته موجوزة كما هو الحال في كلام الأذكياء.

ثانياً: تأويل حبر المؤمنين، للقرآن العظيم، في حل النزاع بين المسلمين.

---

[1] تقدم في هذا البحث: ذكر الأثر الصحيح، ودلالته على حصول الوهب المليح، في سيدنا أبي بكر-رضي الله عنه- ص٥٦.
وَجَهِش، وأَجْهَشَ: فزع الإنسان إلى إنسان، والتجاؤه إليه مع بكاء، طالع عند ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث الأثر: "جهش" ٢٧٣٢.

[2] كما هو نص ابن رجب في كتابه، فضل علم السلف على الخلف، ص١٣.

[3] أخرج الأثر مسلم في، صحيحه، رقم: ٣٠٢٤، وابن أبي شيبة، في المصنف: ج١٤، ص١٠٤، رقم: ١٧٧٣٢.

[4] من شعر أبي بكر الخوارزمي-الشعر الفصيح- رقم القصيدة: ٨٣٩٤٦، ومذكور عند الذهبي في، سير أعلام النبلاء: ج٢٣، ص١٨٢، حوادث: ٦٥٦هـ في فتنة التتار الأشرار.

ويتجلى ذلك واضحاً في الفتنة التي وقعت في النصف الأول من قرن الإسلام الأول، فلما رضي رابعُ الخلفاء الراشدين علي –رضي الله عنه– بوقوع التحكيم بينه وبين المخالفين له المتأولين –غفر الله لهم، ورضي عنهم أجمعين–.[١]

خرجت عليه مارقة زائغة من أتباعه –بعد أن ألحوا عليه في قبول التحكيم– واجتمعوا في ناحية الكوفة في بلدة يقال لها: حَرُوراء. (حَرَوْراء)[٢] فقيل لهم: الخوارج، والحرورية. وقد تمخَّضَ اجتماعُهم الذميم عن عار عظيم، وهو تكفير سيدنا رابع الخلفاء الراشدين، لقبوله بالتحكيم، ولابد من قتله وقتاله إذا لم يتب من كفره.[٣]

فأرسل علي –رضي الله عنه– حبر الأمة وبحرها إلى جميعهم في مقر اجتماعهم، وهذا تفصيل المناظرة بما يُظهر الحقَّ لذي عينين فتقرُّبه العين.

ثبت في دواوين السنة: عن ابن عباس –رضي الله عنه– قال: "لَمَّا اعْتَزَلَتِ الْحَرُورِيَّةُ وَكَانُوا عَلَى حِدَتِهِمْ، قُلْتُ لِعَلِيٍّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَبْرِدْ عَنِ الصَّلَاةِ لَعَلِّي آتِي هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ، فَأُكَلِّمُهُمْ، قَالَ: إِنِّي أَتَخَوَّفُهُمْ عَلَيْكَ. قُلْتُ: كَلَّا إِنَّ شَاءَ اللَّهُ، فَلَبِسْتُ أَحْسَنَ مَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْيَمَانِيَّةِ، ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ وَهُمْ قَائِلُونَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَدَخَلْتُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ أَرَ قَوْمًا أَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنْهُمْ، أَيْدِيهِمْ كَأَنَّهَا ثِفَنُ الْإِبِلِ، وَوُجُوهُهُمْ مُعْلَنَةٌ مِنْ آثَارِ

---

[١] أمر التحكيم يحير الحليم، ولا يسعنا إلا أن نذرف الدمع عند ذكره، مع طلب المغفرة والرحمة والرضوان لأهله، مع جزمنا بأن الحقّ مع سيدنا علي وأنصاره، وأن مخالفيه متأولون وهم من إخوانه، وقد أشار إلى هذين الأمرين من أطلعه الله على غيبه رسولنا حبيبنا وحبيب ربه –ﷺ– كما سيأتي في حديث ذم الخارجين على أصحابه، ص:١٩٠.

وتفصيل ما يتعلق بالتحكيم بين سيدنا علي ومعاوية في موقعة صفين، والحكمان أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص ومن معهما، عند ابن كثير في البداية والنهاية: ج٧، ص٢٥٦–٢٧٨، و الذهبي في، العبر في أخبار من غبر: ج١، ص٢٧–٣٢، وقد لخص ابن حجر في، فتح الباري ما وقع في صفين، وما ترتب على ذلك من خروج الخوارج المارقين الزائغين تلخيصاً سديداً رشيداً بما يغني عن الرجوع إلى غيره: ج١٢، ص٢٨٣–٣٠١.

[٢] حروراء. "بفتح الحاء وضم الراء المهملتين وَبَعْدَ الْوَاوِ السَّاكِنَةِ رَاءٌ أَيْضًا بَلْدَةٌ عَلَى مِيلَيْنِ مِنَ الْكُوفَةِ وَالْأَشْهَرُ أَنَّهَا بِالْمَدِّ قَالَ الْمُبَرِّدُ النِّسْبَةُ إِلَيْهَا حَرُورَاوِيٌّ وَكَذَا كُلُّ مَا كَانَ فِي آخِرِهِ أَلِفُ تَأْنِيثٍ مَمْدُودَةٌ وَلَكِنْ قِيلَ الْحَرُورِيُّ بِحَذْفِ الزَّوَائِدِ وَيُقَالُ لِمَنْ يَعْتَقِدُ مَذْهَبَ الْخَوَارِجِ حَرُورِيٌّ لِأَنَّ أَوَّلَ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ خَرَجُوا عَلَى عَلِيٍّ بِالْبَلْدَةِ الْمَذْكُورَةِ فَاشْتُهِرُوا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا" كما قال الحافظ في، الفتح ج١، ص٤٢٢. وقال في: ج١٢، ص١٨٤ بفتح المهملة، وراءين، الأولى مضمومة.

لكن عند صفيّ الدين الحنبلي، عبد المؤمن بن عبد الحق، في مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: ج١، ص٣٩٤، وهو مختصر، معجم البلدان: "حَرَوْرَاء بفتحتين، وسكون الواو، وراء أخرى، وألف ممدودة". وهو خلاف ما عليه المحدثون في ضبط تلك الكلمة.

سُموا: ١– الخوارج نسبة إلى صفتهم المذمومة. خرجوا عن الدين، وعلى خيار المسلمين. كما عند ابن حجر في، فتح الباري: ج١٢، ص٢٨٣.

[٣] قال الإمام أبو الحسن الأشعري في كتابه، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: ج١، ص١٥٦، " أجمعت الخوارج على إكفار علي ابن أبي طالب رضوان الله عليه أَنْ حَكَّم وهم مختلفون هل كفره شرك أم لا".

السُّجُودِ، فَدَخَلْتُ فَقَالُوا: مَرْحَبًا بِكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، مَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: جِئْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ أَصْحَابِ رِسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– نَزَلَ الْوَحْيُ وَهُمْ أَعْلَمُ بِتَأْوِيلِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا تُحَدِّثُوهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَنُحَدِّثَنَّهُ.

قَالَ: قُلْتُ: أَخْبِرُونِي مَا تَنْقِمُونَ عَلَى ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَخَتَنِهِ، وَأَوَّلِ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مَعَهُ؟ قَالُوا: نَنْقِمُ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالُوا: أَوَّلُهُنَّ أَنَّهُ حَكَّمَ الرِّجَالَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ} [الأنعام:٥٧].

قُلْتُ: وَمَاذَا؟ قَالُوا: قَاتَلَ وَلَمْ يَسْبِ وَلَمْ يَغْنَمْ، لَئِنْ كَانُوا كُفَّارًا لَقَدْ حَلَّتْ أَمْوَالُهُمْ، وَإِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ لَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ.

قَالَ: قُلْتُ: وَمَاذَا؟ قَالُوا: وَمَحَا نَفْسَهُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَهُوَ أَمِيرُ الْكَافِرِينَ.

قَالَ: قُلْتُ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَرَأْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ الْمُحْكَمِ، وَحَدَّثْتُكُمْ مِنْ سُنَّةِ نَبِيِّكُمْ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مَا لَا تُنْكِرُونَ أَتَرْجِعُونَ؟ قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ: قُلْتُ: أَمَّا قَوْلُكُمْ: إِنَّهُ حَكَّمَ الرِّجَالَ فِي دِينِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ}[المائدة:٩٥]، وَقَالَ فِي الْمَرْأَةِ وَزَوْجِهَا: {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا}[النساء:٣٥]. أَنْشُدُكُمُ اللَّهَ، أَفَحُكْمُ الرِّجَالِ فِي دِمَائِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ أَحَقُّ أَمْ فِي أَرْنَبٍ ثَمَنُهَا رُبُعُ دِرْهَمٍ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ فِي حَقْنِ دِمَائِهِمْ، وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ. قَالَ: أَخَرَجَتْ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: إِنَّهُ قَتَلَ وَلَمْ يَسْبِ وَلَمْ يَغْنَمْ، أَتَسْبُونَ أُمَّكُمْ؟ أَمْ تَسْتَحِلُّونَ مِنْهَا مَا تَسْتَحِلُّونَ مِنْ غَيْرِهَا؟ فَقَدْ كَفَرْتُمْ. وَإِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِأُمِّكُمْ فَقَدْ كَفَرْتُمْ، وَخَرَجْتُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} [الأحزاب:٦] وَأَنْتُمْ تَتَرَدَّدُونَ بَيْنَ ضَلَالَتَيْنِ، فَاخْتَارُوا أَيَّهُمَا شِئْتُمْ، أَخَرَجَتْ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: مَحَا نَفْسَهُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– دَعَا قُرَيْشًا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ عَلَى أَنْ يَكْتُبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ كِتَابًا، فَقَالَ: اكْتُبْ: هَذَا مَا قَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ– فَقَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ وَلَا قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنِ اكْتُبْ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ. فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ، وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي، اكْتُبْ يَا عَلِيُّ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ. وَرَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كَانَ أَفْضَلَ مِنْ عَلِيٍّ، أَخَرَجَتْ مِنْ هَذِهِ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ. فَرَجَعَ مِنْهُمْ عِشْرُونَ أَلْفًا، وَبَقِيَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ فَقُتِلُوا".[1]

وهذا الموقف العظيم يدل على وهب كريم من أكرم الأكرمين على ذلك الإمام الموهوب الأمين، فالقرآن الكريم راسخ في قلبه، مفتوح أمام عينه، يأخذ منه ما يتعلق بالحوادث الطارئه، ويعالجها على ضوء هديه، بتوجيهات سديدة رشيدة ثاقبة من فهمه، فيرجع إلى الهدى من لبَّس عليه أهل الردى، وأما من جحد وغوى، وعاند وأصرَّ على الهوى، فلابُدَّ من ردعه بما يكفُ غيَّه عن الورى، كما قال ربنا –جل وعلا–: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيز} [الحديد:٢٥].

خاتمة الكلام على تفسير الموهوب سيدنا ترجمان القرآن كما أكرمه ربنا اللطيف بالوهب ولما يجر عليه قلم التكليف، فقد ختم له ربنا أكرم الأكرمين، بكرامة تدل على بلوغه أعلى مراتب الوهب العظيم، وبها ختم الإمام الذهبي ترجمة سيدنا عبد الله بن عباس في السير، وقال: هذه قضية متواترة، وهي: "مَاتَ ابْنُ عَبَّاسٍ بِالطَّائِفِ، فَجَاءَ طَائِرٌ لَمْ يُرَ عَلَى خِلْقَتِهِ، فَدَخَلَ نَعْشَهُ، ثُمَّ لَمْ يُرَ خَارِجاً مِنْهُ، فلمَّا دُفِنَ تُلِيَتْ هَذِهِ الآيَةُ عَلَى شَفِيْرِ القَبْرِ، لاَ يُدْرَى مَنْ تَلاَهَا: {يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّة ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّة}[الفجر: ٢٧– ٢٨]".[2]

---

[1] عبد الرزاق، المصنف، رقم: ١٨٦٧٨، والفسوي، المعرفة والتاريخ: ج١، ص٥٢٢–٥٢٤، والبيهقي، السنن الكبرى، رقم: ٨٥٢٢، والحاكم، المستدرك: ج٢، ص١٥٠–١٥٢، قال الحاكم: "هذا حديث صح على شرط الإمام مسلم". وأقره الذهبي. وقال الهيثمي في، مجمع الزوائد: ج٦، ص٢٣٩–٢٤١، "ورواه الطبراني: وأحمد ببعضه، ورجالهما رجال الصحيح". وطالع تفصيلاً أكثر لإقامة الحجة على الخوارج، وما ترتب على ذلك من قتالهم وتخليص الأمة من شرهم، عند ابن كثير في، البداية والنهاية: ج٧، ص٢٧٨–٢٨٢، ٢٨٥–٢٩٠.

[2] الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج٣، ص٣٥٨، وهذه الكرامة أخرجها أحمد في، فضائل الصحابة، رقم: ١٨٧٩، والفسوي في، المعرفة والتاريخ: ج١، ص٥٣٩، والطبراني، المعجم الكبير، رقم: ١٠٥٨١، ١٠٥٨٢، ١٠٥٨٣، ١٠٥٨٦، وقال الهيثمي في المجمع: ج٩، ص٢٨٥، "رجاله رجال الصحيح"، والأثر عند الحاكم في، المستدرك: ج٣، ص٥٤٣–٥٤٤، وأبو نعيم، حلية الأولياء: ج١، ص٣٢٩، والأثر عند ابن كثير في، البداية والنهاية: ج٨، ص٣٠٦، وتفسيره آخر سورة الفجر. رواه ابن أبي حاتم في، تفسيره، رقم: ١٩٢٩٩، وابن حجر العسقلاني، في الإصابة: ج٦، ص٢٤٦، والسيوطي في، الدر المنثور آخر سورة الفجر.

قال سيدنا جابر بن عبد الله –رضي الله عنه–: "مات أعلم الناس وأحلم الناس ولقد أصيبت به هذه الأمة مصيبة لا ترتق!".

وقال الإمام محمد بن الحنفية– رحمه الله–: "اليوم مات رباني هذه الأمة!".[1]

رحمه الله الكريم، وغفر له، ورضي عنه، وجعله في عليين، ووهب لنا من فضله العظيم كما وهب لترجمان كتابه الكريم، وشفَّعه فينا يوم الدين، وجمعنا معه في جنات النعيم، مع نبينا الأمين– صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الصادقين المفلحين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

[1] الأثران عند ابن سعد، الطبقات: ج٢، ص٣٧٢، ٣٦٨.

تتمة نماذج الموهبين من المفسرين.

ذكرت جملة منهم في بحثي، وأفضت في القول عن مفسر موهبوب متقدم في القرن الأول، وختمت بمتأخر معاصر، للإشارة إلى أن هذه الأمة المرحومة المباركة كالمطر، والخير في جميع طبقاتها بفضل الله- عز وجل-.

نعم إن الوهب في السابقين أكثر منه في المتأخرين، فما من زمان إلا والذي بعده شر منه.[1]

لكن الخير باق في هذه الأمة المباركة، وإن قلت نسبته، ولن تزال طائفة من هذه الأمة المباركة ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم، ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله.

هذا، وقد اقترحت ضمن توصياتي في ختام بحثي أن تكون دراسة مستقلة لموهوبي كل قرن على حدة ليكون البحث أدقَ وأشمل وأوضح. فلا تكاد تخلو كتب التفسير من لطائف وفتوحات، ألهم أصحابها الحق والرشاد.

ولذلك رأيت أن أذكر نموذجاً لإمام موهوب محبوب، ألقى الله له القبول في القلوب، وهو في منتصف عمر ما مضى من هذه الأمة المباركة. وهو الإمام المحدث المتقن المفيد الجليل شيخ الإسلام ابن كثير، وتفسيره من أحسن التفاسير إن لم يكن أحسنها. توفي سنة ٧٧٤هـ – رحمه الله ورضي عنه-.[2]

وتتجلى موهبة هذا الإمام الموهوب في التزامه بطرق التفسير، النقلية الصحيحة، والعقلية الصريحة، وإذا كان المكتوب يُعلم من عنوانه، فتفسير هذا الإمام الموهوب المحبوب يُعلم من مقدمة تفسيره، وسأذكر نبذة منها في جزئية معينة تدل على وعيه ووهبه، ثم سأختم بشذرة أشار إليها في تفسيره تبين سداد طريقته في حمل كلام الله الجليل على محمله الحق، والإعراض عن القال والقيل الذي تكلفه أهل الأباطيل.

قال -رحمه الله، ورضي عنه- في مطلع تفسيره في المقدمة: فإن قال قائل: فما أحسنَ طرقِ التفسير؟

---

[1] كما ثبت عن نبينا الأكرم -ﷺ- في صحيح البخاري، رقم: ٧٠٦٨، وهو في سنن الترمذي، رقم: ٢٢٠٧، وجامع الأصول، رقم: ٧٥٦٦، ولفظه عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: "لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شَرّ منه، حتى تلقَوْا ربَّكم، سمعتُ هذا من نبيكم".

[2] طالع ترجمته العطرة، مع الإشارة بمنزلة تفسيره، عند الشوكاني في: البدر الطالع: ج١، ص١٥٣، والذهبي، تذكرة الحفاظ: ج٤، ص١٥٠٨، وابن حجر العسقلاني في، الدرر الكامنة: ج١، ص٣٩٩-٤٠٠، والذهبي، محمد السيد حسين في، التفسير والمفسرون: ج١، ص٢٤٢-٢٤٧.

فالجواب: أن أصح الطرقِ أن يُفَسَّرَ القرآنُ بالقرآن، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، وإذا لم نجد التفسير في القرآن، ولافي السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة –رضي الله عنهم– فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لاسيما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهتدين المهديين، وعبد الله بن مسعود، والحبر البحر عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله– ﷺ– وترجمان القرآن ببركة دعاء رسول الله – ﷺ– له. "ولهذا غالب ما يرويه إسماعيل بن عبد الرحمن السُّدي الكبير[1] في تفسيره عن هذين الرجلين: ابن مسعود، وابن عباس، ولكن في بعض الأحيان ينقل عنهم ما يحكونه من أقاويل أهل الكتاب التي أباحها رسول الله –ﷺ– حيث قال: "بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار" رواه البخاري[2] عن عبد الله بن عمرو. لهذا كان عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب، فكان يحدث منهما بما فهمه من هذا الحديث من الإذن في ذلك.

ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتضاد فإنها على ثلاثة أقسام: أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح.

والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

والثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه ويجوز حكايته لما تقدم، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني. ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في هذا كثيرا.

---

[1] هو من رجال صحيح مسلم والسنن الأربعة، وهو صدوق يهم. كما في تقريب التهذيب: ٤٦٣، وفي سير أعلام النبلاء: ج٥، ص٢٦٤–٢٦٥ دفاع الإمام الذهبي عن غمز الشعبي للمفسر السدي الكبير، وقوله: كان السدي أعلم بالقرآن من الشعبي– رحمهما الله–.

ثم قال: وأما السدي الصغير فهو: محمد بن مروان أحد المتروكين. وقال عنه في الميزان: ج٤، ص٣٢ تركوه، واتهمه بعضهم.

والسدي الصغير عدّه أئمتنا من رجال سلسلة الكذب كما في الإتقان: ج٤، ص٢٣٩ وفيه قبل ذلك بصفحة: أمثل التفاسير تفسير السدي الكبير، ويورد منه ابن جرير كثيراً.

[2] أخرج الحديث البخاري في الصحيح، رقم: ٣٤٦١، كما قال ابن كثير: وهو في سنن الترمذي، رقم: ٢٦٧١، ومسند أحمد: ج٢، ص١٥٩، وهو في جامع الأصول، رقم: ٥٨٥٠ من رواية عبد الله بن عمرو– رضي الله عنهما–.

وقوله: (لاحرج) في أن تحدثوا، أو: لا تحدثوا مع أربعة احتمالات أخرى، كما في فتح الباري: ج٦، ص٤٩٨–٤٩٩ وقد أطال الإمام البِقاعي في كتابه: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: ج١، ص٢٦٣–٢٧٥، القول في تفصيل حكم النقل من كتب أهل الكتاب، وذكر ضمن ذلك أنه ألف رسالة سماها: الأقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة. وألف عصريُّه السخاوي كتاباً في ذلك سماه: الأصل الأصيل في تحريم النقل من التوراة والإنجيل. كما أشار إليه في كتابه فتح المغيث شرح ألفية الحديث: ج٣، ص٢٦٩. وكانت وفاة الإمام البقاعي: ٨٨٥ هـ ووفاة الإمام السخاوي: ٩٠٢هـ – رحمهما الله تعالى–.

ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك، كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعددهم، وعصا موسى من أي الشجر كانت، وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى، إلى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى في القرآن مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دينهم ولا دنياهم. ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز كما قال تعالى: {سَيَقُولُونَ ثَلاَثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلاَ تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاء ظَاهِرًا وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا}[الكهف:٢٢] فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب في هذا المقام وتعليم ما ينبغي في مثل هذا، فإنه تعالى أخبر عنهم بثلاثة أقوال ضعف القولين الأولين وسكت عن الثالث، فدل على صحته إذ لو كان باطلا لرده كما ردهما ثم أرشد على أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته فقال في مثل هذا: (قل ربي أعلم بعدتهم) فإنه ما يعلم ذلك إلا قليل من الناس ممن أطلعه الله عليه فلهذا قال: (فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا) أي لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته ولا تسألهم عن ذلك فإنهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم الغيب. فهذا أحسن ما يكون في حكاية الخلاف، أن تستوعب الأقوال في ذلك المقام وأن تنبه على الصحيح منها وتبطل الباطل وتذكر فائدة الخلاف وثمرته لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته، فتشتغل به عن الأهم فالأهم. فأما من حكى خلافا في مسألة ولم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقص إذ قد يكون الصواب في الذي تركه، أو يحكي الخلاف ويطلقه ولا ينبه على الصحيح من الأقوال فهو ناقص أيضا، فإن صحح غير الصحيح عامدا فقد تعمد الكذب، أو جاهلا فقد أخطأ، وكذلك من نصب الخلاف فيما لا فائدة تحته أو حكى أقوالا متعددة لفظا ويرجع حاصلها إلى قول أو قولين معنى فقد ضيع الزمان وتكثر بما ليس بصحيح فهو كلابس ثوبي زور، والله الموفق للصواب".[1]

وهذا التفصيل السديد في أخبار أهل الكتاب، وفي حكاية الخلاف عموماً وما ينبغي نحوه جدٌّ رشيد، ولا غرو فهو من موهوب مبارك مجيد.

وأما الشذرة من جواهره المتناثرة، فهي قوله في تفسير قول الله– عز وجل– {وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ

[1] تفسير ابن كثير: ج١، ص ٤–٣ مع اختصار في أوله. وهذا موجود في مقدمة التفسير لشيخه الإمام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى: ج١٣، ص٣٦٣–٣٦٨، وتقدم القول في بيان طرق التفسير صفحة:

تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُون}[الأنعام:٩١] وقوله تعالى:"(قل الله) قال علي بن أبي طلحة[١] عن ابن عباس– رضي الله عنهما– أي: قل اللهُ أنزله. وهذا الذي قاله ابن عباس، هو المتعين في تفسير هذه الكلمة، لا ما قاله بعض المتأخرين، من أن معنى قل الله أي لا يكون خطابك لهم، إلا هذه الكلمة، كلمة «الله» وهذا الذي قاله هذا القائل، يكون أمرا بكلمة مفردة، من غير تركيب، والإتيان بكلمة مفردة لا يفيد في لغة العرب فائدة يحسن السكوت عليها".[٢]

نعم، ما أحسن ذلك التفسير المنقول، الموافق لسياق كلام الله الجليل، والمطابق لما عليه لغة العرب وصريح العقول، وفي ذلك رد على من اتخذوا لفظ الجلالة المفرد ذكراً لله الأحد الصمد بل بالغوا في الشطط فزعموا أن: لا إله إلا الله ذكر العوام، والذكر بالاسم المظهر المفرد:(الله) ذكر الخواص، والذكر بالاسم المضمر: (هو)ذكر خواص الخواص.[٣]

---

[١] علي بن أبي طلحة، واسمه: سالم من رواة صحيح مسلم والسنن الأربعة إلا سنن الترمذي. صدوق قد يخطئ ت: ١٤٣هـ – رحمه الله– كما في تقريب التهذيب: ٤٧٥٤، وروايته عن ابن عباس– رضي الله عنه– بواسطة سعيد بن جبير، أو مجاهد بن جبر– رحمهما الله تعالى– وقد أخرج البخاري في تفسير ابن عباس من طريق معاوية بن صالح عنه، لكنه لا يسميه لعله ذكرها الحافظ في تهذيب التهذيب: ج٧، ص٣٤٠–٣٤١، وللوقوف على منزلة تفسيره عن ابن عباس من طريق معاوية بن صالح عنه. طالع: الإتقان: ج٤، ص٢٣٧، ومقالاً للأستاذ الدكتور محمد كامل حسين في أول معجم غريب القرآن للشيخ محمد فؤاد عبد الباقي– رحمهم الله–.

[٢] تفسير ابن كثير: ج٢، ص١٥٦.

[٣] طالع تقرير ذلك وتوضيحه في مجموع الفتاوى: ج١٠، ص٢٢٥–٢٣٣، ٥٥٥–٥٦٧ وفي المكان الأول الرد على من استدل بالآية الكريمة في سورة الأنعام على مشروعية الذكر بالاسم المفرد مظهراً أو مضمراً.

الفصل الثالث

فقدان الموهبة في المفسر

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: أثر فقدان الموهبة في المفسر

المبحث الثاني: نماذج من تفاسير المحرومين من موهبة الله الكريم

المبحث الأول

أثر فقدان الموهبة في المفسر

تقدم بيان ما لابد منه من الاكتساب، ليتأهل المتحلي بذلك لوهب الغني الوهاب، وجامع ذلك التحلي بالاستقامة لينال أكرم كرامة.

وبينت –بفضل الله وجوده– أن الاستقامة تقوم على أمرين: استقامة علمية، واستقامة عملية.

أما الاستقامة العلمية فتقوم على ستة أمور:

١. تفسير كلام الرحمن بكلام الرحمن ٢. تفسير كلام الرحمن بسنة نبينا –عليه الصلاة والسلام–. ٣. تفسير القرآن بأقوال الصحابة الكرام– رضي الله عنهم– ٤. تفسير القرآن بأقوال التابعين لهم بإحسان. ٥.تفسير كلام رب البرية باللغة العربية. ٦.تفسير كلام رب البرية بالاجتهادات المرضية.

وأما الاستقامة العملية، فتقوم على ركنين ركينين.

أولهما: سلامة قصد الجنان بالإخلاص، لذي الجلال والإكرام، فلا يطلب إلا رضوانه العظيم، ولا يريد إلا وجهه الكريم، وذلك موصل للطريق المستقيم، فيؤمن بالله حقاً، ويريد التقرب إليه قصداً.

ثانيهما: سلامة الحركات والسكنات، بمتابعة نبينا –ﷺ– لينال ولاية الله –جل وعلا– ولا يتحقق ذلك إلا بخمسة أمور، وهي:

فعل المأمورات: من ١– واجبات. ٢– ومستحبات

ترك المنهيات: من ٣– محرمات ٤– ومكروهات.

٥–وعدم الانهماك في اللذات والمباحات.

وقد تقدم إيضاح ذلك فيما مضى، والحمد لله العلي الأعلى.[١]

ومن عرف الحق عرف أهله، وسيعرف يقيناً من حرم منه، ومن صفَّى صُفِّيَ له، ومن كَدَّر كُدِّرَ عليه، ولا يظلم ربنا أحداً –جل شأنه وتبارك اسمه–.

ولذلك: أسباب الحرمان من الواهب معلومة، ومعلوم –يقيناً– ما يترتب عليها من عثرات مشؤومة، وكل من لم يكن أهلاً للوصال، فطاعاته عليه وبال.

وتوجيه ذلك كما في إتحاف السادة المتقين: "من أبغضه الله –جل وعلا– فلا تنفعه طاعة، حيث لا تصدر عنه عبادة صالحة بنية صادقة".[٢]

وسألخص أقسام المحرومين من وهب الله الكريم، ثم سأمثل بنماذج من تفسيرهم.

١– أشنع أصناف المحرومين من توفيق الله الكريم: من فقدوا مؤهلات التفسير بكاملها، فجمعوا بين فقدان الاستقامة العلمية، والاستقامة العملية. فاتصفوا بأشنع وصف حيث جمعوا سوء القصد مع شناعة الجهل. فليس عندهم عمل صالح، ولا علم نافع، فسدت فيهم القوتان: العملية، والعلمية، وهما منبع كل فضيلة زكية، وفقدان الأولى منها يوجب غضب رب البرية، وفقدان الثانية منهما يوجب الضلال والشقاء في الحال والمآل، والأولى صفة اليهود، والثانية صفة النصارى–. وقد كان سلفنا الكرام يرون أن من فسد من العلماء ففيه شبه باليهود، ومن فسد من العباد ففيه شبه بالنصارى.[٣] فكيف سيكون حال من جمع بين وصفيهما الذميمين؟! إنَّ تفسيره ضلال من غير مَيْن.

٢– فرقة ملحقة بالأولى في الشناعة، بل لعلها أسوأ منها عند أهل السنة والجماعة، وهي من توفرت فيه الأهلية العلمية، لكن فسدت فيها القوة العملية الإرادية، فتلاعبوا بكتاب الله المجيد عن عمد

---

[١] راجع، ص٧٠ من هذه الرسالة.

[٢] الزبيدي، اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، ج٢، ص ٢٨٣.

[٣] أُثر ذلك عن سفيان بن عيينه وغيره، كما عند ابن تيمية في، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، ص: ٥، وهو عند ابن قيم في، بدائع الفوائد: ج٤، ص٣٢، وإغاثة اللهفان: ج١، ص٢٤.

بسوء قصد لإضلال العبيد، كما هو الحال في طواغيت العلم الذين شابهوا اليهود ففسروا كلام ربنا المعبود على أهواء طواغيت الحكم والجحود، واشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً، فبئس ما يشترون.

٣- الفرقة الثالثة: وهي عكس الفرقة الثانية، حيث لم يوجد في هذه الفرقة القوة العلمية، لكن وجدت فيها القوة العملية فهي تُريد الحق وتطلبه، لكن ما عندها عُدَّة توصلها إليه، فهي تتخبط في جهالات الضياع، وتحسب أنها على اهتداء، وصدق فيهم من أحاط علمه بجميع الأشياء: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا} [الكهف: ١٠٥-١٠٤]. وهذه الفرقة منهم: واعظون جاهلون، يهرفون في تفسير كلام ربنا الحي القيوم بما لا يعرفون. ومنهم من يسارع إلى تفسير كلام رب البرية حسب اللغة العربية، دون مراعاة الحقائق الشرعية، مع عدم اعتبار السياق والسباق واللحاق، وما هذا إلا اختلاق، وأشنع من ذلك جرأة بعض منهم على القراءات المتواترة، زعماً منه أنها لا توافق قواعد البصريين أو الكوفيين، وما نزل القرآن الكريم، إلا بلسان عربي مبين.

والخلاصة: خطأ المخطئين الخاطئين في تفسير القرآن العظيم منحصر في الدليل أو المدلول، أو في واحد منهما[١] فالفرق الثلاثة المتقدمة لا تخرج عن تلك الحقيقة الحقة. والسبب: تأويل خاطئ، وقياس فاسد. كما قال الإمام أحمد بن حنبل -رحمة الله-: "أكثر ما يخطئ الناس من جهة التأويل والقياس" وعلق الإمام ابن تيمية على قوله بقوله: "وهو كما قال. فالتأويل في الأدلة السمعية، والقياس في الأدلة العقلية، والتأويل الخطأ: إنما يكون في الألفاظ المتشابهة، والقياس الخطأ: إنما يكون في المعاني المتشابهة".[٢]

والبلية الحقيقية فيمن انحرف عن الاستقامة السوية: اتباع الهوى باسم الالتزام بالعقول والنُّهى.

ولا شك أن العقل مناط التكليف، وهذا أعلا تشريف، وعلى العقل أن يقوم بوظيفته ليهتدي إلى وجود خالقه ووجوب شكره وعبادته، وبما أن العقل قد يتأثر بمؤثرات فلا يصل إلى الغايات الصحيحات، فقد تكرم ربنا

---

[١] طالع تقرير هذا وتوضيحه عند ابن تيمية، في، مقدمة التفسير ضمن مجموع الفتاوى: ج١٣، ص٣٥٥ وما بعدها.

[٢] ابن تيمية، في الرسالة التدمرية: ص٦٧.

الرحمن على الإنسان، فرفع عنه التكليف قبل بلوغه دعوة ربه، فإذا بلغه وتجرد من الهوى والتقليد الأعمى فسيؤمن بربه جزماً، وهذه هي الوظيفة الأولى للعقل.

ثم هناك وظيفة ثانية، وهي: فهم الوحي الرباني فيدور في فلكه، ولا يخرج عن دائرته، لأن الوحي بعض علم ربه الذي هو عليم بكل شيء {وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُون} [الأعراف:٥٢] وأول آية في سورة نبي الله هود –على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأزكى السلام–: {الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِير} [هود:١].

إن الله العليم الحكيم، ضمن العصمة لوحيه العظيم، ولم يضمن ذلك لعقول المخلوقين. هذا أولاً.

وثانياً: للعقل البشري حدٌّ ينتهي إليه، والوحي وحي من له غيب السموات والأرض، لا يغيب شيء عن سمعه وبصره، أحاط بكل شيء علماً، وهو أعلم بخلقه، وأرحم بهم من أنفسهم.

وثالثاً: العقول تتفاوت، وتتأثر بمغريات وعادات وشهوات وشبهات، وما عبادة الحجر والبشر، والشمس والقمر، والفرج والذكر، والفأر والبقر، وغير ذلك مما هو محتقر إلا من عقول البشر، وما فعل ذلك من هم في الدنيا مغمورون، بل هم راقون، وفي الصناعات يتسابقون ويتفاخرون، ثم هم كما قال الحي القيوم: {أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً} [الفرقان:٤٣] إن تفاوت العقول معلوم، وتباينها مشهور غير مظنون، وكلهم بما هم عليه فرحون.

ومسألة العقل هي أكبر فارق بين المؤمنين والكافرين، بين الموحدين والمشركين، بين أهل السنة وبين أهل البدعة، بين أهل العقول السوية الصريحة وبين أهل العقول المنتكسة القبيحة.

وسنرى بعون الله وتوفيقه نماذج ممن حرموا التوفيق والوهب في تفسير كلام الله– عز وجل– لانحرافهم عما تقتضيه الاستقامة التامة علماً وعملاً. كما سيأتي بيان ذلك بتوفيق الكريم.

بقي أن أشير إلى ما تقدم في هذا البحث أن من وجدت فيه أهلية التفسير، وبذل ما في وسعه للوصول إلى مراد الله الجليل، مخلصاً في قصده لربه، فقد قام بالمطلوب، فإن أصاب الصواب فله أجران عند الكريم الوهاب، وإن احتمل قولَه دليلُ الخطاب، فله أجر من غير عتاب، ولو اختلف قوله مع أقوال أولي الألباب، فالكل

على هدى بلا ارتياب، والله وحده ﷻ هو أعلم بالصواب. ولا يُقضى على قول بقول، ولا يُحكم على اجتهاد باجتهاد. فكل ما احتمله الدليل وقال به إمام جليل، فهو جليل، وينبغي أن يرتفع عنه القال والقيل. نعم تبقى المناقشة بين أولى العلم بالدليل مع الحب والتقدير، كما هو الحال في المذاهب الأربعة المتبعة. قال الإمام ابن هبيرة: "وقد أجمعت الأمة على أن كلاً منها يجوز العمل به، وانحصر الحق في أقاويلهم".[1]

وبما أنه لا يعصم بشر من الخطأ والزلل، فالقول يرد إذا خالف الدليل المعتبر، ولو كان قائله من أئمة الأثر والنظر، لكن يلتمس له العذر، وليس عليه وزر، بل له تمام الأجر، ونستغفر له الله –عز وجل– لوجود تقصير في الأمر غير مقصود عند أهل الفضل. ولا يؤاخذ بذلك القول، وهو معدود من زلل العلماء، ولا يأخذ بنوادر الفضلاء إلا السفهاء، ومن توسع في ذلك فقد اجتمع فيه الشر كله وتزندق أو كاد.

[1] كما عند ابن هبيرة في، الإفصاح عن معاني الصحاح: ج٢، ص٣٤٣.

المبحث الثاني

نماذج من تفاسير المحرومين من موهبة الله الكريم

نموذج من تفسير المتصوفين.

لمحة تعريفية عن الصوفية، ومنزلتها في الشريعة الإسلامية

أولاً: نسبة الصوفية.

اختلف في بيان نسبة الصوفية على سبعة أقوال والراجح:

نسبة إلى لبس الصوف، وهو الصواب لأمرين:

١- لمطابقته اللغة العربية، وتماشيه مع قواعدها، فالنسبة للبس الصوف: صوفي.

٢- ولموافقته حال الصوفية أيضاً حيث إنهم آثروا لبس الصوف على غيره لخشونته، وكان أول ظهورهم في البصرة، ولمبالغتهم في الزهد، والعزوف عن الدنيا، ولجدهم واجتهادهم في العبادة. حتى قيل: "فقه كوفي وعبادة بصرية".[١]

ثانيا: منزلة الصوفية:

كما اختلف الناس في نسبتها، اختلفوا في حكمها، ما بين مقصر مفرّط، وغالٍ مُفرِط، ومقتصدٍ متوسط.

فمن التفريط ما جاء في تفسير الإمام القرطبي: وسئل الإمام أبو بكر الطرطوشي[١]-رحمه الله- ما يقول سيدنا الفقيه في مذهب الصوفية؟ فأجاب: "مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة، وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله -ﷺ- ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا أن يعينهم على باطلهم".[٢]

---

[١] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١١، ص٦.

فهذا الحكم من الطرطوشي، وإقرار الإمام القرطبي له في منتهى القسوة، والتعميم فيه غير سديد ولا رشيد.

ولذلك تعقب الشيخ المبارك الموهوب محمد الأمين الشنقيطي–رحمه الله– ما نقله القرطبي عن الطرطوشي فقال: "قد قدمنا في تفسير سورة مريم ما يدل على أن بعض الصوفية على الحق، ولا شك أن منهم ما هو على الطريق المستقيم من العمل بكتاب الله تعالى وسنة رسوله –ﷺ– وبذلك عالجوا أمراض قلوبهم، وحرسوها، وراقبوها، وعرفوا أحوالها، وتكلموا على أحوال القلوب كلاماً مفصلاً كما هو معلوم".[٣]

وقد قابل موقفَ الطرطوشي نحو الصوفية فريقٌ آخر أفرطوا في مدحهم، وبالغوا في الثناء عليهم، فالإمام القشيري يقول في مطلع رسالته بعد المقدمة: "أما بعد، فقد جعل الله تعالى هذه الطائفة صفوة أوليائه، وفضلهم على كافة عباده بعد رسله وأنبيائه –عليهم صلوات الله وسلامه– وجعل قلوبهم معادن أسراره، واختصهم من بين الأمة بطوالع أنواره، فهم الغياث للخلق، والدائرون في عموم أحوالهم مع الحق بالحق".[٤]

وما ذكره الشيخ القشيري من ثناء على الصوفية، ينطبق بلا ريب على الصادقين المخلصين من الصوفية، ولا يخالفه في ذلك عاقل، لكن الذي لا يقره عليه أحد، وهو من الغلو ومجاوزة الحد بمكان: قصره ذلك عليهم، وتفضيلهم على الكافة خلا الأنبياء المرسلين –عليهم الصلاة والسلام– فكم وكم لله من صديق، وسابق مقرب لا يعرفون التصوف ولم يسمعوا به، ومن عرفه منهم لم ينتسب إليه، وإذا كان في قول الإمام الطرطوشي تقصير وإجحاف في حق الصوفية، فقول الشيخ القشيري فيه إطراء ومجاوزة للحد، هذا إذا قصرنا النظر على المستقيمين الصادقين المخلصين منهم، أما إذا عممناه على كل من ينتسب إليهم فإن ذلك القول لن يقبل بحال، ففي الصوفية ما في غيرهم من خير وشر.

---

[١] الإمام العلامة القدوة الزاهد شيخ المالكية أبو بكر محمد بن الوليد بن خلف الفهري الأندلسي الطرطوشي الفقيه عالم الإسكندرية حذر من كتاب احياء علوم الدين للغزالي لما فيه من رسوم الصوفيه الردية والأحاديث المكذوبة على نبينا خير البرية –ﷺ– انظر الذهبي في، سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٤٩٠–٤٩٦.

[٢] القرطبي، التفسير: ج١١، ص٢٣٧–٣٢٨.

[٣] محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، ج٤، ص٥٠٢–٥٠٣.

[٤] القشيري، الرسالة القشيرية، ج١، ص٢٥–٢٧.

ولذلك: فالحكم السديد على الصوفية هو التفصيل في أمرهم، قال الإمام ابن تيمية: "والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين، وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ، وفيهم من يذنب فيتوب، أو لا يتوب. ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه عاص لربه. وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة، ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم: كالحلاج[1] مثلاً، فإن أكثر مشايخ الطريق أنكروه وأخرجوه عن الطريق".[2]

وإنما كان هذا الحكم هو الحق في هذه المسألة، لأن التصوف، والصوفي، والصوفية، نسبه إلى لبس الصوف كما قدمت، وليس في ذلك مدح ولا ذم، لأن المدح والذم إنما يكونان حسب أعمال المكلفة الاختيارية، والناظر في حال الصوفية يرى التفاوت فيما ما بينهم، فمنهم الصديق ومنهم الزنديق ومنهم ما بينهما، ولا يصح أبداً تعميم الحكم على جميعهم لحال فرد منهم. ولذلك نقل عن أئمتنا المهتدين ذم الضالين منهم، كما نقل عنهم الثناء الطيب على المهتدين.

---

[1] الحسين بن منصور الحلاج المقتول على الزندقة، ما روى –ولله الحمد– شيئاً من العلم، وكانت له بداية جيده وتصوف ثم انسلخ من الدين، وتعلم السحر وأراهم المخاريق، أباح العلماء دمه سنة ٣١١هـ. كما عند الذهبي في، ميزان الاعتدال: ج١، ص٥٤٨، ج٢، ص٢١٤. وقد وافق الحافظ ابن حجر في لسان الميزان الذهبي على ما قاله. وقرر ذلك وأيده. وبهذا قال ابن كثير في، البداية والنهاية: ج١١، ص١٣٣. حيث قال: "أما الفقهاء فحكى غيرُ واحد من العلماء والأئمة إجماعهم على قتله، وأنه قتل كافراً، وكان ممخرقاً، مموهاً، مشعوذاً، وبهذا قال أكثر الصوفية" ثم رد ابن كثير على من أجمل القول فيه من الصوفية بأن حاله في العبادة، لم يكن مبنياً على علم وتقوى، ولهذا دخل عليه الحلول والاتحاد. وذكر الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي في، طبقات الصوفية: "أن أكثر المشايخ أخرجوه من الطريق. ولم يذكره أبو القاسم القشيري في رسالته من المشايخ الذين عدهم من مشايخ الطريق، وما نعلم أحداً من المسلمين ذكر الحلاج بخير، لا من العلماء ولا من المشايخ". وقال: "قتل على الزندقة التي تثبت بإقراره وبغير إقراره، ومن قال إنه قتل بغير حق فهو إمام منافق ملحد، وإما جاهل ضال".

[2] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١١، ص١٨. وقد أطال ابن الجوزي في سرد شناعات الحلاج وضلالاته في كتابيه المنتظم: ج٦، ص١٦٤، وتلبيس إبليس: ص١٧١–١٧٢.

نماذج من تفسير الصوفية:

الأول: إمام اجتمعت فيه أهلية الوهب إلا علم الأثر، وترتب على فقدانه ما ترتب من الكدر، والكمال عزيز في البشر، وهذا الإمام هو حجة الإسلام الغزالي –رحمه الله– وقد أخبر عن نفسه بنفسه: فقال: "بضاعتي في علم الحديث مزجاة".[١]

وبذلك حكم عليه أئمتنا، فنقل العبارة المتقدمة عنه الإمام ابن كثير في البداية والنهاية[٢]، وقال عصريُّه وبلديُّه الإمام الذهبي في السير: "ولم يكن له علم بالآثار ولا خبرة بالسنن النبوية"[٣]. وكتب في ترجمته أربعاً وعشرين صفحة، نقل فيها عن القاضي ابن العربي قوله: "شيخنا أبو حامد بَلَع الفلاسفة، وأراد أن يتقيأهم، فما استطاع، ونحن وإن كنا نقطة في بحره، فإنا لانرد عليه إلا بقوله". وعلق الإمام الذهبي على ذلك بقوله: قلت: "كذا فليكن الرد بأدب وسكينة، ومازال العلماء يختلفون، ويتكلم العالم في العالم باجتهاده، وكل منهم معذور مأجور، ومن عاند أو خرق الإجماع، فهو مأزور، وإلى الله ترجع الأمور. لسنا ممن يذم العالم بالهوى والجهل. والغزالي إمام كبير، وما من شرط العالم أنه لا يخطئ ولم يكن له علم بالآثار، ولا خبرةٌ بالسنن النبوية القاضية على العقل. ثم ختم ترجمته بقوله: رحم الله الإمام أبا حامد، فأين مثله في علومه وفضائله، ولكن لا ندعي عصمته من الغلط والخطأ، ولا تقليد في الأصول".[٤]

وحكم شيخهما الإمام ابن تيمية "بأن أبا المعالي وأبا حامد الغزالي وابنَ الخطيب الرازي ليس عندهم من المعرفة بالحديث ما يُعدَوُّن به من عوام أهل الصناعة فضلاً عن خواصها".[٥]

نماذج من تفسيره مما هو معدود من زَ لَلِه –غفر الله لنا وله–:

قال في الإحياء في بيان مدح المال والجمع بينه وبين ذمه. "واستعاذ –خليل الرحمن نبي الله إبراهيم – ﷺ– فقال: {وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَام} [إبراهيم:٣٥] وعنى بها هذين الحجرين الذهب والفضة، إذ رتبة

---

[١] كما في كتابه، قانون التأويل: ص٢٤٦، وهو مطبوع مع كتابه، معارج القدس.

[٢] ابن كثير، البداية والنهاية: ج١٢، ص١٧٤.

[٣] الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج١٩، ص٣٢٨.

[٤] الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج١٩، ص٣٢٢–٣٤٦.

[٥] ابن تيمية، مجموع الفتاوى: ج٤، ص٧١. وقد جمع السبكي في الطبقات الكبرى، الأحاديث التي أوردها الغزالي في الإحياء، ولا أصل لها، في صفحتين ومئة: ج٦، ص٢٨٧–٣٨٩ فبلغت أحَدَ عشر حديثاً وتسعمائة.

النبوة أجل من أن يخشى عليها أن تعتقد الإلهية في شيء من هذه الحجارة، إذ قد كُفِي قبل النبوة مع الصغر، وإنما معنى عبادتهما حبهما والاغترار بهما والركون إليهما قال نبيا –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– "تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وتعس عبد الدرهم تعس، ولا انتعش وإذا شيك فلا انتقش" فبين أَنَّ مُحِبَّهُمَا عَابِدٌ لَهُمَا، وَمَنْ عَبَدَ حَجَرًا فهو عابد صنم، بل كان من كان عبداً لغير الله فهو عابد صنم، أي: قَطَعَهُ ذَلِكَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَنْ أَدَاءِ حَقِّهِ فَهُوَ كَعَابِدِ صَنَمٍ وَهُوَ شِرْكٌ إِلَّا أن الشرك شركان: شرك خفي، لا يوجب الخلود في النار، وقلما ينفك عنه المؤمنون فإنه أخفى من دبيب النمل. وشرك جلي يوجب الخلود في النار نعوذ بالله من الجميع".[1]

وما أدري ما لذي دعا أبا حامد عن صرف اللفظ إلى ما صار إليه، ويلزم منه ما يلزم فيما فرَّ منه، فالأمر فيهما سيان، والصنم: كل ما عبد من دون الله، أو تقرباً لله، أو شَغَلَ عن الله، من حجر أو بشر، أو نحاس أو خشب، أو فضة، أو ذهب، "كُل ما تجاوز به العبدُ حدَّه من معبود أو متبوع أو مُطَاعٍ، فطاغوتُ كل قوم وصنمهم مَنْ يتحاكمون إليه غير اللَّه ورسوله، أو يعبدونه من دون اللَّه، أو يتبعونه على غير بصيرة من اللَّه، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة للَّه، فهذه طواغيت العالم وأصنامها إذا تأملتَهَا وتأملت أحوالَ الناس معها، رأيت أكثرهم عدلوا إلى عبادة الطاغوت والأصنام، وعن التحاكم إلى اللَّه ورسوله، إلى التحاكم إلى الطاغوت والأصنام، وعن طاعته ومتابعة رسوله، إلى طاعة الطاغوت والأصنام ومتابعته".[2]

وهي كلها سواء، فما يلزم من واحد يلزم في نظيره، وهل يليق بخليل الرحمن –على نبينا وعليه صلاة الله وسلامه– أن يتعلق قلبه بِعَرَضٍ زائل من ذهب ذاهب، أو فضة منفضة. ومحبها عبد لها وهو عابد صنم، كما هو حال كل من عبد غير الله –جل وعلا– أياً كان معبوده، بل اعتبر الزبيدي شارحُ الإحياء: أن حال المسلم أخبث من حال المشرك إذا جعل دينه وسيلة لتقربه إلى الدنيا زلفى.[3]

---

[1] الغزالي، إحياء علوم الدين: ج٣، ص٢٢٩–٢٣٠، والحديث الشريف أخرجه العراقي في، المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، مطبوع في حاشية الإحياء، وهو في صحيح البخاري، في كتاب الجهاد رقم: ٢٨٨٦، ٢٨٨٧، وكتاب الرقاق، رقم: ٦٤٣٥، وصحيح ابن حبان، رقم: ٣٢١٨، والحديث في جامع الأصول، رقم: ٧٢٠٧.

[2] كما عند الراغب الأصفهانى في، المفردات في غريب القرآن: ص٢٨٧، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: ص٣٠١، وابن القيم، إعلام الموقعين: ج١، ص٥٠.

[3] الزبيدي ، إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين: ج٨، ص١٥٢.

إن التفرقة بين النظيرين جهد بلا طائل، فما يلزم في أحدهما يلزم في نظيره تماماً، كما يفعل المؤول لصفات الله الجليل، يؤول ثم يفوض فيما صار إليه، فعلام التطويل بلا طائل، إن كل مؤول لصفات الله –جل وعلا– إذا لم يفوض فيما صار إليه فقد وقع فيما فر منه. فعلام المخاطرة؟ هلا فوضت في البداية واسترحت وأرحت. ويكفي في بطلان التأويل أن المؤول لا يجزم بأن ما صار إليه هو مراد الله العظيم من كلامه العظيم، وهكذا حال سيدنا إبراهيم الخليل نبي الله الجليل –على نبينا وعليه صلوات الله وسلامه– تحيلُ رتبةُ نبوته عبادة غير ربه، مهما كان نوع ذلك الصنم. إذاً كيف سأل ربه أن يجنبه عبادة الأصنام المختلفة في الأشكال والألوان.!

والجواب عند أهل الأثر أصحاب حديث نبينا –ﷺ–: إن ذلك السؤال عبادة، وتعليم لأتباعه، وقد كان حبيبنا رسول الله يستعيذ بالله من الضلال والكفر، كما يستعيذ من النفاق، وسوء الأخلاق، ويسأل مقلوب القلوب أن يثبت قلبه الشريف على دينه، والأحاديث في ذلك متواترة، سأقتصر على حديثين منها:

الأول: عن أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه– قال سمعت رسولَ الله –ﷺ– يقول: "أَعوذ بالله من الكُفْر والدَّيْنِ، فقال رجلٌ: يا رسول الله، أَتعدِلُ الكُفْرَ بالدَّيْنِ؟ قال: نعم" وفي روايةٍ: "اللَّهمَّ إني أعوذُ بك من الكفْرِ والفقر، قال رجل: ويُعدَلان؟ قال: نعم".[1]

الحديث الثاني: عن عبد الله ابن عباس –رضي الله عنه– أن رسول –ﷺ– كان يقول: "أَعوذ بعزَّتِكَ أَن تُضِلَّني، لا إله إلا أَنْتَ الحيُّ الذي لا يَمُوتُ، والجنُّ والإنس يموتون".[2]

قال الإمام ابن الجوزي: "هذا شيء لم يقله أحد من المفسرين، وَقَدْ قَالَ نبي الله شعيب –على نبينا وعليه الصلاة والسلام– {وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاء اللّهُ رَبُّنَا} [الأعراف:٨٩] ومعلوم أن ميل الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام– إِلَى الشرك أمر ممتنع لأجل العصمة لا أنه مستحيل، ثم قد ذكر مَعَ نفسه من

---

[1] أحمد، المسند: ج٣، ص٣٨، النسائي، السنن، رقم: ٥٤٧٣، ٤٤٧٤، ٥٤٨٥، وابن حبان، الصحيح، رقم: ١٠٢٥، ١٠٢٦، والحاكم، المستدرك: ج١، ص٥٣٢، وقال صحيح الإسناد، ووافقه الإمام الذهبي.

[2] أحمد، المسند: ج١، ص٣٠٢، ومسلم الصحيح، رقم: ٢٧١٧، وابن حبان، الصحيح، رقم: ٨٩٨، وهو في جامع الأصول، رقم: ٢٣٥٦، ٢٣٩٧.

يتصور فِي حقه الإشراك والكفر فجاز أن يدخل نفسه معهم فَقَالَ: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَام} [إبراهيم:٣٥] ومعلوم أن العرب أولاده وَقَدْ عَبْد أكثرهم الأصنام".[١]

مثال آخر معدود من غرائبه:

قال –رحمه الله تعالى– في الإحياء: في كتاب النكاح في آفاته وفوائده، في الفائدة الثانية: "التحصن عن الشيطان، وكسر التوقان، ودفع غوائل الشهوة، وحفظ الفرج، وفي نوادر التفسير عن ابن عباس –رضي الله عنه– {وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَب} [الفلق:٣] قال: قيام الذَّكَرِ".

وكرر هذا في كتاب كسر الشهوتين. "القول في شهوة الفرج. وعن ابن عباس –رضي الله عنه– في قوله– جل وعلا–{وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَب}[الفلق:٣] قال: هو قيام الذَّكَرِ وقد أسنده بعض الرواة إلى رسول الله –ﷺ– إلا أنه قال في تفسيره: الذكر إذا دخل".[٢]

وفي هذا التفسير وقفات ينبغي أن ينبه عليها:

أولها: كلام الغزالي برمته منقول من قوت القلوب بلفظه، وقد استبطن في إحيائه كتاب القوت بكامله، وينقل من دون إشارة منه. ومن بركة العلم إضافته إلى قائله[٣] مع أن الإضافة لا تقدم ولا تؤخر من جهة الوثوق، فكتاب قوت القلوب فيه ما في كتاب الإحياء من العيوب، قال الإمام الخطيب البغدادي: "صنف أبو طالب المكيُّ كتاباً سماه قوتَ القلوب على لسان الصوفية، ذكر فيه أشياء منكرة مستشنعة في الصفات، وقدم بغداد فاجتمع الناس عليه في مجلس الوعظ، فخلط في كلامه، وحفظ عنه أنه قَالَ: ليس على المخلوقين أضر من الخالق. فَبَدَّعه الناس وهجروه".[٤]

---

[١] ابن الجوزي، تلبيس ابليس: ص٣٣٣. وقال في زاد المسير: ج٤، ص٣٦٥ "ثَبِّتني على اجتناب عبادتها".

[٢] الغزالي، إحياء علوم الدين: ج٢، ص٢٩، ج٣، ص٩٦.

[٣] كما عند بن عبد البر في، جامع بيان العلم وفضله: ج٢، ص٨٩.

[٤] الخطيب، تاريخ بغداد: ج٣، ص٨٩.

واسم أبي طالب: محمد بن علي. ت: ٣٨٦هـ –رحمه الله– وانظر ترجمته في، سير أعلام النبلاء: ج١٦، ص٥٣٦–٥٣٧، وابن الجوزي في، تلبيس إبليس: ص١٦٤–١٦٥.

ثانيها: أول من نقل ذلك الأثر موقوفاً على سيدنا عبد الله بن عباس –رضي الله عنه– أو مرفوعاً إلى نبينا –ﷺ–: النقاش[١] في تفسيره (شفاء الصدور) الذي قال عنه الإمام اللالكائي: "إنه إِشْفَى الصدور لا شفاء الصدور"[٢] يعني: مخرز مخيط يثقب القلب.

وبعده أبو طالب المكي في قوت القلوب، ثم الغزالي في إحياء علوم الدين، ثم ابن عطية في المحرر الوجيز، ت: ٤٥١هـ – رحمه الله–، لكن المحقق حذف كلامه وقال: "تركنا هنا سطرين من الأصول، لأن ما فيهما لا يتفق مع جلالة هذا الكتاب".[٣] –وهذا لا ينبغي فعله، فليكتب ما في الكتاب، ثم يعلق عليه بما يشاء–.

ثم القاضي ابن العربي في أحكام القرآن، ت: ٤٥٣هـ – رحمه الله–[٤] ثم الفيروز آبادي صاحب القاموس، ت: ٨١٧هـ – رحمه الله.[٥] ثم ابن جزى الكلبي في التسهيل لعلوم التنزيل، ت: ٧٤١هـ –رحمه الله–[٦].

ثم السيوطي، ت: ٩١١هـ – رحمه الله–.[٧] ثم الزبيدي، ت: ١٢٠٥هـ –رحمه الله– في شرح الإحياء: وشرح القاموس (تاج العروس).[٨]

هؤلاء تسعة وعاشرهم الإمام الأمام الآلوسي في روح المعاني، ت: ١٢٧٠هـ – رحمه الله– فقال: "وذكر المجد الفيروز آبادي في القاموس مادة (وقب) قولاً في معنى الآية، زعم أنه حكاه الغزالي وغيره عن ابن عباس –رضي الله عنه– ولا أظن صحة نسبته إليه، لظهور أنه عورة في الأقوال".[٩]

---

[١] النقاش: محمد بن الحسن، ت: ٣٥١هـ –رحمه الله– وهو علامة مفسر لكن في أحاديثه مناكير كما قال الخطيب، تاريخ بغداد: ج٢، ص٢٠١، الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج١٥، ص٥٧٤–٥٧٦، والمغني في الضعفاء: ج٢، ص٥٧٠، رقم: ٥٤٢٨، وهكذا وهاه في الميزان، وتبعه الجافظ في، اللسان: ج٥، ص١٣٢، واتهمه ابن الجوزي في، الموضوعات: ج٢، ص١٤٠.

[٢] والإشفى هي: الإبرة، والمثقب الذي يستعلمه الإسكاف لغرز الدلاء والأساقي المزواد وأشباهها، أما المخصف فيكون للنعال ونحوها. كما في مختار الصحاح: ص٣٤٢ (شفى) أي تفسيره: يثقب القلوب ويجرحها ويمزقها.

[٣] ابن عطية، المحرر الوجير، ج١٥، ص٦٠٩.

[٤] ابن العربي، أحكام القرآن، ج٤، ١٩٩٦.

[٥] الفيروزآبادى، القاموس المحيط: ج١، ص١٣٧، ج٣، ص٢٧٢.

[٦] ابن جزى، التسهيل لعلوم: ج٤، ص٢٢٥.

[٧] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: ج٤، ص٢٣٢.

[٨] الزبيدي، شرح الإحياء: ج٥، ص٣٠٣، ج٧، ص٤٢٨، وشرح القاموس: ج١، ص٥٠٦، ج٧، ص٣٦.

[٩] الألوسي، روح المعاني، ج٣٠، ص٢٨٢.

نعم، إنه لم يثبت مرفوعاً ولا موقوفاً، فلا أصل له كما قال ذلك شيخ الإسلام الإمام العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، وتبعه على ذلك الإمام السبكي في طبقات السادة الشافعية الكبرى، فعد هذا الحديث من الأحاديث التي لم يجد لها أصلاً في كتاب الإحياء[1] وتقدم معنا أنها بلغت أحد عشر حديثاً وتسعمائة، وقد سردها في صفحتين ومئة أيضاً،

وأول من روى ذلك الأثرَ المنكرَ النقاشُ الذي ليس في كتابه حديث صحيح وهو متهم بالكذب في الحديث الشريف.

فليت الإمام الغزالي، ومن قبله، ومن بعده، تذرعوا بعلم الأثر ليميزوا المقبول من المنكر، ولا ينقضي عجبي من بعض علماء اللغة الذين أثبتوا كلمة في اللغة العربية، لم ترد في كتاب ولا سنة، ولا شعر ولا نثر من كلام العرب، حتى ولو كان القائل مجهولاً، ثم يتجرؤون على القراءات المتواترة المجمع عليها، وهي كلام الله حقاً فيردونها ويستهجنوها، ويحكمون بقبحها ورداءتها، كما سيأتي بيان ذلك عند نماذج من تفسير اللغويين.

نموذج ثان من تفسير الصوفية:

قال الإمام ابن الجوزي –رحمه الله– في تلبيس إبليس: "جمع أَبُو عَبْد الرَّحْمَنِ السلمي[2] فِي تفسير القرآن من كلامهم الذي أكثره هذيان لا يحل نحو مجلدين سماها (حقائق التفسير) فَقَالَ فِي فاتحة الْكِتَاب عنهم انهم قالوا إنما سميت فاتحة الْكِتَاب لأنها أوائل مَا فاتحناك به من خطابنا فَإِن تأدبت بذلك وإلا حرمت لطائف مَا بعد".

---

[1] السبكي، الطبقات الكبرى للسادة الشافعية: ج٦، ص٣٣٦.

[2] هو: محمد بن الحسين إمام حافظ محدث شيخ خرسان، وكبير الصوفية وشيخهم وقد بنى لهم دويرة، وصنف لهم تاريخاً وسناً وتفسيراً، ت: ٤١٢هـ – رحمه الله– أتهم بأنه ضعيف بالحديث انظر ترجمته مع الكلام على حديثه وتفسيره عند، الخطيب في، تاريخ بغداد: ج٢، ص٢٤٨ وابن الجوزي في المنتظم: ج٨، ص٦، والذهبي في السير: ج١٧، ص٢٥٢، وفي تذكرة الحفاظ: ج٣، ص١٠٤٦، والميزان: ج٣، ص٥٢٣، والمغني في الضعفاء: ج٢، ص٥٧١، رقم: ٥٤٣٤، وحكم السيوطي في طبقات المفسرين، ص:٩٨، رقم: ٩٤ على تفسيره بأنه غير محمود.

قَالَ المصنف رحمه الله: "وهذا قبيح لأنه لا يختلف المفسرون أن الفاتحة ليست من أول مَا نزل" وقال: "فِي قول الإنسان (آمين) أي قاصدون نحوك". قَالَ المصنف رحمه الله: "وهذا قبيح لأنه ليس من أمَّ، لأنه لو كان كذلك لكانت الميم مشددة".[1]

وقال فِي قوله: {وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا} [آل عمران:٩٧] أي: "من هواجس نفسه ووساوس الشَّيْطَان. وهذا غاية فِي القُبح لأن لفظ الآية لفظ الخبر ومعناه الأمر وتقديرها من دخل الحرم فأمنوه، وهؤلاء قد فسروها عَلَى الخبر، ثم لا يصح لهم، لأنه كم من داخل إِلَى الحرم مَا أمن من الهواجس ولا الوساوس".[2]

وقال فِي قوله: {فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا}[الرعد:٤٢] "قَالَ الْحُسَيْن لا مكر أبين فيه من مكر الحق بعباده حيث أوهمهم أن لهم سبيلاً إليه بحال، أَوْ للحدث اقتران مَعَ القدم". قَالَ المصنف –رحمه الله–: "ومن تأمل معنى هَذَا علم أنه كفر محض، لأنه يشير إِلَى أنه كالهزء واللعب، ولكن الْحُسَيْن هَذَا هو الحلاج[3] وهذا يليق بذلك.

قلت –القائل ابن الجوزي– وجميع الْكِتَاب من هَذَا الجنس، ولقد هممت أن أثبت مِنْهُ ها هنا، كثيراً فرأيت أن الزمان يضيع فِي كتابة شيء بين الكفر والخطأ والهذيان، وَهُوَ من جنس مَا حكينا عَنِ الباطنية، فمن أراد أن يعرف جنس مَا فِي الْكِتَاب فهذا أنموذجه ومن أراد الزيادة فلينظر فِي ذلك الْكِتَاب".[4]

نعم لابد من ردع المبطلين، ورد التلاعب بكتاب رب العالمين، بعبارات في منهى الزجر والغلظة تعظيماً لله العظيم، ولكتابه الكريم، وصيانة للمسلمين من هوس أذواق الجاهلين، وترهات الآرائيين الزائغين. قال

---

[1] قال القرطبي في، تفسيره: " وفي آمين لغتان: المد على وزن فاعيل كياسين. والقصر على وزن يمين.
وتشديد الميم خطأ، قال الجوهري. "وقد روي عن الحسن وجعفر الصادق التشديد، وهو قول الحسين بن الفضل، من أم إذا قصد، أي نحن قاصدون نحوك، ومنه قوله: {وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ}[المائدة:٢]. حكاه أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري. وفي تفسير ابن كثير:ج١، ص٣١ النقل عن أبي نصر القشيري كما نقل عن القرطبي.
وأبو نصر، هو: الإمام عبد الرحيم بن عبد الكريم أبو نصر القشيري النيسابوري، ت: ٥١٤هـ – رحمه الله– له كتاب (التيسير في التفسير). طالع ترجمته العطرة في طبقات السادة الشافعية الكبرى: ج٧، ص١٥٩–١٦٦، وطبقات المفسرين للسيوطي: ص٦٥–٦٦.

[2] وهذا ما قرره المفسرون، كما عند ابن الجوزي في زاد المسير: ج١، ص٤٢٧، وفيه: "قال أبو يعلى: لفظه لفظ الخبر، ومعناه: الأمر، وتقديره: ومن دخله فأمنوه" وحمل الآية على الخبر في الدنيا أوفي الآخرة، أو فيهما كما ذهب إليه الآلوسي: ج٤، ص٧ بعيد، لأن خبر الله –جل وعلا– لا يتخلف، كما في تفسير القرطبي:ج٤، ص١٤٠–١٤١، وفي المنتظم: ج٨، ص٢٢٣، في حوادث سنة: ٣١٦هـ وكذلك في البداية والنهاية: ج١١، ص١٦١–١٦٢، "ردَّ سني بهذا الجواب على قرمطي مستخفاً بالآية لما فعل القرامطة ببيت الله وبمن كان فيه أشنع عدوان".

[3] تقدمت ترجمة الحلاج المقتول على الزندقة، ص:

[4] ابن الجوزي، تلبيس إبليس: ص٣٣١–٣٣٢.

شيخ الإسلام الإمام تقي الدين ابن الصلاح: "وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحدي المفسر –رحمه الله – أنه قال: "صنف أبو عبد الرحمن السلمي (حقائق التفسير) فإن كان اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر".[١] وختم الإمام الذهبي ترجمة السلمي بهذا الخبر، وقال معلقاً عليه: "قلت واغوثاه! واغربتاه".![٢]

وقال الإمام السيوطي في الإتقان: وسئل شيخ الإسلام سِرَاجُ الدِّينِ البُلقيني عَنْ رَجُلٍ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ}[البقرة:٢٥٥] : إِنَّ مَعْنَاهُ: مَنْ ذَلَّ: أَيْ مِنَ الذُّلِّ. ذِي: إِشَارَةٌ إِلَى النفس. يشف: من الشفا جَوَابُ "مَنْ" عِ: أَمْرٌ مِنَ الْوَعْيِ. فَأَفْتَى بِأَنَّهُ مُلْحِدٌ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لاَ يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا [فصلت:٤٠] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ أَنْ يوضع الْكَلَامَ عَلَى غَيْرِ مَوْضِعِهِ، أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ".[٣]

وعوداً على بدء، لابد من تحقيق الاستقامة علماً وعملاً فذلك هو الصواب والرشاد وهو عين الكرامة قال الإمام الذهبي في ترجمة شيخ الإسلام أبي إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروى، ت: ٤٨١هـ معلقاً على كتابه (منازل السائرين) قلت: "قد انتفع به خلق، وجهل آخرون، فإن طائفة من صوفة الفلسفة والاتحاد يخضعون لكلامه في (منازل السائرين) ، وينتحلونه، ويزعمون أنه موافقهم. كلا، بل هو رجل أثري، لهج بإثبات نصوص الصفات، منافر للكلام وأهله جداً، وفي (منازله) إشارات إلى المحو والفناء، وإنما مراده بذلك الفناء هو الغيبة عن شهود السِّوى، ولم يرد محو السوى في الخارج، ويا ليته لا صنف ذلك، فما أحلى تصوف الصحابة والتابعين! ما خاضوا في هذه الخطرات والوساوس، بل عبدوا الله، وذلوا له وتوكلوا عليه، وهم من خشيته مشفقون، ولأعدائه مجاهدون، وفي الطاعة مسارعون، وعن اللغو معرضون، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم".[٤]

---

[١] فتاوى ابن الصلاح، ص: ٢٩.

[٢] الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج١٧، ص٢٥٥، وهو عند السيوطي، في الإتقان: ج٤، ص٢٢٣.

[٣] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: ج٤، ص٢٢٤، وأثر سيدنا ابن عباس–رضي الله عنه– لم أجده في تفسير ابن أبي حاتم بعد بحث طويل، مع أن السيوطي قد عزاه إليه أيضاً في الدر المنثور: ج٥، ص٣٦٦، نعم هو في تفسير الطبري، ج٢١، ص٤٧٨. فالله أعلم.

[٤] الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج١٨، ص٥١٠، وقال في تذكرة الحفاظ: ج٣، ص١١٨٥ في الجملة: "هذا الكتاب– منازل السائرين، وشرحه ابن القيم في مدارج السالكين– لون آخر غير الأنموذج الذي اتفق عليه صوفية التابعين، ودرج عليه نساك المحدثين، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم".

نموذج من تفسير المتكلمين

يراد بعلم الكلام الذي نُسب إليه المتكلمون: العلم الذي يُقتدر معه على إثبات العقائد المنسوبة إلى الإسلام، وإن لم تكن مطابقة للواقع عند علماء الكلام. قال السفاريني: "وَعِلْمُ الْكَلَامِ هُوَ عِلْمٌ يُقْتَدَرُ مَعَهُ عَلَى إِثْبَاتِ الْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ أَيِ الْمَنْسُوبَةِ إِلَى دِينِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مُطَابِقَةً لِلْوَاقِعِ، لِعَدَمِ إِخْرَاجِ الْخَصْمِ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ، وَالْقَدَرِيَّةِ وَالْجَبْرِيَّةِ، وَالْكَرَّامِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ، عَنْ أَنْ يَكُونَ مِنْ عُلَمَاءِ الْكَلَامِ، وَإِنْ خَطَّأْنَاهُ أَوْ كَفَّرْنَاهُ".[1]

وهذا التعريف يبن لنا مدى ما في علم الكلام من انحراف، فكل أقوال أهل البدع داخلة في علم الكلام، ولا غَرْرَ، فهو علم مُبتدعٌ حادث، وابتداؤه من خلفاء بني العباس: هارون، والمأمون، والمعتصم، والواثق، والمتوكل، وانتهاؤه من الصاحب بن عبَّاد، وجماعة من الديالمة–.[2]

وكان تعريب كتب فلاسفة اليونان في عهد المأمون أكبر الأسباب في ظهور علم الكلام، فمنه رضع، وعلى هذيانه شب وشاخ، وصاحَبَهُ فتنةُ القول بخلق القرآن، وامتُحن لذلك أئمة أهل السنة الكرام وضُربوا وقتلوا، وتحققت إشارة بِطريق النصارى. قال الإمام الصلاح الصفدي: "حُكي أن المأمون لما هادن بعضَ ملوك النصارى كتب يطلب منه خزانة كتب اليونان، وكانت عندهم مجموعة في بيت لا يظهر عليه أحد. فجمع الملك خواصه من ذوي الرأي واستشارهم في ذلك فكلهم أشار عليه بعدم تجهيزها إليه، إلا بطريق واحد، فإنه قال: جهزها إليهم فما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية إلا أفسدتها وأوقعت بين علمائها".[3]

---

[1] كما عند السفاريني، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية: ج١، ص٤–٥.

[2] نص على ذلك الشهرستاني، الملل والنحل: ج١، ص٣٧–٣٨ مطبوع على هامش، الفصل في الملل والأهواء والنحل.
وحَكَمَ هارون الرشيد من: ١٧٠–١٩٣هـ كما في العبر: ج١، ص١٩٩–٢٤٣، وتوفي المتوكل في: ٢٤٧هـ – رحمهم الله جميعاً–
أما الصاحب بن عبّاد، الوزير، فكان شيعياً معتزلياً مبتدعاً، تيأّهاً صلفاً جباراً... ثم تاب في آخر حياته، وتوفي: ٣٨٥هـ – رحمه الله– كما في السير: ج١٦، ص٥١١–٥١٤.

[3] السيوطي، صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام، ص٩.
وأما فتنة القول بخلق القرآن الكريم فوقعت في هذه الأمة المرحومة في سنة اثنتي عشرة ومئتين، في السنة الرابعة من خلافة المأمون، واستمر في الدعوة إليها والامتحان بها إلى أن مات سنة ثماني عشرة ومئتين، تفصيل الكلام على فتنة خلق القرآن الكريم وامتحان الخلفاء الثلاثة بها لأئمة الإسلام، وما حصل بعدها من فرج في عهد الخليفة المتوكل، ينظر في أخبارهم في كتاب الذهبي، دول الإسلام، ج١، ص١٢٥–١٤٩. وابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص٢٢٠.

ولذلك سُمي علم الكلام بسبب ذلك الخلاف الكبير والشر المستطير حول كلام ربنا الجليل، ومسألة كلام الله هي أيضاً أشهر أجزائه.[١]

وقد تتابع أئمتنا الكرام على ذم علم الكلام وحذروا منه أهلَ الإيمان، قال الإمام الشافعي– عليه رحمة الله–: "لأن يلقى العبدُ ربّه بكل ذنب خلا الشرك خير له من أن يلقاه بشيء من علم الكلام. ولقد اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننت مسلماً يقوله، وحكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام" وكان يقول: "لو علم الناس ما في علم الكلام لفروا منه كما يفرون من الأسد".[٢]

وقال الإمام أحمد: "من تعاطى الكلام لا يفلح" وقال: "لست أتكلم إلا ما كان من كتابٍ، أو سنةٍ، أو عن الصحابة والتابعين –رضي الله عنهم– وأما غير ذلك فالكلام فيه غير محمود". وقال: "عليكم بالسنة والحديث وإياكم والخوض والجدال المراء، فإنه لا يفلح من أحب الكلام". قال الإمام الذهبي: "قلت: ذم الكلام وتعلمه جاء من طرق كثيرة عن الإمام أحمد وغيره".[٣]

ومعلوم أن السلف الصالح لم يكرهوا علم الكلام وذموه لكونه اصطلاحات جديدة على معان صحيحة، ولا كرهوا أيضاً الدلالة على الحق والمحاجة لأهل الباطل، إنما كرهوه وذموه وحذروا منه لاشتماله على أمورٍ كاذبة مخالفة للحق الثابت في الكتاب والسنة –وهذا لا ينفي اشتماله على أمور صادقة موافقة للحق– وأفظع ذلك

---

[١] وقيل أيضاً: سمي كلاماً: لإنه بإزاء المنطق للفلاسفة. أو لأن أبوابة عُنْونت أولاً بالكلام في كذا. أو لأنه يورث قدرة على الكلام مع الخصم في الخصام. كما عند الإيجي في، المواقف في علم الكلام: ص٨–٩.

[٢] انظر نسبة تلك الأقوال إلى الشافعي في آداب الشافي ومناقبه: ص١٨٣، ١٨٤–١٨٨، ومناقب الشافعي للبيهقي: ج٢، ص٤٥٢–٤٦٢، وصون المنطق: ٣١، ٦٢–٦٦، ٧٣، ١٣٦، وشرف أصحاب الحديث: ص٨٧–٧٩، والحلية: ج٩، ص١١١، ١١٦، والبداية والنهاية: ج١٠، ص٢٥٤، والانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء: ص٨٠.

[٣] وردت جميع تلك النقول عن الإمام أحمد في تاريخ الإسلام للذهبي في: ص٢٨–٣٠، وانظرها مفرقة في طبقات الحنابلة: ج١، ص٦٢، وجامع بيان العلم وفضله: ج٢، ص٩٥.

وأشنعه ما اخترعوه من المقايسة بين الخالق، والمخلوق، فأخضعوا صفات الرب المجيد لما هو معروف من صفات العبيد، ثم رتبوا على ذلك نفيها، وتعطيل الرب –جل وعلا– عنها.[١]

قال الإمام الغزالي: "وأما منفعته فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ماهي عليه. وهيهات فليس في علم الكلام هذا المطلب الشريف، ولعل التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف. وهذا إذا سمعته من محدث أو حشوى[٢] ربما خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا، فاسمع هذا ممن خبر الكلام، ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة، وبعد التغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلمين، وجاوز ذلك إلى التعمق في علوم أخرى تناسب نوع علم الكلام وتحقق أن الطريق إلى المعرفة من هذا الوجه مسدود".[٣]

وكلام الإمام الغزالي في هذا حجة بالغة إذ هو إمام عصره في علم الكلام، ثم رجع عنه بعد طول زمان، وخلفه الإمام الرازي فسار على طريقتى الإمام الغزالي الأولى ثم الأخيرة فقال في كتابه (أقسام اللذات): "لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن أقرأ في الإثبات: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه:٥] {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} [فاطر:١٠] وأقرأ في النفي: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير}[الشورى:١١] {وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [طه:١١٠] ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي".[٤]

---

[١] ولذلك قال ابن الجوزي في، صيد الخاطر: ص٢١٧ "أصل كل محنة في العقائد قياس أمر الخالق على أحوال الخلق. وكل من قاس صفة الخالق على صفتا المخلوقين خرج إلى الكفر". ثم مثل على ذلك بما يلزم الرجوع إليه.

[٢] الحشوى: الرذيل التافه قال ابن منظور في، اللسان: ج١٨، ص١٩٦ (حَشَا) والحشو من الكلام: الفضل الذي لا يعتمد عليه. وكذلك هو من الناس. وحُشْوةُ الناس: رذ التهم. وحكى اللحياني (أبو الحسن علي بن حازم ت: ٢١٥) ما أكثر حِشْوةَ أرضكم، وُحشْوتُها. أي: حَشْوها، وما فيها من الدَّقَل. وفلان من حِشْوةِ بني فلان بالكسر أي: من رُذَالهتم. اهـ. وذلك اللفظ به يَنْبز أهل البدع، أهلُ السنة الكرام ويعنون به أن أهل الحديث رُذالة الناس وسقطهم، وأول من ابتدع ذلك اللفظ المعتزلة، وأول من تكلم به منهم زعيمهم عمرو بن عبيد فقال: كان عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– حَشْوياً. وقد بين ابن تيمية أن ذلك اللفظ المستحدث ليس له مسمى معروف لافي الشرع ولا في اللغة، ولا في العرف العام، لأن الطائفة إما أن تضاف إلى زعيم مذهبها ورأس مقالتها وإما إلى قولها وعملها. ولفظ الحَشْوية لا ينبني عليهما كما في مجموع الفتاوى: ج٤، ص٢٣، ٦–٨٨، ١٤٦–١٤٨.

[٣] الغزالي، إحياء علوم الدين: ج١، ص١٠٣. لكن مع هذا لم يستطع الغزالي التخلص من تلك البليات كما قال أبو بكر بن العربي: "شيخنا أبو حامد الغزالي دخل في بطون الفلاسفة ثم أراد أن يخرج منهم فما قدر". انظر درء تعارض العقل والنقل: ج١، ص٥. وقد ألف الغزالي كتابه الإحياء بعد مفارقته الفلسفة ورده على الفلاسفة. ومع ذلك لازال في الإحياء شوائب قال ابن تيمية –رحمه الله– في مجموع الفتاوى: ج١٠، ص٥٥١: "والإحياء فيه فوائد كثيرة لكن فيه مواد مذمومة".

[٤] انظر نقل ذلك عن الرازي عند ابن تيمية في، شرح حديث النزول: ص١٧٦، ومجموع الفتاوى: ج٤، ص٧٢، ج١٧، ص٣٤٦، ج١٩، ص١٦٩، ودرء تعارض العقل والنقل: ص١٦٠، والرد على المنطقيين: ص٣٢١، وابن كثير، البداية والنهاية: ج١٣، ص٥٦،

بعد تلك المقدمة، في تعريف علم الكلام، وبيان حكمه، ومعرفة حال أهله، سأشرع في بيان نموذج مما تعثر فيه أهل الكلام، وخالفوا النصوص الصريحة في القرآن، والأحاديث الصحيحة الثابتة عن نبينا– صلى الله عليه وسلم–.

وسأقتصر على فرقتين من فرق المتكلمين فسروا القرآن الكريم حسب ابتداعهم في الدين، فجعلوا القرآن عضين[1] فحالهم يشبه حال اليهود، الذين آمنوا ببعض ما أنزل إليهم من ربهم، وكفروا ببعض منه، فعيرَّهم الله وذمهم وتوعدهم بقوله –جل وعلا–:{أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُون} [البقرة:٨٥] وهاتان الفرقتان هما: الخوارج، والمعتزلة. وأصولهم مختلفة فيما بينهم كما هو حال أهل البدع الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً، وقد اتفقتا على وجوب إنفاذ الوعيد، ومن مات على كبيرة مصراً عليها، ولم يتب منها، فهو مخلد في النار خلود الكفار، لكن تجاسر الخوارج فكفروا صاحب الكبيرة إذا لم يتب منها، وأما المعتزلة ففارقوهم في هذا الحكم، وقالوا إنه خرج من الإيمان بكبيرته لكن لا يطلق عليه لفظ الكفر، فهو ليس بمؤمن ولا كافر، مع اتفاق الفرقتين على القول بخلوده في نار جهنم. أي نازعوهم في الاسم، ووافقوهم في الحكم، ومذهب الخوارج مع ضلاله متفق في نفسه فالخلود في النار، لا يكون إلا للمشركين والكفار، ومذهب المعتزلة مع ضلاله متناقض في نفسه حيث نفوا عن فاعل الكبيرة الاسمين المتقابلين، والوصفين المتناقضين، فالمكلف إمام مؤمن، وإما كافر، والمؤمن إما تقي كامل الإيمان، وإما فاسق ناقص الإيمان، والكافر متفق على وصفه بالكفر، والحكم عليه بخلوده في النار عند أهل السنة الأبرار، وعند الخوارج والمعتزلة، وكذلك اتفقوا على دخول المؤمن التقي جنة الله الكريم كما هو من عداد المؤمنين، لكن اختلفوا في الفاسق –المنتسب إلى للإسلام– فأهل السنة الكرام قالوا هو مؤمن بإيمانه فاسق بعصيانه، وأمره إلى ربه، إن شاء غفر له ورحمه فلا يدخل النار، وإن لم يغفر له، وعذبه فلن يخلد فيها كالكفار، وخالف الخوارج والمعتزلة أهل السنة، في الأمرين، واتفقوا فيما بينهما على خلوده في النار، لكن اختلفوا فيما

والعكري، شذرات الذهب: ج٥، ص٢٢ وفيهما أيضاً "وقال ابن الصلاح أخبرني القطب الطوغاني مرتين أنه سمع فخر الدين الرازي يقول: ياليتني لم أشتغل بعلم الكلام وبكى" اهـ وعند ابن حجر في، لسان الميزان: ج٤، ص٤٢٧ وكان يقول: "من التزم دين العجائز فهو الفائز".

[1] فرقاً وأنواعاً، وجعلوه مقسَّماً أقساماً، فأخذوا بما وافق هواهم، وتركوا قسماً مما قاله مولاهم. راجع: السمين الحلبي، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: ص٣٦٩.

بينهما في اسمه في هذه الدار، فالخوارج كفروه، والمعتزلة قالوا: هو في منزلة بين المنزلتين، هو بين الإيمان والكفر، هو فاسق وليس بمؤمن ولا كافر.[١]

وهذه المسألة هي أول خلاف حصل في الملة، فاعتزل واصل بن عطاء، وتلميذه عمرو بنُ عُبيد وأتباعُهما حلقةَ الحسن البصري، واجتمعوا في حلقة خاصة بهم، فقيل لهم: معتزلة. لاعتزالهم حلقة أهل الحق.[٢]

وهذا عرض لما في كتب الخوارج والمعتزلة من خلود فاعل الكبيرة في النار إذا لم يتب منها، مع الحكم عليه بالكفر في الدنيا عند الخوارج، وخروجه من الإيمان عند المعتزلة.

قال الزمخشري في تفسيره (الكشاف) في تفسير قول الله –جل وعلا–: {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} [النساء:٩٣] "هذه الآية فيها من التهديد والإيعاد والإبراق والإرعاد أمر عظيم وخطب غليظ. ومن ثم روى عن ابن عباس –رضي الله عنه– ما روى من أن توبة قاتل المؤمن عمداً غير مقبولة. وعن سفيان: كان أهل العلم إذا سئلوا قالوا: لا توبة له، وذلك محمول منهم على الاقتداء بسنة الله في التغليظ والتشديد، وإلا فكل ذنب ممحو بالتوبة. وناهيك بمحو الشرك دليلا. وفي الحديث "لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرئ مسلم"[٣] وفيه "لو أن رجلا قتل بالمشرق وآخر رضى بالمغرب لأشرك في دمه"[٤] وفيه "إن هذا الإنسان بنيان الله. ملعون من هدم بنيانه"[٥] وفيه "من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة

---

[١] توضيح هذا في، شرح النووي على صحيح مسلم: ج١، ص١٤٧ وابن حجر، فتح الباري: ج١، ص٤٦.

[٢] تقرير ذلك عند ابن تيمة في، مجموع الفتاوى: ج٣، ص١٨٢–١٨٣، ج٧، ص٢٤٢، ٢٥٧، ٦٧٠، ج١٣، ص٨٦، وابن أبي العز، شرح الطحاوية: ٤٧٤.

[٣] الحديث ورد من رواية عبد الله بن عمرو بن العاص –رضي الله عنهما– مرفوعاً إلى نبينا –ﷺ– في سنن الترمذي، رقم: ١٣٩٥، وسنن النسائي، رقم: ٣٩٨٦، ٣٩٨٧، والسنن الكبرى للبيهقي: ج٨، ص٢٢. وهو في جامع الأصول، رقم: ٧٧٢٠. وانظر تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي: ج١، ص٣٤٤، رقم: ٣٥٣.

[٤] غريب جداً كما قال الزيلعي في، تخريج أحاديث الكشاف: ج١، ص٣٤٥–٣٤٦، وقال ابن حجر في، الكافي الشاف، ص: ٤٧، رقم: ٣٨٧ لم أجده.

[٥] حكمه كما قبله في الكتابين المتقدمين. أي لا يعرف من خرجه ولا من رواه، وليس هو في دواوين السنة الشريفة. وذكره ابن الأثير في، النهاية في غريب الحديث، من حديث نبي الله سليمان –على نبينا وعليه الصلاة والسلام–: ١٣٠٥ بلفظ: "من هدم بناء ربه – تبارك وتعالى– فهو ملعون".

جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله"[1] والعجب من قوم يقرؤن هذه الآية ويرون ما فيها ويسمعون هذه الأحاديث العظيمة، وقول ابن عباس بمنع التوبة، ثم لا تدعهم أشعبيتهم وطماعيتهم الفارغة واتباعهم هواهم وما يخيل إليهم مناهم، أن يطمعوا في العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة، أفلا يتدبرون القرآن، أم على قلوب أقفالها؟ ثم ذكر الله سبحانه وتعالى التوبة في قتل الخطأ، لما عسى يقع من نوع تفريط فيما يجب من الاحتياط والتحفظ فيه حسم للأطماع وأي حسم، ولكن لا حياة لمن تنادى. فإن قلت: هل فيها دليل على خلود من لم يتب من أهل الكبائر؟ قلت: ما أبين الدليل وهو تناول قوله: (وَمَنْ يَقْتُلْ) أيَّ قاتل كان، من مسلم أو كافر، تائب أو غير تائب، إلا أن التائب أخرجه الدليل. فمن ادعى إخراج المسلم غير التائب فليأت بدليل مثله".[2]

وهذا النقل عن إمام المعتزلة في زمانه، قال به خصماؤه وقرناؤه من الخوارج، فكتب علي بن محمد البَسَيوَي في تقرير ذلك خمس عشرة صفحة في كتابه (الجامع) وسألخص ما قاله في أسطر، طلباً للاختصار: لا خلف في وعد الله ولا خلف في وعيده، ومن دخل النار فهو مخلد فيها، كما هو الحال فيمن دخل الجنة {إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيم.وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيم. يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّين.وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِين} [الانفطار: ١٦-١٣] ثم أورد الآية التي شرحها الزمخشري وآيات المغفرة لمن تاب، ومن فعل معصية لم يقبل عمله، وهو مخلد في النار ثم ختم تقريره بقول الله -عز وجل-:{لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا}[النساء:١٢٣] وقوله الحق، وهو صادق الوعد والوعيد.[3]

وسأناقش ما تقدم ضمن أربعة أمور:

أولها: أثر سيدنا عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- من أن توّبة قاتل العمد غير مقبولة، ومثله ما حكاه عن سفيان -وهو ابن عيينة كما ورد في بعض روايات الأثر- عن أهل العلم. وذلك مناقض لمذهب

---

[1] الحديث من رواية أبي هريرة -رضي الله عنه- مرفوعاً في سنن ابن ماجه، رقم: ٢٦٢٠، والسنن الكبرى للبيهقي: ج٨، ص٢٢، وروي الحديث من رواية السادة الكرام، عمر، وابنه، وابن عباس، وأبي سعيد الخدري. ولا يخلو طريق منها من مقال، ولذلك قال ابن الجوزي في الموضوعات: ج٣، ص١٠٣-١٠٥ هذه الأحاديث ليس فيها ما يصح. وسبقه ابن حبان فحكم عليه بالوضع في كتابه، المجروحين: ج٢، ص٧٥، لكن الحديث لا يصل إلى هذه الدركة، وفي حكمهما مبالغة كما قال الحافظ في التلخيص الحبير. والذي يظهر- والعلم عند الله عز وجل- أن الحديث ضعيف، وبتعدد طرقه مع شواهد الشرع الحنيف الواردة في التغليظ الشديد في القتل يرتقي الحديث إلى درجة الحسن -والعلم عند الله الأكرم- طالع ما قاله أئمة الإسلام فيه، في نصب الراية: ج٤، ج٣٢٦- ٤٢٧، وتخريج أحاديث الكشاف: ج١، ص٣٤٦-٣٤٧، والتلخيص الحبير: ج٤، ص١٧-١٨، والكافي الشاف، ص: ٤٧-٤٨، رقم: ٣٨٨.

[2] الزمخشري، الكشاف، ج١، ص ٥٥٤.

[3] البَسَيوَي، الجامع: ج١، ص١٩٩-٢١٤.

المعتزلة والخوارج، بقبول توبة العاصي حتى المشرك، ثم تأويله بأن ذلك محمول على التغليظ، فهلَّا وافقت أهل السنة الكرام في تأويلهم بأن النصوص الواردة في إطلاق لفظ الكفر على العصاة محمولة على التغليظ أيضاً جمعاً بين الأدلة.!

إن قول ابن عباس –رضي الله عنهم– لا يراد منه عدم قبول توبة القاتل، كما لا يراد منه وجوب دخوله النار إن لم يتب، كما لا يراد منه خلود العاصي في النار إذا دخلها، وكل ذلك وارد للتغليظ والزجر جمعاً بين النصوص الشرعية، والله يفعل ما يشاء بعباده على حسب حكمته ورحمته.

ثبت أَن ابْن عَبَّاس كَانَ يَقُول: "لمن قتل مُؤمناً تَوْبَة. قَالَ: فَجَاءَهُ رجل فَسَأَلَهُ أَلِمَنْ قتل مُؤمناً تَوْبَة؟ قَالَ: لَا، إِلَّا النَّار. فَلَمَّا قَامَ الرجل قَالَ لَهُ جُلَسَاؤُهُ: مَا كنت هَكَذَا تُفتينا كنت تُفتينا أَن لمن قتل مُؤمناً تَوْبَة مَقْبُولَة، فَمَا شَأْن هَذَا الْيَوْم؟ قَالَ: إِنِّي أَظُنهُ رجل يغْضب يُرِيد أَن يقتل مُؤمناً فبعثوا فِي أَثَره فوجدوه كَذَلِك".[1]

وفي رواية: "أَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: مَلَأْتُ حَوْضِي أَنْتَظِرُ ظَمِيَّتِي[2] تَرِدُ عَلَيَّ، فَلَمْ أَسْتَيْقِظْ إِلَّا بِرَجُلٍ قَدْ أَشْرَعَ نَاقَتَهُ، وَثَلَمَ الْحَوْضَ، وَسَالَ الْمَاءُ، فَقُمْتُ فَزِعًا، فَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ، فَقَتَلْتُهُ؟ فَقَالَ: لَيْسَ هَذَا مِثْلَ الَّذِي قَالَ، فَأَمَرَهُ بِالتَّوْبَةِ. قَالَ: سُفْيَانُ: كَانَ أَهْلُ الْعِلْمِ إِذَا سُئِلُوا قَالُوا: لَا تَوْبَةَ لَهُ، فَإِذَا ابْتُلِيَ رَجُلٌ، قَالُوا لَهُ: تُبْ".[3]

والأثران –أثر ابن عباس، وسفيان، رضي الله عنهم– يوضحان المراد من عدم قبول توبة العاصي – القاتل– وهذا هو الفقه والتوفيق والإلهام والوهب بعينه، وهذه بركة دعوة النبي– ﷺ– لحبر الأمة وبحرها في الفقه في الدين، وتعليم التأويل، وإيتاء الحكمة.

ثانيها: كما قيَّد الخوارج والمعتزلة وعيد العاصي وعقوبته بعدم توبته لأدلة صحيحة أخرى، وهذا صحيح قطعاً وجزماً، وكذلك أهل السنة والجماعة قيدوا عقوبة كل معصية بقيد آخر، وهو عدم مغفرة الله الكريم للعاصي

---

[1] ابن أبي شيبة، المصنف: ج٩، ص٣٦٢، رقم: ٧٨٠٣، وأخرجه الإمامان: عبد بن حميد، والنحاس، كما في الدر المنثور: ج٢، ص١٩٨.

[2] هي الإبل التي حُبست عن الماء إلى غاية الوِرْد. انظر لسان العرب، ج١ ، ص١١٦.

[3] الأثر في سنن سعيد بن منصور، رقم: ٦٧٥، والسنن الكبرى البيهقي: ج٨، ص١٦، ورواه ابن المنذر، كما في، الدر المنثور: ج٢، ص١٩٨.

الأثيم، فإذا تاب لا يناله الوعيد وكذلك لو غفر الله الكريم له لا يناله الوعيد وهذان القيدان واردان في آيات القرآن، وأحاديث نبينا– عليه الصلاة والسلام– فعلام التفرق بينهما.؟!

ومن أوضح آي القرآن الكريم، قول ربنا الرحيم الرحمن: {إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا}[النساء:٤٨] ومن السنة الصحيحة الصريحة في الدلالة حديث عبادة بن الصامت –رضي الله عنه– أن رسول الله –ﷺ– قال –وحوله عصابة من أصحابه– "بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه فبايعناه على ذلك".[١]

وهذا المعنى ثابت في الأحاديث الشريفة ثبوت تواتر، وفي الآية المتقدمة، مع الحديث الشريف، دلالة واضحة لكل ذي عينين على بطلان قول الفرقتين، قال الإمام الواحدي في تفسيره (البسيط) قال ابن عباس: "يغفر ما دون الشرك لأهل التوحيد". "قال العلماء من أهل التفسير: لما أخبر الله تعالى أنه يغفر الشرك بالتوبة، علمنا يقينًا أنه يغفر أيضًا ما دون الشرك بالتوبة، فهذه المشيئة في ذنوب لم يتب منها صاحبها، وإنما أبهم الله فيما دون الشرك، وقيد بالمشيئة، لئلا يأمن صاحب الكبيرة".[٢]

بقي أن أشير إلى أمر تقر به العين نحو الآيتين المتقدمتين، وهو فرح سلفنا بهما، بما يجعل العاقل يذرف الدمع رجاء لمضمونهما.

ثبت في سنن الإمام الترمذي، وغيره، وقال الإمام الترمذي: هذا حديث حسن غريب عن سيدنا علي– رضي الله عنه– قال: "ما في القرآن آية أحب إليَّ من هذه: {إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا} [النساء:٤٨]".[٣]

---

[١] أخرجه أحمد في، المسند: ج٥، ص٣١٤، ٣٢٠، وصحيح البخاري، رقم: ١٨، وكرره اثنتي عشرة مرة، وصحيح مسلم، رقم: ١٧٠٩، وسنن الترمذي، رقم: ١٤٣٦، وهو في جامع الأصول، رقم: ٤٣.

[٢] التفسير البسيط: ج٧، ص٩٤–٦٥.

[٣] سنن الترمذي، رقم: ٣٠٤٠، الإتقان: ج٤، ص١٥٠، وتفسير القرطبي: ج٥، ص٢٤٦، نقل تحسين الترمذي للأثر. وهو في جامع الأصول، رقم: ٦٢٥١.

ووجه كون الآية الكريمة أرجى آية في كتاب الله –جل وعلا– ظاهر، وإيضاحه– فيما يبدو لي: أن الرحيم الرحمن أخبرنا أن ماعدا الشرك مردود أمره إلى المشيئة، فالعقاب عدل، والرحمة فضل، والفضل أليق بأفعال الرحمن. يضاف إلى هذا أن الآية فتحت باب الأمل على أهل الزلل، والكريم إذا أطمع حقق وتكرم. والله أعلم.[1]

وخلاصة الكلام: إن وعيد الله ذي الجلال والإكرام، لأهل المعاصي والآثام مقيد بشرطين عند أهل السنة: عدم توبة المذنبين، وعدم عفو أرحم الراحمين. وقد وافق المعتزلة على الأمر الأول، وقيدوا به أخبار الوعيد المطلقة في العصاة والفسقة، لثبوته بأدلة منفصلة محققة، والأمر الثاني كالأول تماماً فهو ثابت بأدلة منفصلة، وقوة تلك الأدلة تساوي قوة أدلة الأمر الأول، فالأخذ بأحدهما ونبذ الآخر تفريق بين متماثلين، وذلك شطط في القول، وهو مسلك الزائغين الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، ولذلك حكم الإمام أبو عمرو بن العلاء على إمام المعتزلة بأنه أعجم القلب، لا يعي كلام الرب، وإليك تلك المناظرة التي دارت بينهما.

قال عمرو بن عبيد إمام المعتزلة: قولي في أصحاب الكبائر: أن الله وعد وعداً، وأوعد إيعاداً، فهو منجز إيعاده كما هو منجز وعده. فقال له أبو عمرو بن العلاء، إمام أهل السنة: إنك رجل أعجم، لا أقول أعجم اللسان، ولكن أعجم القلب، إن العرب تعد الرجوع عن الوعد لؤما، وعن الإيعاد كرما، وأنشد:

ولايرهبُ ابنُ العم– ماعشتُ– سَطْوَتي .:. ولا يَخْشَى من سَطْوَةِ المُتَهَدِّدِ

وإني وإنْ أوْعَدْتُهُ أوْ وَعَدْتُهُ .:. لمُخْلِفُ إيعادِي ومنجزُ مَوْعِدِي[2]

ومما ينبغي التنبيه له أن عدم إنفاذ الوعيد فيمن أوعده رب العالمين، لا يعتبر ذلك خلفاً لميعاده ولا كذباً في أحكامه، لأنه تقدم بالبرهان القطعي أن جميع عمومات الوعيد مقيدة بمشيئة الله فإن شاء عذب، وإن شاء

---

[1] وطلباً للفائدة في معرفة أرجى آية في القرآن الكريم، قف على ذلك المبحث العظيم في الإتقان: ج٤، ص١٤٨–١٥٣. والبرهان: ج١، ص٤٤٦–٤٤٨. والجامع لأحكام القرآن: ج١٢، ص٢٠٨–٢٠٩. وأضواء البيان: ج٦، ص١١٤. وتفسير ابن كثير: ج١، ص٥١١.

[2] انظر تلك المناظرة في مفاتيح الغيب: ج٧، ١٨٣–١٨٤. وميزان الاعتدال: ج٣، ص٢٧٨–٢٧٩، وتهذيب التهذيب: ج٨، ص٧١–٧٢.

غفر ورحم، وهو الفعال لما يريد –سبحانه وتعالى– وقد ورد التنصيص على هذا المعنى من نبينا –ﷺ– فقال: "مَنْ وعده الله على عمل ثواباً، فهو منجزه له، ومن وعده على عمل عقاباً فهو فيه بالخيار".[1]

ثالثاً: بدعة تكفير عصاة الموحدين، من محدثات الخوارج وغلوهم، وبدعة إخراج عصاة المسلمين من الإيمان، من محدثات المعتزلة وزيغهم، وأمر التكفير جِدُّ خطير، ولذلك تواترت نصوص الشريعة في التحذير منه. ثبت بسند صحيح من رواية حذيفة بن اليمان –رضي الله عنه– عن نبينا– عليه الصلاة والسلام– قال: "إِنَّ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ حَتَّى إِذَا رُئِيَتْ بَهْجَتُهُ عَلَيْهِ، وَكَانَ رِدْئًا لِلْإِسْلَامِ، غَيَّرَهُ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ، فَانْسَلَخَ مِنْهُ وَنَبَذَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَسَعَى عَلَى جَارِهِ بِالسَّيْفِ، وَرَمَاهُ بِالشِّرْكِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَيُّهُمَا أَوْلَى بِالشِّرْكِ، الْمَرْمِيُّ أَمِ الرَّامِي؟ قَالَ: بَلِ الرَّامِي".[2]

وأما ما ورد من النصوص الشرعية الثابتة الصحيحة من إطلاق لفظ الكفر على فاعله، أو نفي الإيمان عنه، أو خلوده في النار، وما شابه ذلك، فهو محمول على واحد من أمور خمسة، تقتضيها ديانة المسلم المستقم جميعاً بين نصوص الشرع القويم، وبهذا يتميز أهل السنة أهل الهدى، عن أهل البدعة أصحاب الهوى، فالإيمان بكل نصوص الكتاب والسنة واجب، والتفريق بين النصوص الشرعية الثابتة عمل المبتدع اللاعب.

فالواجب عند اختلاف الأحاديث في الظاهر: الجمع بينها، للعمل بها كلها، فإن تعذر ولم يمكن، عمدنا إلى النسخ بطرقه المعلومة، وإن لم يمكن النسخ لعدم الوقوف على طرقه رجحنا بين النصوص بالمرجحات المعتبرة، أوصلها الإمام الحازمي في كتابه (الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار) إلى خمسين مرجحاً.[3]

والمعتمد أن الأمور الخمسة التي يحمل عليها وصف الكفر، أو نفي الإيمان، أو الخلود في النار، وما شابهها، يدخل فيها العاصي الذي يعلم أنه مخطئ مسيء، كما يدخل فيها العاصي المبتدع الزائغ الذي يرى أنه

---

[1] الحديث من رواية أنس بن مالك –رضي الله عنه– وهو في مسند أبي يعلى، والبزار، كما في المطالب العالية، ج٣، ص٩٩، رقم: ٢٩٨٨، ومعجم الطبراني الأوسط، رقم: ٨٥١٦، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ج١٠، ص٢١١ فيه: سهل بن أبي حزم، وقد وثق على ضعفه، وبقية رجاله رجال الصحيح، والسنة ابن أبي عاصم: ص٩٦٠، وهو في الدر المنثور: ج٢، ص١٧٠.والحديث الشريف مع ما تقدم، وماله من شواهد كثيرة يرقى إلى درجة الحسن، بل متنه صحيح صحيح.

[2] مسند أبي يعلى، كما في تفسير ابن كثير: ج٢، ص٢٦٥ وقال: هذا إسناد جيد، وكشف الأستار: رقم: ١٧٥، وقال البزار: إسناده حسن. وهو في مجمع الزوائد: ج١، ص١٨٧–١٨٨ وفيه: وإسناده حسن. والتاريخ الكبير البخاري: ج٤، ص٣٠١.

[3] الحازمي، الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار: ص١١–٣٢. والنووي، السيوطي، تدريب الراوي: ص٣٨٨، والتقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح: ص٢٨٦–٢٨٩.

مصيب محسن، ففي فتح القدير قال الإمام كمال الدين ابن الهمام: "وحكم الخوارج عند جُمْهُورِ الْفُقَهَاءِ وَجُمْهُورِ أَهْلِ الْحَدِيثِ حُكْمُ الْبُغَاةِ. وَعِنْدَ مَالِكٍ يُسْتَتَابُونَ، فَإِنْ تَابُوا وَإِلَّا قُتِلُوا دَفْعًا لِفَسَادِهِمْ لَا لِكُفْرِهِمْ. وَذَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ الْحَدِيثِ إلَى أَنَّهُمْ مُرْتَدُّونَ لَهُمْ حُكْمُ الْمُرْتَدِّينَ. قَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ: وَلَا أَعْلَمُ أَحَدًا وَافَقَ أَهْلَ الْحَدِيثِ عَلَى تَكْفِيرِهِمْ، وَهَذَا يَقْتَضِي نَقْلَ إجْمَاعِ الْفُقَهَاءِ".[١]

وهذه الأمور الخمسة هي:

١- كفر لا يُخرِج من الملة، فهو كفر دون كفر. قال الإمام البغوي: "وأجاز الشافعي شهادة أهل البدع، والصلاة خلفهم مع الكراهة على الإطلاق، فهذا القول منه دليل على أنه إن أطلق على بعضهم اسم الكفر في موضع أراد به كفراً دون كفر".[٢]

٢- فِعلُ المبتدعين، والعاصين يشابه فعل الكافرين، ولوجود ذلك الاتفاق بينهما، وبين الكفرة الفجرة صح إطلاق لفظ الكفر عليهما، ولم تُطَبَّقْ أحكام الكفر عليهما. قال الإمام ابن تيمية: "وكذلك الإمام الشافعي لما قال لحفص الفرد حين قال: القرآن مخلوق. كفرت بالله العظيم. بين له أن هذا القول كفر، ولم يحكم بردة حفص بمجرد ذلك، لأنه لم يتبين له الحجة التي يكفر بها. ولو اعتقد أنه مرتد لسعى في قتله، وقد صرح في كتبه بشهادة أهل الأهواء والصلاة خلفهم".[٣]

٣- إن ذلك الزيغ والعصيان سيؤديان إلى الكفر في نهاية الأمر، وإذا كانت المعاصي بريد الكفر، فإن البدع بريدها السريع، قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: "كانوا يقولون: إن البدع مشتقة من الكفر، وآيلة إليه".[٤]

٤- إطلاق الكفر على المبتدعين والعاصين، من باب التغليظ والردع للزائغين والفاسقين، زجراً لهم عن إفكهم المبين وتنفيراً لغيرهم من ذلك المسلك الوخيم.[١]

---

[١] ابن الهمام، فتح القدير: ج٦، ص١٠٠، ابن عابدين، ورد المحتار: ج٤، ص٢٦٣.

[٢] البغوي، شرح السنة: ج١، ص٢٢٨، وانظر نحو ذلك التعليل في، الذيل على طبقات الحنابلة: ج٢، ص١٥٦.

[٣] مجموع الفتاوى: ج٢٣، ص٣٤٩.

[٤] انظر أقوال العلماء: الصغيرة تجر إلى الكبيرة، وهي تجر إلى الكفر، لأن المعاصي بريد الكفر في، الفتح المبين لشرح الأربعين: ص١١٨، ونحو ذلك في الإحياء: ج٤، ص٣٢، ومجموع الفتاوى: ج٦، ص٣٥٩.

٥- إطلاق الكفر على المبتدع، والعاصي، محمول على المستحل لجرمه المبين، المعاند لشرع الله الحكيم، فهو في هذه الحالة كافر بإجماع المسلمين.

ومن لمعلوم ضرورة جحد ... من ديننا يقتل كفراً ليس حد

ومثل هذا من نفى لمجمع ... أو استباح كالزنا فلتسمع[٢]

بهذه التوجيهات تجتمع الآيات الكريمات، وأحاديث نبينا خير البريات -ﷺ- ويزول ما يظهر لقاصر النظر من تعارض بينها غير معتبر، والعلم عند الله- عز وجل-

رابعاً: حُكم الخوارج والمعتزلة على العاصين بالخلود في نار الجحيم إذا لم يتوبوا من ذنوبهم إلى ربهم العظيم. حكم باطل بيقين، وهو مبني على حكم باطل خالفوا فيه الكتاب المبين، وحديث نبينا الأمين -صلى الله عليه وسلم- والصحابة الكرام، وجمهور المسلمين إلى هذا الحين.

أما ما بني عليه حكمهم، فقد تقدم نقضه في الأمر الثالث وهو خروج العاصين من دائرة الإيمان بالله العظيم، ويترتب على خروجهم حبوط عملهم، وبما أن الحكم عليهم بالكفر باطل، فما ترتب عليه باطل أيضاً، إذ لا يحبط الأعمال، وينقص الإيمان إلا الكفر بذي الجلال والإكرام، وإذا مات عليه الإنسان فقد اكتمل شقاؤه وتَمَّ له أشنع خسران، قال ربنا الرحمن: {وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [المائدة:٥]

ولم يختلف قولُ أهل الهدى في أن فعل شيء من المحظورات شهوة وضعفاً، وترك شيء من الواجبات تقصيراً وكسلاً، لا يعتبر كفراً ناقضاً للإيمان، إلا في أمر واحد، وهو (ترك الصلاة) للإمام أحمد من بين أصحاب المذاهب الأربعة المتبعة قولان في حكمه. قول بكفره، لورود تشديد شديد في الصلاة بعينها، لا يوجد في غيرها. والثاني: فسق تارك الصلاة وعدم كفره كما هو الحال في المعاصي الأخرى، قال شيخ الإسلام الإمام ابن

---

[١] انظر توجيه إطلا لفظ الكفران، ونفي الإيمان، على أهل الفسوق والعصيان في فتح الباري: ج١، ص١١٢، وشرح النووي على صحيح مسلم: ج٢، ص٥٧، ومجموع الفتاوى: ج٧، ص٥٢٤-٥٢٥، ومدارج السالكين: ج١، ص٣٩٥-٣٩٧، وشرح الطحاوية: ص٢٦٧-٢٧٧ : "ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب، مالم يستحله".

[٢] جوهرة التوحيد، مع شرحها، تحفة المريد: ج٢، ص٩٩-١٠٠.

قدامة: "وهذا اختيار أبي عبد الله بْنِ بَطَّةَ، وَأَنْكَرَ قَوْلَ مَنْ قَالَ: إنَّهُ يَكْفُر. وَذَكَرَ أَنَّ الْمَذْهَبَ عَلَى هَذَا، لَمْ يَجِدْ فِي الْمَذْهَبِ خِلَافًا فِيهِ. وَهَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ الْفُقَهَاءِ، وَقَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ، وَمَالِكٍ، وَالشَّافِعِيِّ".

ثم وجّه أدلة القول بكفره بأنها على سبيل التغليظ، والتشبيه لتارك الصلاة بالكفار، لا على الحقيقة، وذكر أمثلة لذلك، وعقَّبَ عليها بقوله: وأشباه هذا مما أريد به التشديد في الوعيد، ثم ختم الكلام بقوله: وهو أصوب القولين.

أقول: يكفي في تصويبه هو قول الجمهور. يكفي في تصويبه هو قول شيوخ الإمام أحمد وتلاميذه. يكفي في تصويبه هو الموافق لأصول أهل السنة والجماعة. يكفي في تصويبه: ما ورد في ترك الصلاة من تشديد، وَرَدَ مِثْلُه وأشدُّ في المخالفات الأخرى. يكفي في تصويبه: أنه أحوط، وأقل ما يورثه الاختلاف شبهة. يكفي في تصويبه أن الإخراج من الملة ينبغي أن تتفق عليه الأمة. يكفي في تصويبه أن فيه إراقة دم. يكفي في تصويبه أن فيه منع إرث. يكفي في تصويبه أن فيه فراق زوج، وإن كان لا خير في صحبة من هذا حاله. وعلى الاعتبارات الثلاثة الأخيرة، يكفي فيها تصويب قول فقيه الملة بعدم كفره، وعدم قتله، بل يعزر بحبسه وضربه حتى يموت أو يتوب.[1]

وهذه خاتمة تجهز على تلك البدعة المنكرة من بدع الخوراج والمعتزلة، وهي إنفاذ الوعيد، وقد قامت على ركنين منكرين: خروج فاعل الكبيرة من الإيمان، وحبوط عمله مهما كان، ولابد من دخوله النار، لكن على سبيل الدوام والاستمرار، وكما أبطلتُ الطرقَ الموصلة إلى هذه النتيجة، سأختم بما ينفي تلك النتيجة بالأدلة الشرعية.

إن آفة المبتدعين في كل حين: جهلهم بأحاديث رسولنا -ﷺ- وإفلاسهم في معرفة آثار الصحابة -رضي الله عنهم- ومع بضاعتهم المزجاة في هذين الأمرين، فعندهم عجب بآرائهم لانهاية له، وسأقتصر على حديث شريف صحيح، تبطل ما ذهبوا إليه.

---

[1] ابن قدامة، المغني: ج٢، ص٢٩٨-٣٠٢ معه الشرح الكبير، وابن هبيرة، كتاب الإفصاح: ج١، ص١٠١-١٠٢، ورد المحتار على الدر المختار: ج١، ص٣٥٢-٣٥٣.

ثبت في المسند والصحيحين عن عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –ﷺ– "إنِّي لأعْلَمُ آخرَ أهلِ النار خرُوجاً منها، وآخرَ أهل الجنة دخولاً الجنة: رجل يخرجُ من النار حبواً، فيقول الله له: اذهبْ فادْخُل الجنة، فيأتيها، فيخيَّل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا ربِّ، وجدتُها ملأى، فيقول الله عزَّ وجل: اذهبْ فادخل الجنةَ، قال: فيأتيها، فيُخيَّل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا ربِّ وجدتُها ملأى، فيقول الله عز وجل له: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثلَ الدنيا، وعشرة أَمثالها، أو إنَّ لك مثلَ عشرةَ أمثال الدنيا، فيقول: أتَسْخَرُ بي – أو أتضحك بي – وأنت الملك؟ قال: فلقد رأيتُ رسولَ الله –ﷺ– ضَحِكَ حتى بدَتْ نواجِذُه، فكان يقال: ذلك أدنى أهل الجنة منزلة".[1]

[1] أخرجه أحمد في، المسند: ج ، ص٣٧٨–٣٧٩، ٤٦٠، وصحيح البخاري، رقم: ٦٥٧١، ٧٥١١، وصحيح مسلم، رقم: ١٨٦، وسنن الترمذي، رقم: ٢٥٩٨، وهو في جامع الأصول، رقم: ٨١٢٢.

نموذج من تفسير اللغويين

تقدم عند بيان طرق التفسير السديدة: تفسير كلام رب البرية باللغة العربية، ومن شروط المفسر علمه باللغة التي نزل بها القرآن الكريم، فكل كلام ينبغي أن يُفهم على حسب اللغة التي تفرع عنها. كما تقدم بيان المحاذير التي يقع فيها المفسر إذا لم يتقن اللغة التي نزل بها كلام الله الجليل.[١]

وهنا أقول: من أتقن لغة القرآن على التمام فينبغي أن يحذر من أمرين، لئلا ينحرف عن مراد القرآن، ويقع في الأخطاء الجسام.

أولهما: الحذر من المسارعة إلى تفسير الآيات القرآنية حسبما ترشد إليه اللغة العربية، دون استظهار بسماع الآثار، ونقل ما صح من الأخبار، مع عدم مراعاة مراد المتكلم حسبما يقتضيه السياق. قال الإمام ابن تيمية: "من تدبر القرآن وتدبر ما قبل الآية وما بعدها وعرف مقصود القرآن: تبين له المراد وعرف الهدى والرسالة، وعرف السداد من الانحراف والاعوجاج. وأما تفسيره بمجرد ما يحتمله اللفظ المجرد عن سائر ما يبين معناه فهذا منشأ الغلط من الغالطين، لا سيما كثير ممن يتكلم فيه بالاحتمالات اللغوية. فإن هؤلاء أكثر غلطاً من المفسرين المشهورين، فإنهم لا يقصدون معرفة معناه كما يقصد ذلك المفسرون".[٢]

ثانيهما: الحذر من إخضاع القراءات المتواترة لقواعد النحو والعقول القاصرة، فلا ترجيح بينها، ولا تضعيف لشيء منها، فكلها كتاب الله الحكيم، والتفضيل بينها أو رد شيء منها ضلال مبين، وفاعل ذلك يدور بين خطأ الجهل، أو شناعة الكفر، والقرآن الكريم نزل بلغة العرب، لا بلغة فريق منهم من كوفيين أو بصريين، والاحتجاج للقراءات بقواعد هما قلب للأمر السليم، وعكس للوضع المستقيم، إنما الواجب الاحتجاج والاستشهاد لقواعد النحو بما تواتر من القراءات، وقواعد النحو ليست منحصرة في الكوفة و البصرة، حنى يعتبر ما خالفهما شاذاً ومرذولاً، فالقرآن المبارك نزل بلسان عربي مبين، وهو المهيمن على غيره في كل شيء في اللغة والنحو والقصص والأحكام، فما دل عليه القرآن صواب، وما خالفه باطل، فقيمة القول صحة وفساداً، خطأ ورشاداً، حقاً وباطلاً، كل ذلك موقوف على حكم القرآن وبيان القرآن الكريم.

---

[١] راجع ما سبق في، ص: ٣٥.

[٢] مجموع الفتاوى: ج١٥، ص٩٤.

والحقيقة المرة أن بعض أئمة النحو يحتج لقواعد النحو، ويستشهد لها ببيت من الشعر لا يُعرف قائله، ثم يأتي للقراءات المنقولة تواتراً ليشتهد لها لا بها، فإذا عارضت قواعد النحويين من كوفيين أو بصريين حكم بشذوذها وسماجتها، ويعلم الله الجليل أن هذا المسلك منهم يقع على النفس أشد من وقع السكاكين، والذي أوقعهم في هذا المسلك الوخيم عدمُ وضع المسألة موضعها الطبيعي فالقرآن الكريم يستشهد به لا له، ويعلم الله العظيم أن منزلة هؤلاء الأئمة –الذين وضعوا الأمر على غير حقيقته– عزيزة كريمة عالية لدينا، ولكن كلام الله الجليل أعز وأكرم وأعلا، وما وقعوا فيما وقعوا به إلا من عدم وضع الأمر على حقيقته، مع غفلتهم عما يلزم منه وينتج عنه والله الكريم يغفر لنا ولهم.

ومما ينبغي أن يعيه كل مسلم، لاسيما طالب العلم، أن المرجع في كل علم إلى أهله المتخصيصين فيه، الذين سبروا غوره، وبلغوا قعره، لأن الرجل كثيراً ما يكون مبرزاً في علم من العلوم عامياً في علم آخر[١]، فالرازي وما أدراك ما الرازي إمام في العقليات، ورأس في الذكاء، لكن باعه قصير وقصير في معرفة الأحاديث والآثار، بحيث لا يعد من عوام أهل الصناعة الحديثية فضلاً عن خواصها فالتعويل عليه في هذا الباب، شطط وانحراف عن الصواب[٢]، وهكذا الحال بالنسبة للمحدثين كيحيى بن معين وأضرابه فما برزوا فيه من معرفة صحيح الحديث من سقيمه والاطلاع على أحوال الرواة يُعوَّلُ عليهم في ذلك، ومالم يصرفوا عنايتهم له، واهتمامهم به، كعلم الفقه واستنباط الأحكام فلا يركن إليهم في ذلك، ولا يلتفت لأقوالهم ولذلك قال الإمام أحمد: "إن ابن معين كان لا يعرف ما يقول الشافعي"، وقد حكى عن ابن معين أنه سئل عن مسألة من التيمم فلم يعرفها.[٣] ولم يتيسر الجمع بين الاستنباط ومعرفة الآثار إلا لعدد قليل من العلماء الكبار، وأقل من القليل من جمع بينهما وبين القراءات، فلننزل كل عالم منزلته، ولنأخذ كل علم عن أهله، وإذا بان هذا واتضح فمما لاريب فيه أن علم القراءات ينبغي أن يؤخذ من الأئمة القراء فهم أهل الاختصاص في ذلك، وعلى كلامهم المعول، ولا يصح مطلقاً الرجوع في ذلك إلى أئمة الحديث أو الفقه، أو غيرهما من العلوم، مع أن الذين أجازوا التفسير لمن

---

[١] وقد عنون الهيثمي في، مجمع الزوائد في كتاب العلم باباً لأخذ كل علم من أهله، فقال: ج١، ص١٣٥– "باب أخذ كل علم من أهله".

[٢] الذهبي في، ميزان الاعتدال، ج٣، ص٣٤٠. السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٨، ص٨٨.

[٣] ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج٢، ص١٦٠.

توفرت فيه شروطه –وهو الصحيح[١]– قد اشترطوا في المفسر أن يكون على دراية تامة بالقراءات إذ بها يعرف كيفية النطق بالقرآن، وبها يتضح ترجيح بعض وجوه التفسير على غيرها، فالقراءة مع القراءة بمنزلة الآية مع الآية إذا كانت القراءتان متواترتان، أما إذا كانت إحداهما شاذة فهي بمنزلة خبر الآحاد ويلجأ إليها في الترجيح[٢] مع أنهم اشترطوا هذا فإن الواقع أن كثيراً من المفسرين اقتحموا لجة التفسير اعتماداً على ما برزوا فيه من علوم مع إغفالهم علم القراءات، وليتهم إذ سلكوا ذلك المسلك لم يتعرضوا للقراءات رأساً، لكنهم عرضوا تلك القراءات المتواترة، على عقولهم الناقصة القاصرة، فكم من قراءة متواترة قد ردوها، وكم من قراءة شاذة باطلة قد قبلوها، وناهيك في ذلك بمسلك الزمخشري في كشافه، فعند شططه تسكب العبرات.

انظر رده لقراءة متواترة وتصحيحه لقراءة شاذة منكرة ففي كشافه: رد قراءة ابن عامر وهي سبعيه متواتره، وصحح قراءة عمرو بن عبيد، ولا أصل لها في قراءة: {هُنَالِكَ الْوَلاَيَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ}[الكهف:٤٤]، بنصب (الحقَّ) وقال: هي قراءة حسنة فصيحة.[٣]

وسأذكر مثالاً لقراءة قرأ بها سيدنا حمزة بن حبيب الزيات –وقراءته متواترة بالإجماع– قرأ بجر (والأرحامِ) في الآية الأولى من سورة النساء. {يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[النساء:١][٤] فاعترض عليها بعض العلماء، وليتهم ما زلوا تلك الزلة النكراء، وسأذكر اعتراض سبعة منهم في عصور مختلفة، ثم أقابلها بالرد عليهم بسبعة أيضاً من عصور متعددة، مع مراعاة الترتيب الزمني للصنفين.

١– حكم النحوي المفسر الفراء (ت: ٢٠٧) بقبح قراءة الخفض، لأن العرب لا تردُّ مخفوضاً على مخفوض وتكني عنه، وإنما يجوز هذا في الشعر لضيقه.[٥]

---

[١] وأما من منع التفسير إلا بالوارد، فليس له في ذلك مستند ما. انظر الاتقان: ج٤، ص٢١٣.

[٢] انظر كون معرفة القراءات شرطاً في المفسر في الإتقان: ج٤، ص٢١٣، وانظر تفسير القراءة المتواترة بالشاذة في البرهان: ج١، ص٣٣٦–٣٣٨.

[٣] طالع رده لقراءة متواترة في الكشاف: ج٢، ص٣٥–٥٤، وفي: ج٢، ص٤٨٦. صحح قراءة عمرو بن عبيد، والتي لا أصل لها.

[٤] وانفرد بها من بين القراء السبعة، بل العشرة كما عند أبي زرعة في حجية القراءات: ص١٨٨، وابن الجزري، تقريب النشر: ص١٠٤.

[٥] الفراء، معاني القرآن: ج١، ص٢٥٢–٢٥٣.

٢- قال المفسر الطبري: (ت: ٣١٠) "والقراءة التي لا أستجيز لقارئ أن يقرأ غيرها في ذلك النصب، لما قد بينا أن العرب لا تعطف بظاهر من الأسماء على مكني في حال الخفض إلا في ضرورة الشعر".[١]

٣- قال النحوي المفسر الزجاج (ت: ٣١١) "القراءة الجيدة نصب الأرحام. فأما الجر في الأرحام فخطأ لا يجوز إلا في اضطرار شعر، وخطأ أيضاً في أمر الدين عظيم، لأن النبي -ﷺ- قال لا تحلفوا بآبائكم".[٢]

٤- قال المفسر النحوي الزمخشري (ت: ٥٣٨) "قراءة الجر على عطف الظاهر على المضمر، وليس بسديد وقد تُحملَ لصحة هذه القراءة بأنها على تقدير تكرير الجار".[٣]

٥- قال المفسر ابن عطية (ت: ٥٤١) "وهذه القراءة عند رؤساء نحويي البصرة لا تجوز، وأما سيبويه فهي عنده قبيحة لا تجوز إلا في الشعر".[٤]

٦- قال النحوي ابن الحاجب (ت: ٦٤٦) "والظاهر أن حمزة جوَّز ذلك بناء على مذهب الكوفيين، لأنه كوفي، ولا نسلم تواتر القراءات السبع".[٥]!!؟

٧- المفسر الشوكاني (ت: ١٢٥٠) حكى في تفسيره أقوال الطاعنين في قراءة الجر فقال: "حكى أبو علي الفارسي أن المبرد قال: لو صليت خلف إمام يقرأ (الأرحامِ) بالجر لأخذت نعلي ومضيت". وأتبع أقوالَ الطاعنين بقول الإمام أبي نصر القشيري: "ومِثْلُ هذا الكلام مردود عند أئمة الدين، لأن القراءات التي قرأ بها أئمة القراء ثبتت عن النبي -ﷺ- تواتراً. فعلق الشوكاني على هذا القول الحق بما يشبه قول ابن

---

[١] الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج٤، ص١٥٢.

[٢] الزجاج، معاني القرآن: ج٢، ص٦. وحديث النهي عن الحلف بالآباء ثابت في المسند والكتب الستة، وغير ذلك من رواية ابن عمر -رضي الله عنهما- وهو في وهو في جامع الأصول رقم: ٩٢٨٠-٩٢٨٢.

[٣] الزمخشري، الكشاف: ج١، ص٤٩٣.

[٤] ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ج٣، ص٤٨٣-٤٨٤. وتقدم تخريج الحديث، ص٢٥٨.

[٥] ابن الحاجب، الكافية في النحو: ج١، ص٣٢٠.

الحاجب قبله، فقال: ولا يخفى عليك أن دعوى التواتر باطلة، يعرف ذلك ممن يعرف الأسانيد التي رووها بها. ولكن ينبغي أن يحتج للجواز بورود ذلك في أشعار العرب".[١]

هذه نقول سبعة عن سبعة من المفسرين والنحويين، وقلبي يتقطر حسرة على هذا الزلل الجسيم، وهل القراءات إلا القرآن العظيم، وهل يتوجه طعن على أي جهة في أصح كلام، وأفصح بيان، وأقوم نظام، وفيه هداية الأنام؟! سبحانك ربنا ذا الجلال والإكرام، وسأترك التعليق لأهل التحقيق لنحذر بُنَيَّاتِ الطريق، وإن صدرت من صدِّيق، "إن لنا شريعةً لو رام سيُدنا أبو بكر الصديق –رضي الله عنه وأرضاه– أن يخرج عنها إلى العمل برأيه لم يُقبل منه".[٢] –وحاشاه من ذلك فداه نفسي وأبي وأمي وولدي–.

١- المفسر فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦) قال بعد أن حكى قول الطاعنين في قراءة الإمام حمزة: "هذه الوجوه ليست قويةً في دفع الروايات الواردة في اللغات، وذلك لأن حمزة أحد القراء السبعة والظاهر أنه لم يأت بهذه القراءة من عند نفسه، بل رواها عن رسول الله –ﷺ– وذلك يوجب القطع بصحة هذه اللغة، والقياس يتضاءل عند السماع لا سيما بمثل هذه الأقيسة التي هي أوهى من بيت العنكبوت"، ثم وجَّهَ القراءةَ من حيث العربية، وقال: "والعجبُ من هؤلاء النحاة أنهم يستحسنون إثبات هذه اللغة بهذين البيتين المجهولين، ولا يستحسنون إثباتها بقراءة حمزة ومجاهد، مع أنهما كانا من أكابر السلف في علم القرآن".[٣]

٢- النحوي موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش الحلبي (ت: ٦٤٣) ذكر أن أكثر النحويين ضعفوا قراءة حمزة، وردها ابن المبرد وقال: لا تحل القراءة بها. ثم عقب على ذلك بقوله: "وهذا القول غير مرضي من أبي العباس (هو ابن المبرد) لأنه قد رواها إمام ثقة ولا سبيل إلى رد ثقة، مع أنه قد قرأتها جماعة

---

[١] الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: ج١، ص٤١٨.

[٢] هذا نص كلام شيخ الإسلام الإمام البكري ابن الجوزي – رحمه الله – في تلبيس ابليس: ٣٥٥.

[٣] الرازي، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): ج٩، ص١٦٤.

من غير السبعة كابن مسعود وابن عباس – وذكر سبعة من التابعين أيضاً –رضي الله عنهم جميعاً– وإذا صحت الرواية لم يكن سبيل إلى ردها. ثم شرع في توجيهها من حيث العربية".[١]

٣- إمام النحاة الإمام ابن مالك (ت: ٦٧٢) اعتمد قراءة حمزة في جواز عطف المظهر (الأرحام) على المضمر المجرور في (به) من غير إعادة الجار، فقال في ألفيته الشهيرة:

وَعَوْدُ خافضٍ لدى عطفٍ على ... ضميرِ خفضٍ لازماً قد جُعلا

وليس عندي لازماً، إذ قد أتى ... في النثر والنظم الصحيح مُثْبتا

قال ابن عقيل في شرح الألفية: "أي جعل جمهورُ النحاة إعادة الخافض –إذا عطف على ضمير الخفض– لازماً، ولا أقول به لورود السماع نثراً ونظماً، بالعطف على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض. فمن النثر قراءة حمزة".[٢]

٤- المفسر النحوي أبو حيان (ت: ٧٥٤) رد على الطاعنين بكلام قاسٍ متين، يتناسب مع شناعة تلك الزلة المنكرة في الدين، فقرر صحة القراءة وفصاحتها في اللغة سماعاً وقياساً، ومن ادعى اللحن في القراءة أو الغلط على حمزة فقد كذب، وأما قول ابن عطية: "وَيَرُدُّ عِنْدِي هَذِهِ الْقِرَاءَةَ مِنَ الْمَعْنَى وَجْهَانِ، فَجَسَارَةٌ قَبِيحَةٌ مِنْهُ لَا تَلِيقُ بِحَالِهِ، وَلَا بِطَهَارَةِ لِسَانِهِ. إِذْ عَمَدَ إِلَى قِرَاءَةٍ مُتَوَاتِرَةٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَرَأَ بِهَا سَلَفُ الْأُمَّةِ، وَاتَّصَلَتْ بِأَكَابِرِ قُرَّاءِ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ تَلَقَّوُا الْقُرْآنَ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ: عُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَابْنُ مَسْعُودٍ، وزيد بن ثابت. وَأَقْرَأُ الصَّحَابَةِ أُبَيُ بْنُ كَعْبٍ، عَمَدَ إِلَى رَدِّهَا بِشَيْءٍ خَطَرَ لَهُ فِي ذِهْنِهِ" وقال: "وَلَسْنَا مُتَعَبَّدِينَ بِقَوْلِ نُحَاةِ الْبَصْرَةِ وَلَا غَيْرِهِمْ مِمَّنْ خَالَفَهُمْ، فَكَمْ حُكْمٍ ثَبَتَ بِنَقْلِ الْكُوفِيِّينَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ لَمْ يَنْقُلْهُ الْبَصْرِيُّونَ، وَكَمْ حُكْمٍ ثَبَتَ بِنَقْلِ الْبَصْرِيِّينَ لَمْ يَنْقُلْهُ الْكُوفِيُّونَ، ".[٣]

---

[١] ابن يعيش، شرح المفصل: ج٣، ص٧٨-٧٩.

[٢] ابن مالك ،الألفية ومعها شرح ابن عقيل: ج٢، ص٢٣٩-٢٤٠.

[٣] أبو حيان، البحر المحيط: ج٢، ص١٤٧-١٤٨، ج٣، ص١٥٨-١٥٩.

٥- المفسر الخطيب الشربيني (ت: ٩٧٧) قال: "وأما حمزة فقرأ بالجر عطفاً على الضمير المجرور، وقول البيضاوي: وهو ضعيف. أي كما هو مذهب البصريين ممنوع، والقراءة به متواترة، فيجب أن يضعف كلام البصريين، ويرجع إلى كلام رب العالمين".[١]

٦- المفسر شهاب الدين الخفاجي (ت: ١٠٦٩) في حاشيته على تفسير البيضاوي قال معلقاً على تضعيف البيضاوي قراءة حمزة: "وهذه القراءة من السبعة المتصلة بالنبي -ﷺ- متواترة، فمثل هذا جسارة لا تليق بأحد، وحمزةُ -رحمه الله- أجل مما توهموه، ثم أفاض في توجيه القراءة من حيث العربية والمعنى".[٢]

٧- والمفسر الألوسي (ت: ١٢٧٠) قال: "أول من شنع على حمزة في هذه القراءة أبو العباس المبرد، حتى قال: لا تحل القراءة بها. وتبعه على ذلك جماعة منهم ابن عطية، وزعم أنه يردها وجهان. وأنت تعلم أن حمزة لم يقرأ كذلك من نفسه، وهو أحد القراء السبع الذين قال أساطين الدين: إن قراءتهم متواترة عن رسول الله -ﷺ- فالتشنيع على هذا الإمام في غاية الشناعة، ونهاية الجسارة والبشاعة، وربما يخشى منه الكفر". ثم شرع في توجيه القراءة مبنىً ومعنىً.[٣]

نعم لولا عذر الجهل في الطاعنين بالمتواتر من النقل لحكم عليه بالكفر، قال الإمام ناصر الدين ابن المنيِّر (ت: ٦٨٣): "ولولا عُذْرُ أن المنكِرَ ليس من أهل الشأنين، أعني علم القراءة وعلم الأصول، ولا يعد من ذوي الفنين المذكورين لخيف عليه الخروج من ربقة الدين، وأنه على هذا العذر لفي عُهدة خطرة، وزلة منكرة تزيد على زلة من ظن أن تفاصيل الوجوه السبعة فيها ما ليس متواتراً، فإن هذا القائل لم يثبتها بغير النقل وغايته أنه ادعى أن نقلها لا يشترط فيه التواتر. وأما الزمخشري فظن أنها تثبت بالرأي غير موقوفة على النقل. وهذا لم يقل به أحد من المسلمين"[٤]

وبالختام فليست القراءات التي قرأ بها القراء العشرةُ الكرامُ إلا القرآن الذي طريقه السماع المتواتر عن نبينا -عليه الصلاة والسلام- فالقراءات تتبع النزول لا القياس، وهي سنة يأخذها الْآخِرُ عَنِ الْأَوَّلِ فَاقْرَءُوا كما

---

[١] الخطيب الشربيني، السراج المنير في الإعانة على تفسير معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: ج١، ص٢٧٩.
[٢] شهاب الدين الخفاجي، حاشيته على تفسير البيضاوي، المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي: ج٣، ص٩٧.
[٣] الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٤/١٨٤-١٨٥.
[٤] ابن المنيِّر، الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الإعتزال: ج٢، ص٥٣-٥٤.

عُلِّمتموه، كما ثبت ذلك عن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب وكاتبِ الوحي زيد بن ثابت، وعن ابن المنكدر، وعروة بن الزبير، وعمر بن عبد العزيز، وعامر الشعبي من التابعين – رضي الله عنهم أجمعين.[١]

ولذلك لا يجوز الترجيح بين القراءات، ولا تفضيل قراءة على قراءة، ومن باب أولى لا يجوز بينها التصحيح والتضعيف، ولا القبول والرد، فالكل كلام الله الصمد.

قال الإمامان الزركشي في البرهان والسيوطي في الإتقان: "حكى أبو عمر الزاهد عن الإمام المحدث إمام النحو ثعلب[٢] قال: إذا اختلف الإعراب في القرآن عن السبعة لم أفضل إعراباً على إعراب في القرآن، فإذا خرجت إلى كلام الناس فضلت الأقوى". وعن الإمام النحاس قال: "الديانة تحظر الطعنَ على القراءة التي قرأ بها الجماعة، ولا يجوز أن تكون مأخوذة إلا عن النبي –ﷺ–. فهما قراءتان حسنتان لا يجوز أن تُقَدَّمَ إحداهما على الأخرى". وقال أيضاً: "السلامة عند أهل الدين أنه إذا صحت القراءتان عن الجماعة ألا يقال أحدهما أجود لأنهما جميعاً من النبي–ﷺ– فيأثم من قال ذلك، وكان رؤساء الصحابة ينكرون مثل هذا –رضي الله عنهم–".[٣]

وبهذا تختلف قراءة القراء عن فقه الفقهاء، فالقراءة مبناها على السماع، وكلها كلام رب الأرض والسماء. أما فقه الفقهاء فقائم على اجتهاد العلماء، وفيه التفاضل والتفاوت والترجيح بلا نزاع.

وأما فيما يتعلق بتوجيه قراءة الإمام حمزة من حيث المعنى وبيان الصلة بينها وبين بقية قراءة القراء العشر الكرام فمبسوط في كتب التفسير[٤]، وفقنا الله الكريم للعلم المستنير.

---

[١] كما عند ابن الجزري، في النشر في القراءات العشر: ج١، ص١٧.

[٢] ترجمته عند الخطيب البغدادي في، تاريخ بغداد: ج٥، ص٢٠٤–٢١٢. وفيه يقول الخطيب: ثقة حجة، دين صالح، مشهور بالحفظ.

[٣] الزركشي، البرهان: ج١، ص٢٣٩–٢٤٠، والسيوطي، الإتقان: ج١، ص٢٨١.

[٤] الرازي، التفسير الكبير للإمام: ج٩، ص١٦٤–١٦٥، وتفسير القرطبي: ج٥، ص٤–٥، الألوسي، وروح المعاني: ج٤، ص١٨٤–١٨٥.

نموذج من تفسير الشيعة

سأخص بالكلام في هذا المطلب فيمن لم تكتمل فيه أهلية التفسير لكنه جمع إلى ذلك سوء القصد في التأويل، فليس في العير ولا في النفير، وهو متعثر في المدلول والدليل، يتكلم عن عمد بالأباطيل، وهمه الأول والأخير التلاعب بشرع الله الجليل، أظهر الإنتساب إلى الإسلام ليكيد له ويضل أهله باسمه، لأن ذلك أخفى لمكره، وأدعى لقبول تلبيسه، كما هو حال الشيعة الروافض، وغلاة الصوفية، والقاديانية، وجميع فروع الباطنية المنحرفين.

وسأقتصر على نموذج واحد، من هؤلاء أثبت من خلاله كيف تلاعبوا بالقرآن الكريم وبمفاهيمه عن قصد ذميم، وأخطرهم في زماننا الشيعة الروافض الذين جمعوا ما تفرق في غيرهم من طامات وضلالات، ولا أشنع مما أتى به الروافض.

وهم شر من الخوارج وأشد ضررا على الدين وأهله وأبعد عن شرائع الإسلام من الخوارج والحرورية، فالخوارج لم يكن فيهم زنديق ولا غال، والرافضة فيهم من الزندقة والغالية من لا يحصيه إلا الله –جل وعلا– والخوارج يتبعون القرآن بمقتضى فهمهم فهم يتبعون القرآن الكريم بآرائهم ويدعون اتباع السنة التي يزعمون أنها تخالف القرآن الكريم، وهؤلاء إنما يتبعون الإمام المعصوم عندهم الذي لا وجود له في الحقيقة ويزعمون أنه لا يخفى عليه شيء من العلم ولا يخطئ لا عمداً ولا سهواً، فالروافض أكذب فرق الأمة فليس في الطوائف المنتسبة إلى القبلة أكثر كذباً منهم، ولا أكثر تصديقاً للكذب وتكذيباً للصدق منهم، وسيما النفاق فيهم أظهر منه في سائر الناس، ولهذا يستعملون التقية ومبدأ الرفض كان من عبد الله بن سبأ الذي أظهر الإسلام وأبطن اليهودية.[1]

وهذه الفرقة الزائغة كانت تتستر ولا تجهر، لكن رفعت قرونها وأظهرت جعجعتها في هذا الحين، لقلة العلم النافع، وقلة العلماء الربانين، فهي سرطان العصر بيقين، وشرها أشنع شر المعاصرين، وهي وإن كانت قديمة في ضلالها، فحال بقية الضلالات كحالها، لكن تتغير الأساليب، حسبما يرونه مناسباً لنشر الأكاذيب.

وسأستعرض موقف الرافضة من القرآن الكريم، وكيف تلاعبوا في تفسيره.

---

[1] ملخص من جواب ابن تيمية عن سؤال عن الرافضة، ضمن مجموع الفتاوى: ج٢٨، ص٤٦٨–٥٠١.

انحصر موقفهم نحو القرآن الكريم، في موقفين :

الموقف الأول: القرآن الكريم محرف من قبل الصحابة الكرام، وفيه تغيير وزيادة ونقصان. وعليه الأكثر، والقول بالتحريف متواتر عندهم، فقد زوروا عن الأئمة الكرام الطيبين أكثر من ألفي رواية في تقرير ذلك، جمع أكثرها منسوبة إلى مصادرها في كتاب حافل بالضلالات حسين بن محمد تقي النورسي الطبرسي، توفي سنة ١٣٢٠هـ، سمى كتابه: (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب)، يقع في ٣٤٣ صفحة، فرغ منه سنة ١٢٩٢هـ، وثارت غضبة في العالم الإسلامي لما طبع الكتاب، فلامه أصحابه حيث أظهر حقيقتهم وجمع ما تفرق في كتبهم، ولا يريدون أن يطلع عليها أحد –لا سيما إذا كانت مجموعة– إلا شيعتهم ومن قلدهم، فألف كتاباً آخر في دفع الإشكالات عن كتاب فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب، وقد نقل في عشر صفحات متتالية أسماء كبار مراجعهم القائلين بالتحريف، ثم سرد في أكثر من مئة صفحة، أكثر من ألف آية على ترتيب المصحف وقع فيها التحريف.

إن آثار الشيعة المروية في تحريف القرآن الكريم تدل دلالة واضحة على أن التحريف في أعيان المنزل إعجازاً، –أي: نفس القرآن حقيقة– كما هو نص الطبرسي في فصل الخطاب[١] وسأقتصر على خبر نقله من كتاب الكافي لشيخ الشيعة وعالمهم ثقة الإسلام عندهم، أحمد بن إبراهيم الكُليني –بضم الكاف وإمالة اللام– المتوفى سنة ثمان وعشرين وثلاثة مئة.[٢] عن الإمام الباقر –رحمه الله– قال: "ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب، ما جمعه وحفظه كما نزله الله تعالى إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده".[٣]

وفي الكافي: "عن سالم بن سلمة قرأ رجل على أبي عبد الله – جعفر الصادق عليه السلام – وأنا أستمع حروفاً من القرآن ليس على ما يقرؤها الناس، فقال أبو عبد الله: كفَّ عن هذه القراءة اقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم فإذا قام القائم –عليه السلام– قرأ كتاب الله عز وجل على حده وأخرج المصحف الذي كتبه علي –عليه السلام– وقال: أخرجه علي –عليه السلام– إلى الناس حين فرغ منه وكتبه فقال: لهم هذا كتاب الله

---

[١] الطبرسي، فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب: ص١٤٦.

[٢] ترجمته في سير أعلام النبلاء: ج١٥، ص٢٨٠.

[٣] الكليني، الكافي: ج١، ص٢٢٨، كتاب الحجة.

عز وجل كما أنزله الله على محمد –ﷺ– وقد جمعته من اللوحين فقالوا: هو ذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن لا حاجة لنا فيه، فقال: أما والله ما ترونه بعد يومكم هذا أبداً، إنما كان علي أن أخبركم حين جمعته لتقرؤوه".[1]

والموقف الثاني: يتلخص أمرين اثنين:

أولهما: حملوا الآيات التي نزلت في شر خلق الله –عز وجل– على الصحابة الكرام، بل وعلى خيارهم وأفضلهم، وهم أطيب وأطهر خلق الله جل وعلا.

ثانيهما: فسروا الآيات النازلة في مدح الصحابة الكرام بما يدل على كفرهم ونفاقهم.

وهذا الموقف لا يقل خطورة عن الأول، إن لم يكن أشد منه، –ولا يسلم شيعي منه، إن نفى الأول عنه تقية، فهو يجهر ويجاهر بالثاني حسب زعمه حمية دينية– لأن الموقف الأول موقف الزاعمين لتحريف كلام رب العالمين، يُنفضح حالهم أمام الجميع، بأنهم لا يؤمنون بالله العظيم، أما الموقف الثاني بشقيه فهم في الظاهر مفسرون، ويبيّنون مراد الله –ﷻ–فيخدعون ويخادعون.

ومن المعلوم أن التلاعب بالنص نوعان. تلاعب بلفظه، وتلاعب بمعناه. والكل تلاعب وكفر، إن المتأول فيما لا يحتمله النص القرآني لا يعذر ويقام عليه الحدّ، كما هو الحال فيمن وقع بنوع تأويل في شرب الخمر، تعلقاً بقول الله –عز وجل– {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}[المائدة:٩٣] كما فهم ذلك الصحابة الكرام –ابن عباس وعلي، وعمر –رضي الله عنهم –.[2]

وهذه أمثلة توضح تحريف الشيعة لمعنى القرآن الكريم، وتبين أنهم أشنع أصناف المحرومين من موهبة الله الكريم.

قال الله –جل ثناؤه–:{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلا}[النساء:١٣٧] والآية ظاهر معناها في الكفار سواء كانت فيمن آمن من اليهود بنبي الله موسى –

---

[1] الكليني، الأصول من الكافي: ج٢، ص٦٣٣.

[2] ابن العربي، إيضاح ذلك في أحكام القرآن: ج٢، ص٦٥٨ – ٦٦١، تفسير القرطبي: ج٦، ص٢٩٦ – ٢٩٩.

على نبينا وعليه الصلاة والسلام– ثم كفروا بعبادتهم العجل، ثم آمنوا بنبي الله موسى، ثم كفروا بنبي الله عيسى، ثم ازدادوا كفراً بكفرهم بنبينا –ﷺ – أو كانت في المنافقين، الذين أظهروا الإيمان وكفروا في السر، مرة بعد أخرى، فازدادوا كفراً بثباتهم عليه إلى الموت.[١]

فماذا قال علماء الشيعة حول تأويل هذه الآية الكريمة. يروي الكليني في الكافي بسنده إلى أبي عبد الله الإمام جعفر الصادق –رحمه الله– قال: "نزلت في فلان وفلان، آمنوا بالنبي –ﷺ– في أول الأمر وكفروا حيث عرضت عليهم الولاية، حين قال النبي –ﷺ–: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، ثم آمنوا بالبيعة لأمير المؤمنين، ثم كفروا حيث مضى رسول الله –ﷺ– فلم يقروا بالبيعة، ثم ازدادوا كفراً بأخذهم من بايعه بالبيعة لهم لهم فهؤلاء لم يبق فيهم من الإيمان شيء" وبهذا الإسناد عنه في قول الله –جل وعلا– في قول الله –جل وعلا: {إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُم} [محمد:٢٥] فلان وفلان وفلان، ارتدوا عن الإيمان في ترك ولاية أمير المؤمنين"[٢]، ومثل هذا وزيادة عليه في الروايات في تقرير ذلك في تفسير الصافي[٣] والردة ليست قاصرة على هؤلاء الثلاثة الأخيار عند الشيعة الاشرار، بل إنها شاملة لجميع الصحابة الكرام إلا ثلاثة فقط. ففي الكافي عن الامام الباقر –رضي الله عنه– قال: "كان الناس أهل ردة بعد النبي –ﷺ– إلا ثلاثة فقلت: من الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود وابو ذر الغفاري وسلمان الفارسي".[٤]

وفي تفسير الصافي، في تفسير قول ربنا الرحمن: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً. يَاوَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً. لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً}[الفرقان: ٢٧–٢٩] نقلاً عن القمي: "الظالم: الأول، والخليل الثاني، والذكر: يعني الولاية. وكان الشيطان الثاني ثم روى خطبة طويلة عن أمير المؤمنين سيدنا علي –رضي الله عنه– وفيها: تبرؤ الأول والثاني

---

[١] كما في تفسير النسفي: ج١، ص٣٦٩ –٣٧٠، والسراج المنير: ج١، ص٣٣٩.

[٢] الكليني، الأصول من الكافي: ج١، ص٤٢٠، وفيه تكرار فلان وفلان وفلان، وأحياناً الأول وصاحبه والثالث، وأحياناً يضم إليهم أبا عبيدة –رضي الله عنهم– في كل ما هو قبيح، كما في: ج١، ص١٩٥، ٤٢١، ج٨، ص٣٣٤.

[٣] التفسير الصافي: ج١، ص٥١١، ج٥، ص٢٨.

[٤] الكافي: ج٨، ص٢٤٥.

من بعضهما، وعلي هو الذكر الذي كفرا به"[1]. وللإمام ابن قتيبة، والإمام أبي بكر الباقلاني رد على ذلك الهذيان.[2]

وأما تفسيرهم للأيات التي نزلت في مدح الصحابة الكرام بما يدل على ذمهم فكثير كثير. ومثال ذلك قول ربنا الجليل: {إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيم} [التوبة:٤٠] وفيها من المدح والثناء مالم يمدح بمثلها بشر على الإطلاق خلا السادة الأنبياء –على نبينا وعليهم جميعاً صلوات الله وسلامه– وهي نازلة في سيد الصديقين –رضي الله عنه–.

وسأعرض تأويل المحرومين من الوهب لهذه الآية، ثم أقابله بتوجيه من فتح الله عليه ووهبه حسن الفهم في كتابه العظيم.

يقول عبد الله بن محمد رضا شبّر الكاظمي النجفي[3]، في تفسيره المختصر في مجلد واحد: "قوله عز وجل: { لِصَاحِبِهِ} لا مدح فيه، إذ قد يصحب المؤمن الكافر، كما قال الله –عز وجل–: {قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً} [الكهف:٣٧]، ﴿ لاَ تَحْزَنْ ﴾ فإنه خاف على نفسه واضطرب حتى كاد أن يدل عليهما، فنهاه –ﷺ– عن ذلك ﴿ فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ﴾ على الرسول –ﷺ– وفي إفراده بها ههنا مع اشتراك المؤمنين معه حيث ذكرت ما لا يخفى. وَجَعْلُ الهاء لصاحبه ينفيه كونها للرسول –ﷺ– قبل وبعد"[4]. كل هذا التعريض الفاحش البذيء وتفسيره مختصر جداً، أما متوسطات كتبهم والمطولات ففيها من البليات ما يُستحى من ذكره. يقول الكاشاني عن الباقر –رحمه الله– "أن رسول الله –ﷺ– أقبل يقول لأبي بكر في الغار: اسكن فإن الله معنا وقد أخذته الرعده وهو لا يسكن، فلما رأى رسول الله –ﷺ– حاله قال له: تريد أن أريك أصحابي من الأنصار في مجالسهم يتحدثون وأريك جعفر وأصحابه في البحر يغوصون، فأضمر تلك الساعة أنه ساحر، فأنزل الله سكينته أمنته التي تسكن إليها القلوب". وروى العياشي عنه: "أنهم يحتجون

---

[1] التفسير الصافي: ج٤، ص١١.

[2] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن: ٢٦٠–٢٦٣، والباقلاني، نكت الإنتصار: ١٢٤–١٢٥، والإنتصار: ج٢، ص٥٢١.

[3] توفي سنة ١٢٤٢هـ، الزركلي، الأعلام: ج٤، ص١٣١ وفيه: مجتهد شيعي إمامي.

[4] تفسير القرآن الكريم، ويسمى (بالوجيز في تفسير القرآن).

علينا بقول الله: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ ومالهم في ذلك حجة، فو الله لقد قال الله: ﴿فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ وما ذكره فيها بخير. قيل هكذا تقرؤنها؟ قال هكذا قرأتها"[1]. هذا ما نقله فيلسوف الفقهاء وفقيه الفلاسفة حجة عصره ووحيد دهره كما ينعتونه بتلك النعوت المزخرفة، ولا حاجة لمناقشة ذلك الهراء، فهو محض افتراء. لكن فقط سأقول: من أين علمتم أن سيدنا أبا بكر –رضي الله عنه– قد أضمر تلك الساعة أنه ساحر؟! وجوابهم معلوم. قال الكليني في الكافي –باب في أن الأئمة عليهم السلام يعملون الغيب ثم روى آثاراً كثيرة في تقرير ذلك منها عن سعيف التمار قال: "كنا مع أبي عبد الله –جعفر الصادق رحمه الله– جماعة من الشيعة في الحجر فقال علينا عين فالتفتنا يمنة ويسره فلم نر أحد فقلنا ليس علينا عين قال ورب الكعبة ورب البيت ثلث مرات لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما انى اعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما لان موسى والخضر أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما هو كائن إلى يوم القيمة وان رسول الله أعطى علم ما كان وما هو كائن إلى يوم القيمة فورثناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وراثة".[2] نعوذ بالله من هذا الضلال المبين.

وقد حمل أئمتنا الموهوبون هذه الآية على أحسن وجه، وبينوا مدح الله فيها لصديق هذه الأمة –رضي الله عنه– من وجوه كثيرة، أقتصر على خمسة منها باختصار.

أولاً: صحبة نبينا –ﷺ– لسيدنا أبي بكر –رضي الله عنه– في وقت الشدة دليل واضح بين على مقدار ما بينهما من ألفة ومودة، فهنيئاً لصديق الإسلام بذلك الوسام: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾.

ثانياً: ضمير ﴿مَعَنَا﴾ يعود على سيد النبين وسيد الصديقين. –على نبينا وآله وصحبه صلوات الله وسلامه– وما جمع الله بين النبي وغيره في ضمير إلا بينه وبين أقرب الخلق إليه وأحبهم له في حياته وموته – ﷺ.

ثالثاً: حزن أبي بكر الصديق وقلقه وخوفه على نبينا –ﷺ– وشفقته عليه، كما يدل على ذلك حاله في مسير الهجرة أمامه وخلفه ويمينه وشماله، وكما يدل على ذلك جميع مراحل حياته نعم هو دون نبينا الكريم –

---

[1] التفسير الصافي: ج٢، ص٣٤٥.

[2] الكليني، الكافي، ج١، ص٢٥٥ – ٢٦٠-٢٦١.

ﷺ– فالله الكريم يثبت نبيه الأمين –ﷺ– والحبيب الحميم يثبت حبيبه الحميم –على نبينا وصاحبه صلاة وسلام رب العالمين–.

رابعاً: ضمير ﴿عَلَيْهِ﴾ في إنزال السكينة يعود على صديق هذه الأمة في أرجح الإحتمالين فهو الذي حزن على النبي –ﷺ– وقلق من أجله، وثبته نبينا –ﷺ– فاطمئن قلبه وسكن روعه بإنزال السكينة عليه من ربه. ويكون قوله –جل وعلا–: ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ معطوفاً على قوله –جل وعلا–: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ﴾. ولو قيل يعود الضمير على نبينا الجليل –ﷺ– فدلالة ذلك على المدح أظهر عند النبيل، لأن التابع له حكم المتبوع وهما بمنزلة شخص واحد. وفي ذلك من الدلالة على تمام الصلة بينهما، كما هو حالهما –صلى الله وسلم وبارك على نبينا وصاحبه–.

خامساً: العتاب في قول الكريم الوهاب ﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ ﴾ لجميع أهل الأرض، وما سلم منه إلا هذا الصديق الفرد. وقد بسط الإمام الألوسي توضيح هذه الأمور الخمسة، ثم ختمها بقوله: "وبالجملة إن الشيعة قد إجتمعت كلمتهم على الكفر بدلالة الآية على فضل الصديق –رضي الله عنه– ويأبى الله إلا أن تكون كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمة الله هي العليا".((١))

وبالختام فهذان الأمران في تفسير القرآن، يجعلان هذا المسلك ومسلك القول بتحريف القرآن الكريم سيان فهما صنوان، وفي الحقيقة لا يختلفان، وللشيعة انحراف كثير في التفسير، لا يتقيدون بالطرق السوية في تفسير كلام رب البرية، والشيء من معدنه لا يستغرب، فهم أجهل الناس في العقليات، وأكذبهم في النقليات، ومن وصل إلى هذه الدركة فهو أحط من العجماوات قال الكاشي في تفسيره الصافي في تفسير سورة الرحمن: "وروي عن الصادق أن المشرقين رسول الله وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما، والمغربين الحسن والحسين وروي عن الصادق عليه السلام قال علي وفاطمة صلوات الله عليهما بحران عميقان لا يبغي أحدهما على صاحبه، يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان قال الحسن والحسين عليهما السلام وفي المجمع عن سلمان الفارسي وسعيد بن جبير وسفيان الثوري أن البحرين علي وفاطمة عليهما السلام والبرزخ محمد ﷺ واللؤلؤ والمرجان الحسن

(١) الألوسي، روح المعاني: ج١٠، ص٩٦ – ١٠٤.

والحسين عليها السلام"[1] وفي الكافي للكليني عن جعفر الصادق –رحمه الله– اجاب من سأله عن والشمس وضحاها قال: "الشمس رسول الله –صلى الله عليه وآله– به أوضح الله عز وجل للناس دينهم، قال: قلت: القمر إذا تليها؟ قال: ذاك أمير المؤمنين –عليه السلام– تلا رسول الله –صلى الله عليه وآله– ونفثه بالعلم نفثا، قال: قلت: –والليل إذا يغشيها؟ قال: ذاك أئمة الجور الذين استبدوا بالامر دون آل الرسول –صلى الله عليه وآله– وجلسوا مجلسا كان آل الرسول أولى به منهم فغشوا دين الله بالظلم والجور فحكى الله فعلهم فقال: والليل إذا يغشيها قال: قلت: والنهار إذا جليها؟ قال: ذلك الامام من ذرية فاطمة –عليها السلام– يسأل عن دين رسول الله –صلى الله عليه وآله– فيجلّيه لمن سأله فحكى الله عز وجل قوله فقال: والنهار إذا جليها".[2]

ومسلك هذه الفرقة الزائغة نموذج واضح لمن لم تكتمل فيه أهلية التفسير، وجمع إلى ذلك سوء القصد في التأويل، فاحرم موهبة الله الجليل. وبقية أنواع الزائغين لا يخرجون عن هذا المسلك الذميم في فهم القرآن الكريم، فألسنتهم متشابهة في التلاعب بكلام رب العالمين.

---

[1] الكاشي، التفسير الصافي، ج٥، ص١٠٨-١٠٩.

[2] الكليني، الكافي، ج٨ ص٥٠.

نموذج من تفسير الحداثيين

معنى الحداثة في حقيقة وضعها اللغوي: الشيء الجديد الحديث خلاف القديم العتيق. فهي ترادف البدعة تماماً، فكلاهما يدل على الإحداث والاختراع والتجديد والإيجاد والإنشاء، لما لم يعهده الناس، ولم يألفوه فيما بينهم في المعاش، فهو غريب عليهم ليس له في معايشهم مثال ولا قياس.[١]

وفي التنزيل من كلام ربنا الجليل، حكاية كلام الخضر لنبي الله موسى –على نبينا وعليهما صلوات الله وسلامه–:{قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلاَ تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا}[الكهف:٧٠] أي: أجدد، فلا تكن أنت البادي بالسؤال عما تراه، بل اصبر حتى أكون أنا المبتدي بذلك وبيانه.[٢]

والجديد الحادث، والمُخْتَرَعُ المُبْتَدَعُ، لا يُحمد ولا يذم مطلقاً، فما تعلق منه بأمور الدنيا، وفيه للناس منفعة فهو حسن، وبالنية الحسنة يكون قربة إلى ربنا الكريم الأكرم. وإن كان فيه ضرر على الخلق، فهو محرم بحق.

وأما الجديد الحادث، والمُخْتَرَعُ المُبْتَدَعُ، في الدين، فإن كان بإذن الشرع الحكيم، قولاً أو فعلاً، تصريحاً أو تلميحاً، فهو من الدين، وإن سمي محدثاً وكان بدعة، وقد قال الخليفة الراشد الملهم عمر بن الخطاب– رضي الله عنه–: "نعمت البدعة هذه".[٣]

وأما إذا لم تكن بإذن من شرعنا القويم، قولاً أو فعلاً، تصريحاً أو تلميحاً، فهي بدعة ضلالة مذمومة. قال الشافعي: "المحدثات من الأمور ضِرْبَانِ: أَحَدُهُمَا: مَا أُحْدِثَ يُخَالِفُ كِتَابًا أَوْ سَنَةً أَوْ أَثَرًا أَوْ إِجْمَاعًا، فَهَذِهِ

---

[١] كما يفهم هذا من: لسان العرب: ج٢، ص٤٣٦ (حدث) و: ج٣، ص٣٥١ (بدع)، ومعجم مقاييس اللغة: ج٢، ص٣٦ (حدث) و: ج١، ص٢٠٩ (بدع).

[٢] كما في عمدة الحفاظ، تفسير أشرف الألفاظ: ١٢٢ (حدث) وطالع تفسير النسفي: ج٣، ص١٣٩.

[٣] الأثر متعلق بصلاة التراويح، وهو في صحيح البخاري، رقم: ٢٠١٠، والموطأ: ج١، ص١١٤، والأثر في جامع الأصول، رقم: ٤٢٢٢.

لَبِدْعَةُ الضَّلَالَةِ. وَالثَّانِيةُ: مَا أُحْدِثَ مِنَ الْخَيْرِ لَا خِلَافَ فِيهِ لِوَاحِدٍ مِنْ هَذَا، فَهَذِهِ مُحْدَثَةٌ غَيْرُ مَذْمُومَةٍ وَقَدْ قَالَ عُمَرُ فِي قِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ: نِعْمَتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ يَعْنِي أَنَّهَا مُحْدَثَةٌ لَمْ تَكُنْ، وَإِنْ كَانَتْ فَلَيْسَ فِيهَا رَدٌّ لِمَا مَضَى"[1]

وقد أشار نبينا الكريم –ﷺ– إلى البدعة المذمومة في الدين، ووصفها بأنها خارجة عن هديه القويم، كما ثبت في المسند والصحيحين، من رواية أمنا عائشة –رضي الله عنها– قالت: قال رسول الله –ﷺ–: "مَنْ أَحْدَثَ في أمرنا هذا ما لَيْسَ منهُ فهو رَدٌّ" وفي رواية "منْ عَمِلَ عملاً ليس عليه أمرُنا، فَهو ردٌّ".[2]

ويراد بالحداثة عند الحداثيين المعاصرين: تمرد على الواقع، بزلزلة عنيفة، وانقلاب شامل لتغير المجتمع، إنه انقلاب كامل على ما كان، وما يكون، وما هو كائن، إنه ثورة على الإسلام قرآناً، وسنة، وفقهاً، وأئمة.

وهي أنواع: ١–حداثة علمية. ٢– حداثة ثورية. ٣– حداثة فنية. ٤– حداثة تقليدية.

وإن تظاهروا بالشعر والعناية بالأدب، وتغلغلوا في النوادي الأدبية، فهم أعظم تنظيم في هذا الحين، وحتماً لهم من يديرهم من المختفين، كما هو حال من يسمون أنفسهم (بالبنائيين الأحرار) وهم يمكرون بعباد العزيز الجبار، آناء الليل وأطراف النهار.[3]

نعم قد ينضم إليهم، ويتزيا بزيهم، ويكون بوقاً ينعق ببعض أفكارهم، وإن لم يكن في الحقيقة منضماً معهم، ولا يعفيه ذلك من انسحاب الحكم عليه معهم.

وهذا مثال يوضح حال بعض الحداثيين، ثم أتبعه ببعض نماذج من تفسيرهم لكلام الله العظيم. قال: الشيخ عوض بن محمد القرني منتقداً مقالاً كُتب في جريدة الرياض –العدد ٦٦٥٢– عن (الرؤية الإبداعية في شعر صلاح عبد الصبور) "لن أنقل مما ورد فيها من الغثاء والبلاء إلا مطلعها لنعلم أي نظرة تنظرها صحفنا

---

[1] قول الشافعي في تقسيم البدع في الشرع إلى قسمين، ثابت عنه في: المدخل إلى السنن الكبرى، رقم: ٢٥٣، والمدخل إلى علم السنن، رقم: ١٣٨٦، ومناقب الإمام الشافعي: ج١، ص٤٦٩، وحلية الأولياء: ج٩، ص١١٣.

[2] أحمد، المسند: ج٦، ص١٧٣. وصحيح البخاري، رقم: ٢١٤٢، معلقاً بصيغة الجزم، ووصله في، رقم: ٦٩٦٣، وصحيح مسلم، رقم: ١٧١٨، وسنن أبي داود، رقم: ٤٦٠٦، وهو في جامع الأصول، رقم: ٧٥.

[3] ولمعرفة حقيقتهم طالع كتاب: الحداثة في ميزان الإسلام للشيخ عوض بن محمد القرني– فرَّج الله الكريم عنه وعن المسلمين– وكتاب الحداثة والتراث. د. محمد مصطفى هدارة. وكتاب الانحراف العقدي في آداب الحداثة وفكرها. د.ناصر سعيد الغامدي.

إلى صلاح عبد الصبور وأمثاله، تقول الرياض: صلاح عبد الصبور يمثل الريادة الحقيقية لثورة التجديد في الشعر العربي المعاصر، وهي ريادة لم تنشأ من فراغ ، وإنما كانت معطيات حياة وثقافة . وفكر صلاح عبد الصبور يؤهله للقيام بهذا الدور الذي لا يقتصر على مصر، وإنما يمتد فيشمل الساحة الشعرية في الوطن العربي . خلّف صلاح عبد الصبور ثروة إبداعية ونقدية أثرى بها أدبنا العربي، وخلف مدرسة ينتظم في أعطافها شعراء المدرسة المجددة في العالم العربي. ولمعرفة بعض آثار صلاح عبد الصبور هذا على ساحتنا، ننقل لك بعض ما قاله الناقد الحداثي شاكر النابلسي في جريدة عكاظ العدد ٧٤٨٩ الصفحة ٦، عند تعليقه على العرض المسرحي الذي أقامته جمعية الثقافة والفنون في القصيم لقصيدة الثبيتي (تغريبة القوافل والمطر) يقول النابلسي : أود أن أشير إلى أن هذه القصيدة قد لخصت كثيراً من قصائد صلاح عبد الصبور. ثم يقول عن قصيدة أخرى للثبيتي : هذه القصيدة نَفَسٌ درامي يرد الثبيتي من جديد إلى بيادر صلاح عبد الصبور الشعرية المسرحية الفنية. وصلاح عبد الصبور زعيم الحداثيين العرب ورائد المبدعين عندهم، هو الذي يقول في ديوانه صفحة ٣٨: (والشيطان خالقنا ليجرح قدرة الله العظيم) وعنوان قصيدته في الصفحة ٤٧: (الإله الصغير) ويقول في صفحة ١٥١ : (ملاحنا ينتف شعر الذقن في جنون يدعو إله النقمة المجنون أن يلين قلبه، ولا يلين) (ينشده أبناؤه وأهله الأدنون، والوسادة التي لوى عليها فخذ زوجه أو ولدها محمداً وأحمدا وسيدا) (وخضرة البكر التي لم يفترع حجابها إنس ولا شيطان) (يدعو إله النعمة الأمين أن يرعاه حتى يقضي الصلاة، حتى يؤتي الزكاة، حتى ينحر القربان، حتى يبني بحُر ماله كنيسة ومسجداً وخان) ومن أراد أن يعرف صلاح عبد الصبور أكثر فليطالع ديوانه وشعره وكتبه ليعرف أي فكر وأي حياة يحب أهل الحداثة أن نعيشها".[١]

[١] الحداثة في ميزان الإسلام، ص ١٠٥-١٠٦.

نماذج من تفسير الحداثيين لكتاب الله العظيم.

ألف محمد شحرور كتاباً سماه: (الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة). أي لا صلة لها بالآثار الشرعية، ولا باللغة العربية، وكتابه مملوء بالطامات من جميع الاعتبارات، ومع ذلك يتجول شرقاً وغرباً في جميع الجهات، وتفتح له القنوات، وهذا مصداق ما أخبرنا به نبينا –ﷺ– كما في المسند وغيره عن أنس بن مالك –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله– ﷺ–: "إن بين يدي الساعة أياماً يُرْفع فيهن العلْم، وينزل فيهن الجهل، ويكثر فيهن الهَرْج قال: والهَرْجُ: القتل".[1]

فَلْنرَ ما قرر في تفسير قول الله–عز وجل–:{وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون}[النور:٣١] حيث يقسم الزينة إلى قسمين: الزينة الظاهرة، وهي ما ظهر من جسد المرأة بالخلق، أي كامل الجسد الظاهر كالرأس والبطن والظهر والرجلين وعلل ذلك بأن الله خلق الرجل والمرأة عراة دون ملابس، وهذا يجوز لكل الرجال رؤيته من المرأة، والقسم الثاني الزينة المخفية، وهي ما أخفاه الله في بنية المرأة وتصميمها، هذا القسم المخفي هو الجيوب، والجيب كما عرفه بأنه فتحة لها طبقتان لا طبقة واحدة وهو الخرق في الشيء، فالجيوب في المرأة لها طبقتان أو طبقتان مع الخرق، وهي ما بين الثديين وما تحتهما، وتحت الإبطين والفرج والإليتين، هذه كلها جيوب يجب على المرأة المسلمة أن تغطيها أمام الرجال الأجانب عنها غير المذكورين في الآية، أما المذكورون في الأية فلهم أن يروا حتى ما يُعرِّفه شحرور بالجيوب، وقال نعم يجوز للرجل أن يشاهد ابنته عارية، وليس له أن يقول لها حرام،

---

[1] أحمد، المسند: ج٣ن ص٢٢٠، ومسند البزار، كما في كشف الأستار، رقم: ٣٣٧٣، والطحاوي، شرح مشكل الآثار، رقم: ٤٦٥، ٤٦٦، ومعجم الطبراني الأوسط: ٣٢٧٠، وهو في مسند أبي يعلى كما في مجمع الزوائد: ٢٨٣/٧، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث في رواية البزار.

لأن هذا جائز، ولكن له أن يقول لها عيب من باب الحياء والعرف، وأن على المرأة ألا تتحرج من محارمها لأنهم مدرجين في الآية وحكمهم كزوجها.[١]

ويكفي في مثل هذا الهراء حكايته، وأعجب منه كيف سولت له جرأته على كتابة ما يستحى منه؟ ورحمة الله على ابن الجوزي عندما عَلَّق على ما يشبه هذا من الهراء في كتابه الموضوعات. فيقول: "مثل هذا الحديث لا يحتاج إلى اعتبار رواته، لأن المستحيل لو صدر عن الثقات رُدَّ، ونسب إليهم الخطأ. وقال: هذا حديث لا يخفى على الصبيان الجهلة أنه موضوع، فلا بارك الله فيمن وضعه، فما أقبح ما فعل؟! وكيف اجترأ على الكذب على رسول الله -ﷺ-"[٢]!؟

ومما يشبه كتاب شحرور كتاب مصطفى محمود (القرآن محاولة لفهم عصري) حيث: يرى عند تفسير قول الله الجليل {قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ} [النور:٣٠] أن غض البصر أمر صعب في زمن الميني جيب والصدر العريان، والشعر المسترسل، ومجرد إرسال النظر لا ضرر منه، والضرر فيما يجري في القلب والعقل، فمن نظر إلى الجمال ورأى فيه الخالق الذي صور، فلا تكون نظرته حلالاً فقط، وإنما تكتب له حسنة، لأنه حين يرى بقلبه (الله) عند رؤيته الوجه الجميل، يمجد الخالق الذي صوره.[٣]

وقد فنّد مصطفى الحديدي الطير تلك الأوهام والخرافات في كتابه (اتجاهات التفسير في العصر الحديث).[٤]

---

[١] وللمزيد ينظر باقي أكاذيبه وتحريفه في ما يتعلق بهذه الآية وما يحل وما يحرم على المرأة في كتابه المليء بمثل هذه الترهات والمسمى: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، ص٦٠٤ – ٦١٤.

[٢] ابن الجوزي، الموضوعات: ج١، ص١٠٦، ٢٢٥، وقال في: ج٢، ص٥٠ "من شم ريح العلم، يعلم أن هذه الأحاديث موضوعة". وانظر مثل ما في كتاب شحرور من طامات ، في كتاب أسس الصحة النفسية للدكتور عبد العزيز القوصي. الذي يروج لفوضى الجنس. كما نعته بذلك الأستاذ المبارك: محمد محمد حسين في كتابه، حصوننا مهددة من داخلها: ٢٣٦. وهذا نقل واحد من ذلك الكتاب، لنعلم مدى ما فيه من ضلال: ص٤٥٠ يقرر عدم تحرج الأم من رؤية أولادها لها عارية ليكون عندهم وعي بالحياة الجنسية فيقول: "إذا كانت توقع على ابنها عقوبة شديدة إذا حاول أن يراها عارية، فإن هذا يوحي إليه بما يجب عليه تخاذه إزاء المسائل الجنسية من تحرز واشمئزاز..." ثم نقل في صفحة ٤٥٢: عن الفيلسوف العالمي (برتراند رسل) أنه قال: "إنه يجب أن يسمح للطفل من أول الأمر أن يرى والديه وإخوته وأخواته عراة كلما حدث ذلك بصورة طبيعية اعتيادية غير مقصودة، ولا يجوز أنْ يكون هناك إظهار للتحرج إزاء رؤيتهم عارين".

[٣] مصطفى محمود، القرآن محاولة لفهم عصري، ٨٥-٨٧.

[٤] مصطفى الحديدي، اتجاهات التفسير في العصر الحديث: ص١٩٣-١٩٩، وانظر رده عليه في تفسيره بأن عذاب جهنم رحمة، وأن ما جاء عن الجحيم معان مستحيلة، وهي من باب التمثيل: ص١٩٠-١٩٢.

ومما تقدم نعلم: حداثة الحداثيين تتعلق بأمر الدين، ومرد ذلك إلى رب العالمين، لأن كل ما يتعلق بالحلال والحرام، والخير والشر، والفضيلة والرذيلة مرده إلى الخالق الحكيم، فله الخلق والأمر، تبارك الله رب العالمين، وتقدمت الإشارة إلى ذلك في هذه الرسالة.[1]

وبذلك يظهر لنا حكم الحداثة والحداثيين، فهي ضلال مبين، وأصحابها متلبسون بأشنع بدعة في الدين، ووجودهم في هذا الزمان منذر بعقوبة ذي الجلال والانتقام، كما ثبت عن عبد الله بن عمرو– رضي الله عنهما– أن رسول الله –ﷺ– قال: "إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تُرْفَعَ الْأَشْرَارُ وَتُوضَعَ الْأَخْيَارُ، وَأَنْ يُخْزَنَ الْفِعْلُ وَالْعَمَلُ وَيَظْهَرَ الْقَوْلُ، وَأَنْ يُقْرَأَ بِالْمُثَنَّاةِ فِي الْقَوْمِ لَيْسَ فِيهِمْ مَنْ يُغَيِّرُهَا أَوْ يُنْكِرُهَا فَقِيلَ: وَمَا الْمُثَنَّاةُ؟ قَالَ: مَا اكْتُتِبَتْ سِوَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ".[2]

اللهم اهدنا الصراط المستقيم، واجعلنا من ورثة جنة النعيم.

---

[1] انظر، ص:٢٧٨.

[2] مجمع الزوائد: ج٧، ص٣٢٦. قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، والمستدرك: ح٤، ص٥٥٤ وورد الأثر موقوفاً على عبد الله بن عمرو، وله حكم الرفع. في المستدرك أيضاً، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

الخاتمة

قمت بما يقتضيه بحثي حسب جهدي بتوفيق ربي، واستوفيت فصوله، ومباحثه، ومطالبه، بما في وسعي، فذكرت في مقدمته. أهميةَ موضوع بحثي، فهو شرط لازم للمفسر.

وبينت أسباب اختياري له: وهي كثيره أهمها أنه لم يكتب فيه من قبل مع أهميته، وشدة الحاجة إليه ، واكتفى الأئمة المتقدمون بالإشارة إليه وعدوه شرطاً للمفسر.

وأجبت عما يعرض من أسئلة حوله. فيما يتعلق بتعريفه، وأدلته، وكيفية تحصيله، وماذا يترتب على وجوده، وعلى فقده في المفسر.

وفيما يأتي عرض لأبرز النتائج التي توصلت إليها وأبرز توصيات البحث ليسهل على للقارئ الوصول إليها:

١- الوهب حقٌ وحقيقة بلا ارتياب. أدلته كتاب ربنا الكريم، وسنة نبينا الأمين -ﷺ- وكلام سلفنا الطيبين، وأئمة الدين.

٢- يراد من الوهب: توفيق الله الوهاب لعبده، وحفظه له في أحواله.

٣- الفرق بين الموهبة والعصمة: أن وحي النبي معصوم عن الخطأ، مقطوع بنسبته لرب العالمين سبحانه، يجب اتباعه ويحرم الخروج عنه، وهذا لا ينطبق على إلهام الولي، فالولي مهما بلغت درجة صلاحه وعلمه ومكانته فإن كلامه لا يبلغ درجة العصمة ولا يقطع بنسبته لرب العالمين.

٤- للموهبة أسباب ينبغي الحصول عليها، خلاصتها في الاستقامة علماً، وعملاً.

٥- للموهبة علامات تعرف بالموهوب.

٦- أثر اتصاف المفسر بالموهبة في تفسيره. سداد قوله، ورفعة منزلته.

٧- أثر فقدان الموهبة في المفسر، أن يكون تفسيره قليلَ البركة، كثيرَ الخطأِ.

٨- الوهب موجود في السابقين، وباق فيمن يجيءُ بعدهم إلى يوم الدين.

٩- لسلفنا الكرام الطيبين من وهب ربنا الكريم أوفر نصيب بيقين، وكم من مسألة تعين عليهم فيها الجواب، ولم يكن عندهم أثر فيها، فقالوا باجتهاد بعد تأمل وانتظار، فكان جوابهم مطابقاً للأثر تماماً.

١٠- للموهوب قبول، وفي تفسيره نور وسرور.

١١- حرمان المخذولين من وهب الوهاب الكريم عدل وحكمة، فالجزاء من جنس العمل، ولا يظلم ربنا أحداً.

١٢-من أسباب الحرمان: تقديم الأذواق والمواجيد على شرع الله المجيد، وتحكيم العقل في النقل، وتقديم الرأي على الأثر. وفرح المختلفين، بما عند كل فريق من علم لا إجماع فيه بيقين، وتحكيمه في آي الذكر الحكيم.

١٣-جمع أكثر المنحرفين من المعاصرين، بين الجهل العقيم، وسوء القصد الذميم، فضلوا في الدليل والمدلول، وصاروا أبعد الخلق عن وهب الكريم الغفور.

١٤-للحداثيين أوفر نصيب من جميع أسباب الحرمان من وهب ربنا ذي الجلال والإكرام.

توصيات الباحث

١- مواصلة البحث في هذا الموضوع العظيم النافع بحيث يقسم إلى قسمين:

الأول: تفسير الموهوبين. ويقسم أيضاً إلى الموهوبين في ك ل قرن، بحيث يكون للموهوبين في كل قرن بحث مستقل، ليعيش الباحث مع أمثلة كثيرة، من نوع معين، لعلها تجعل فيه ملكة في التفسير.

الثاني: تفسير المحرومين من الوهب، لكل نوع من أنواع الحرمان بحث خاص، بدلاً من كونه مطلباً ضمن فصل.

وبذلك يحصل استيفاء تام للنوعين، ويتمكن الباحث من بحثه فيستفيد ويفيد، وللتخصص في جزئيات منفردة مستقلة فوائد لا تحصى ولا تخفى.

٢- أنصح نفسي، وطلاب العلم قاطبة ببذل ما في الوسع في تحصيل أسباب الوهب، ففي ذلك سعادة الدنيا والآخرة.

وأخيراً فما هذا إلا جهد مقل ولا أدعي فيه الكمال، ولكن عذري أني بذلت فيه جهدي فإن أصبت فمن الله وذاك مرادي، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، وأكون قد نلت شرف المحاوله والتعلم، ولا أزيد على ما قاله القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني: "رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جلة البشر"[١] آمل أن ينال القبول ويلقى الاستحسان.

وصل الله وسلم وبارك على نبينا وسيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا

والحمد لله رب العالمين.

[١] حاجي خليفة، مصطفى عبد الله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والعلوم، ج١، ص١٨.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م).

ابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم محمد، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط – التتمة تحقيق بشير عيون (د.م، مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان، ط١، د.ت).

ابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم محمد، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام (بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

ابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم محمد ، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي (بيروت: المكتبة العلمية، د.ط، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م).

الآجُرِّيُّ، محمد بن الحسين بن عبد الله ، الشريعة، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي (الرياض: السعودية: دار الوطن، ط٢، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م).

ابراهيم هلال، ابراهيم ابراهيم هلال، التصوف الإسلامى بين الدين والفلسفة (د.م، الناشر دار النهضة العربية، د.ط، ١٩٧٥م).

أحمد، أبو عبد الله بن محمد بن حنبل الشيباني، فضائل الصحابة، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٣ – ١٩٨٣م).

أحمد، أبو عبد الله بن محمد بن حنبل الشيباني، مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعادل مرشد (د.م: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م).

أحمد، أحمد بن محمد بن حنبل، مسائل أحمد بن حنبل رواية ابنه عبد الله، تحقيق: زهير الشاويش (بيروت: المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠١هـ ١٩٨١م).

الأشعري، علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: هلموت ريتر(بمدينة فيسبادن (ألمانيا): دار فرانز شتايز، ط٣، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م).

الإدريسي، محمد بن جعفر الكتاني، نظم المتناثر من الحديث المتواتر(د.م، دار الكتب السلفية، ط٢، د.ت).

الإيجي، عبد الرحمن الإيجي، المواقف في علم الكلام (بيروت: عالم الكتب، د.ط، د.ت).

الأزهري، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م).

أحمد عزت راجح، أصول علم النفس (د.م، دار الكاتب العربي، ط٧، ١٩٦٨).

الأصفهانى، الحسين بن محمد، تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق: د. محمد عبد العزيز بسيوني (د.م ، كلية الآداب – جامعة طنطا، ط١، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م).

الأصفهانى، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي (دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية، ط١، ١٤١٢ هـ).

الأصفهانى، الحسين بن محمد، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي (القاهرة: دار السلام، د.ط، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م).

الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ).

البخاري، محمد بن إسماعيل، التاريخ الكبير، تحقيق: هاشم الندوي وآخرون (د.م، دائرة المعارف العثمانية، د.ط، د.ت).

البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير الناصر (د.م، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ).

البخاري، محمد بن إسماعيل، خلق أفعال العباد، تحقيق: عبد الرحمن عميرة (الرياض: دار المعارف السعودية، د.ط، د.ت).

البغوي، الحسين بن مسعود، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط–محمد زهير الشاويش (دمشق: المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م).

البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٠هـ).

أبو البقاء، أيوب بن موسى، الكليات، تحقيق : عدنان درويش – محمد المصري (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م).

الباقلاني، محمد بن الطيب، الانتصار للقرآن، تحقيق: د. محمد عصام القضاة (بيروت: دار ابن حزم، عَمَّان: دار الفتح، ط١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م).

الباقلاني، محمد بن الطيب، نكت الإنتصار (مصر: دار منشأة المعارف، د.ط، ١٩٧١م).

البَلَاذُري، أحمد بن يحيى بن جابر، جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي (بيروت: دار الفكر، ط١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م).

البوصيري، أحمد بن أبي بكر، مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة، تحقيق: عوض بن أحمد الشهري (د.م، د.ن، ط١، ١٤٢٥ – ٢٠٠٤م).

البيجوري، ابراهيم بن محمد، تحفة المريد على جوهرة التوحيد، تحقيق: علي جمعة (د.م: دار السلام للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، الأسماء والصفات، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي (جدة – المملكة العربية السعودية: مكتبة السوادي، ط١، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م).

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م).

البيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد (الرياض: مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).

البيهقي، أحمد بن الحسين، دلائل النبوة، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي (د.م، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م).

البيهقي، أحمد بن الحسين، مناقب الشافعي، تحقيق: السيد أحمد صقر (القاهرة: مكتبة دار التراث، ط١، ١٣٩٠ هـ – ١٩٧٠ م).

ابن تيمية– ابن حجر – الشوكاني – الصنعاني وغيرهم، مجموعة الرسائل المنيرية، تحقيق: محمد منير الدمشقي (د.م، المطبعة المنيرية، د.ط، ١٣٤٣ هـ).

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم ، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، د.ط، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م).

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل (بيروت: دار عالم الكتب، ط٧، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م).

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الرد على المنطقيين (باكستان: دار ترجمان السنة، د.ط، ١٩٧٦م).

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط (دمشق: مكتبة البيان، د.ط، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م).

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، النبوات، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان (الرياض: أضواء السلف، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ، تحقيق: محمد رشيد رضا (د.م، لجنة التراث العربي، د.ط، ٢٠٠٨م).

ابن تيمية، أحمد عبد الحليم، درء تعارض العقل والنقل (الرياض: مطابع جامعة الإمام محمد ابن سعود، ط١، ١٣٩٩هـ).

الترمذي، محمد بن علي بن الحسن، نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، تحقيق: عبد الرحمن عميرة (بيروت: دار الجيل، د.ط، د.ت).

الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة، سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد (بيروت: دار الغرب الإسلامي، د.ط، ١٩٩٨م).

التنوخي، المحسن بن علي، الفرج بعد الشدة للتنوخي، تحقيق: عبود الشالجى (بيروت: دار صادر، د.ط، ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م).

د. توما جورج خوري، الطفل الموهوب والطفل بطيء التعلم (د.م، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،ط١، ٢٠٠٢م).

الجرجاني، علي بن محمد بن علي، كتاب التعريفات، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

ابن الجزري، محمد بن محمد بن علي، تقريب النشر في القراءات العشر، تحقيق: عبد الله محمد الخليلي (د.م، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م).

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، تلبيس إبليس، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م).

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، ذم الهوى، تحقيق: خالد عبد اللطيف السبع العلمي (د.م، دار الكتاب العربي، ط١٨،١٤١٨ – ١٩٩٨م).

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي (بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٢٢).

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، مناقب الإمام أحمد، تحقيق: عبدالله التركي (د.م: دار هجر، ط٢، ١٤٠٩هـ).

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، غريب الحديث، تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥ – ١٩٨٥م).

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المدهش، تحقيق: الدكتور مروان قباني (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م).

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (د.م، د.ن، ط٢، ١٤١٥ – ١٩٩٥م).

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، الموضوعات، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان (د.م، د.ن، ط١، ١٣٨٦ – ١٩٦٦م).

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، صيد الخاطر، تحقيق: حسن المساحي سويدان (دمشق: دار القلم، ط١، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م).

ابن جزي، محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: عبد الله الخالدي (بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط١، ١٤١٦هـ).

الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م).

الحليمي، الحسين بن الحسن، المنهاج في شعب الإيمان، تحقيق: حلمي محمد فودة (د.م، دار الفكر،ط١، : ١٣٩٩ – ١٩٧٩م).

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، المجروحين من المحدثين، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد بن إسماعيل السلفى (د.م، دار الصميعي، ط١، ١٤٢٠ – ٢٠٠٠م)

ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي، لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعرف النظامية (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط٢، ١٣٩٠هـ/١٩٧١م).

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد ، تقريب التهذيب، تحقيق: محمد عوامة (سوريا: دار الرشيد، ط١، ١٤٠٦ – ١٩٨٦).

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، تهذيب التهذيب (الهند: دارئة المعارف النظامية، ط١، ١٣٢٥).

ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري (بيروت: دار المعرفة، د.ط، ١٣٧٩هـ).

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد، الزهر النضر في حال الخضر، تحقيق: صلاح مقبول أحمد (جوغابائي نيودلهي – الهند: مجمع البحوث الإسلامية، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م).

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥ هـ)

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس، تحقيق: عبد الله القاضي (د.م، دار الكتب العلمية، د.ط، ١٤٠٦ – ١٩٨٦م).

ابن حجر العسقلاني، حمد بن علي بن محمد، الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (د.م، د.ن، د.ط، د.ت).

أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي، البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد (بيروت: دار الفكر، د.ط، ١٤٢٠هـ).

الخطابي، حمد بن محمد، شأن الدعاء، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، (د.م، دار الثقافة العربية، ط٣، ١٤١٢ – ١٩٩٢).

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م).

الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: محمد عجاج الخطيب (د.م، مؤسسة الرسالة، ط٣، : ١٤١٦ – ١٩٩٦).

الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت، الكفاية في علم الرواية، تحقيق: أبو عبدالله السورقي ، إبراهيم حمدي المدني (المدينة المنورة: المكتبة العلمية، د.ط، د.ت).

الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، اقتضاء العلم العمل، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني (د.م، المكتب الإسلامي، ط٥، ١٤٠٤ – ١٩٨٤م).

الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، شرف أصحاب الحديث، تحقيق: د. محمد سعيد خطي اوغلي (أنقرة: دار إحياء السنة النبوية، د.ط، د.ت).

الخطيب الشربيني، محمد بن أحمد، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (القاهرة: مطبعة بولاق (الأميرية)، د.ط، ١٢٨٥ هـ).

الخليل، أبو عبد الرحمن بن أحمد بن الفراهيدي، العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي (د.م: دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت).

ابن خلكان: أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: دار صادر، د.ط، د.ت).

ابن خالويه، الحسين بن أحمد، الحجة في القراءات السبع، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم (بيروت: دار الشروق، ط٤، ١٤٠١ هـ).

أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين (بيروت: المكتبة العصرية، د.ط، د.ت).

الداوودي، محمد بن علي، طبقات المفسرين للداوودي (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت).

الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان، تجريد أسماء الصحابة (د.م، د.ن، د.ط، د.ت).

الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء (القاهرة: دار الحديث، د.ط، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، العبر في خبر من غبر ويليه ذيول العبر، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول أبو هاجر (د.م، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٥ – ١٩٨٥م).

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، المغني في الضعفاء، تحقيق: نور الدين عتر (قطر: إدارة إحياء التراث، ط٦٥، د.ت).

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري (د.م، دار الكتاب العربي، د.ط، ١٤١٠ – ١٩٩٠م).

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، تذكرة الحفاظ (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، ط١، ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٣ م).

الرازي، محمد بن عمر، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد (بيروت: المكتبة العصرية، ط٥، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

الرازي، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، آداب الشافعي ومناقبه، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م).

الرازي، عبد الرحمن بن محمد، تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين (تفسير ابن أبي حاتم الرازي)، تحقيق: أسعد محمد الطيب(الرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ١٤١٧ – ١٩٩٧م).

الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب– التفسير الكبير– تفسير الرازي (د.م، دار الفكر، ط١، ١٤٠١ – ١٩٨١م).

ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد، فضل علم السلف على الخلف (د.م، د.ن، د.ط، د.ت).

ابن رشد، محمد بن أحمد بن محمد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد (القاهرة: دار الحديث، د.ط، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤ م).

الزبيدي، محمد بن محمد الحسيني، اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين (د.م، المطبعة الميمنية،د.ط، ١٣١١هـ).

الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق، تاج العروس من جواهر القاموس (د.م: دار الهدية، د.ط، د.ت).

الزجاج، إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه (بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م).

الزُّرْقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن (د.م: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣، د.ت).

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل (د.م: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م).

الزركشي، محمد بن عبد الله، البحر المحيط في أصول الفقه (د.م، دار الكتبي، ط١، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م).

أبو زرعة، عبد الرحمن بن محمد، حجة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني (د.م، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤١٨ – ١٩٩٧م).

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٧هـ).

الزيلعي، عبد الله بن يوسف بن محمد، تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد (الرياض: دار ابن خزيمة، ط١، ١٤١٤هـ).

الزيلعي، عبد الله بن يوسف بن محمد، نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الألمعي في تخريج الزيلعي، تحقيق: محمد عوامة (بيروت: مؤسسة الريان للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

السبكي، عبد الوهاب بن تقي الدين، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد (د.م: هجر للطباعة والنشر، ط٢، ١٤١٣هـ).

السخاوي، علي بن محمد بن عبد الصمد، جمال القراء وكمال الإقراء، تحقيق: علي حسين البواب (مكة المكرمة: مكتبة التراث، ط١، : ١٤٠٨ – ١٩٨٧م).

السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، تحقيق: محمد عثمان الخشت (بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م).

ابن سعد، محمد بن سعد البغدادي، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبدالقادر (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م).

سعيد الغامدي، سعيد بن ناصر، الإنحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها دراسة نقدية شرعية (د.م، دار الأندلس الخضراء، ط١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م).

سعيد بن منصور، سعيد بن منصور الخراساني، سنن سعيد بن منصور، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي (الهند: الدار السلفية، ط١، ١٤٠٣هـ –١٩٨٢م).

أبو السعود، العمادي محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت).

السفاريني، محمد بن أحمد، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (دمشق: مؤسسة الخافقين، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).

السمعاني، عبد الكريم بن محمد أبو سعد، أدب الإملاء والاستملاء (د.م، د.ن، د.ط١، د.ت).

السمين الحلبي، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تحقيق: محمد باسل عيون السود (د.م، دار الكتب العلمية، ط١،١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م).

سيد قطب، سيد قطب إبراهيم حسين، في ظلال القرآن (بيروت: دار الشروق، ط١٧، ١٤١٢هـ).

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر ، صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت).

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م).

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الأشباه والنظائر (د.م، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م).

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإكليل في استنباط التنزيل، تحقيق: عبد الله محمد الصديق الغماري أبو الفضل (د.م، دار الكتاب العربي، د.ط، د.ت).

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الحاوي للفتاوي، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن (د.م، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١ – ٢٠٠٠م).

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور في التفسير المأثور (د.م، د.ن، د.ط، ١٤٣٢ – ٢٠١١).

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي (د.م، دار طيبة، د.ط، د.ت).

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، طبقات المفسرين العشرين، تحقيق: علي محمد عمر (القاهرة: مكتبة وهبة، ط١، ١٣٩٦).

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، في التفسير بالمأثور (بيروت: دار الفكر، د.ط، : ١٤٣٢ – ٢٠١١م).

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، مفتاح الجنة فى الاحتجاج بالسنة (د.م، إدارة الطباعة المنيرية، د.ط، ١٣٤٧ هـ).

السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين، قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة، تحقيق: خليل محي الدين الميس (د.م، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٥ – ١٩٨٥م).

الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد، الموافقات، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان (د.م: دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل، المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، تحقيق: طيار آلتي قولاج (بيروت: دار صادر، د.ط، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م).

الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس، الرسالة، تحقيق: أحمد شاكر (مصر: مكتبه الحلبي، ط١، ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م).

الشافعي، محمد بن إدريس، الأم، تحقيق: رفعت فوزي عبد المطلب (د.م، دار الوفاء، د.ط، ١٤٢٢ – ٢٠٠١م).

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، دفع إيهام الإضطراب عن آيات الكتاب (د.م، دار عالم الفوائد، د.ط، ١٤٢٦هـ).

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، رحلة الحج إلى بيت الله الحرام (جدة: مجمع الفقه الإسلامي بجدة – دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٦).

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (بيروت: دار الفكر للطباعة، د.ط، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل (د.م، مؤسسة الحلبي،د.ط، د.ت).

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير (دمشق: دار ابن كثير، ط١، ١٤١٤هـ).

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، نيل الأوطار، تحقيق: عصام الدين الصبابطي (مصر: دار الحديث، ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م).

ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف (الرياض: مكتبة الرشد، ط١، ١٤٠٩هـ).

صفي الدين الحنبلي، عبد المؤمن بن عبد الحق، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة البقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي (د.م، الحلبي – تصوير دار المعرفة، ط١، ١٣٧٣ – ١٩٥٤م).

الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي (الهند: المجلس العلمي، ط٢، ١٤٠٣هـ).

طاش كبرى زادة، أحمد بن مصطفى، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.).

أبو طالب المكي، محمد بن علي، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٦ هـ –٢٠٠٥ م).

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، المعجم الصغير، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير (بيروت– عمان: المكتب الإسلامي ، دار عمار، ط١، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م).

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ط٢، د.ت).

الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله – محسن الحسيني (د.م، دار الحرمين، ط١، ١٤١٥ – ١٩٩٥م).

الطبرسي، حسين بن محمد النوري، فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب (إيران: دار الكتاب للطباعة والنشر، ب.ط، ١٢٩٨هـ).

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الآملي، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد شاكر (د.م: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢هـ/٢٠٠٠م).

الطبري، أحمد بن عبد الله بن محمد، الرياض النضرة في مناقب العشرة (د.م، د.ن، ط١، : ١٤٠٥ – ١٩٨٤).

الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة، شرح مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م).

ابن عابدين، محمد أمين بن عمر، رد المحتار على الدر المختار (بيروت: دار الفكر، ط٢، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير (تونس: الدار التونسية للنشر، د.ط، ١٩٨٤م).

أبي عاصم، أحمد بن عمرو بن الضحاك، السنة ،تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني (بيروت: المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٠).

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد (بيروت: دار الجيل، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى العلوي، ومحمد عبد (المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، د.ط، ١٣٨٧هـ).

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري (السعودية: دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م).

أبو عبد الرحمن السلمي، محمد بن الحسين بن محمد، طبقات الصوفية، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م).

عبدالرزاق، أبو بكر بن همام الصنعاني، المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي (بيروت: المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٣).

إمام الحرمين، عبد الملك ابن عبد الله بن يوسف، العقيدة النظامية (د.م، د.ن، د.ط، د.ت).

ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان (القاهرة: الدكتور حسن عباس زكي، د.ط، ١٤١٩هـ).

ابن العربي، أبي بكر محمد بن عبدالله، عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧هـ).

ابن العربي، محمد بن عبد الله ، أحكام القرآن، تحقيق: : محمد عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م).

ابن العربي، محمد بن عبد الله، قانون التأويل، تحقيق: محمد السليماني (د.م، دار القبلة للثقافة الإسلامية - مؤسسة علوم القرآن، ط١، ١٤٠٦ - ١٩٨٦م).

ابن أبي العز، محمد بن علاء الدين، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: أحمد شاكر (الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط١، ١٤١٨هـ).

ابن عبد السلام، عبد العزيز عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، د.ط، د.ت).

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ).

العراقي، عبد الرحيم بن الحسين، المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار (بيروت: دار ابن حزم، ط١، ، ١٤٢هـ- ٢٠٠٥ م).

العصفري، خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري (- دمشق ، بيروت: دار القلم ، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٣٩٧).

عوض القرني، عوض بن محمد، الحداثة في ميزان الإسلام نظرات إسلامية في أدب الحداثة (د.م، هجر للطباعة والنشر، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٩٨م).

العينى، محمود بن أحمد بن موسى، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت).

ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة: دار التراث، ط٢٠، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م).

ابن العماد، عبد الحي بن أحمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط – محمود الأرناؤوط (د.م، دار ابن كثير، ط١، ١٤٠٦ – ١٩٨٦م).

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين (بيروت: دار المعارف، د.ط، د.ت).

الفراء، يحيى بن زياد بن عبد الله، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي ،محمد علي النجار ، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي (مصر: دار المصرية للتأليف والترجمة، ط١، د.ت).

الفسوي، يعقوب بن سفيان، المعرفة والتاريخ، تحقيق: أكرم ضياء عمري (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠١ هـ- ١٩٨١ م).

الفيروز آبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

الفيض الكاشاني، المولى محسن الملقب، تفسير الصافي، تحقيق: حسين الأعلمي (طهران: مكتبه الصدر، د.ط، د.ت).

ابن فارس، أحمد بن زكريا القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد (د.م: دار الفكر، د.ط، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

القاسمي، محمد جمال الدين، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، تحقيق: مصطفى شيخ مصطفى (د.م، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٥ – ٢٠٠٤).

القاضي عياض، عياض بن موسى، إكمال المعلم بفوائد مسلم ،تحقيق: يحي إسماعيل (د.م، دار الوفاء، ط١، ١٤١٩ – ١٩٩٨م).

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م).

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، تحقيق: الصادق بن محمد بن إبراهيم (الرياض، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٥ هـ).

القرطبي، يوسف بن عبد الله بن محمد، الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت).

القسطلاني، أحمد بن محمد، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، تحقيق: صالح أحمد الشامي (د.م، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٢٥ – ٢٠٠٤).

القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، الرسالة القشيرية، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف (القاهرة: دار المعارف، د.ط، د.ت).

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت).

ابن قدامة المقدسي، موفق الدين عبد الله بن أحمد، لمعة الاعتقاد (السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، ط٢، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).

ابن قدامة، عبد الله بن أحمد بن محمد، المغني (د.م، مكتبة القاهرة، د.ط، د.ت).

ابن قرقول، إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم، مطالع الأنوار على صحاح الآثار، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، ١٤٣٣ – ٢٠١٢م).

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر ، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩١م).

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي (جدة: مجمع الفقه الإسلامي،ط١، ١٤٢٩م).

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت).

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، تحقيق: محمد عزير شمس (جدة، مجمع الفقه الإسلامي،ط١، ١٤٣١).

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط (د.م، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٨ – ١٩٩٨م).

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله (د.م، دار العاصمة، ط١، ١٤٠٨هـ).

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، طريق الهجرتين وباب السعادتين (القاهرة: دار السلفية، ط٢، ١٣٩٤هـ).

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الوابل الصيب من الكلم الطيب، تحقيق: سيد إبراهيم (القاهرة: دار الحديث، ط٣، ١٩٩٩ م).

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م).

الكتاني، محمد بن جعفر، نظم المتناثر من الحديث المتواتر (د.م، دار الكتب السلفية، ط٢، د.ت).

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: عبدالله التركي (د.م: دار هجر للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة (د.م: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).

ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير، النهاية في الفتن والملاحم، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز (بيروت: دار الجيل، د.ط، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م).

الكليني، محمد بن يعقوب بن اسحاق، الكافي (طهران: دار الكتب الإسلامية، ط٣، ١٣٨٨هـ).

اللقاني، إبراهيم بن إبراهيم ، متن جوهرة التوحيد (د.م، دار الغد، د.ط، د.ت).

الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، تأويلات أهل السنة، تحقيق: مجدي باسلوم (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (د.م، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، د.ط،د.ت).

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ).

ابن مالك الطائي، محمد بن عبد الله، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق: محمد كامل بركات (د.م، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، د.ط، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م).

مالك، مالك بن أنس، الموطأ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (د.م، دار إحياء التراث العربي، د.ط، ١٤٠٦ - ١٩٨٥م).

محمد حسين، محمد محمد حسين، حصوننا مهددة من داخلها (د.م، مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤٠٤ - ١٩٨٣م).

محمد شحرور، محمد ديب، الكتاب والقرآن قراءة معاصرة (دمشق: الأهالي للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٠م).

المروزي، عبد الله بن المبارك، الزهد والرقائق، تحقيق: أحمد فريد (د.م، دار المعراج الدولية للنشر، ط١، ١٤١٥ - ١٩٩٥م).

المروزي، محمد بن نصر، مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر (باكستان: دار حاديث أكاديمي، ط١، ١٤٠٨ - ١٩٨٨م).

مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت).

مصطفى الحديدي، مصطفى محمد الحديدي، اتجاه التفسير في العصر الحديث (د.م، د.ن، ط ٨٠، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م).

مصطفى محمود، مصطفى محمود، القرآن: محاولة لفهم عصري (د.م، دار المعارف، د.ط، ١٩٩٩م).

المكي، أحمد بن حجر الهتمي، الخيرات الحسان في مناقب الامام الاعظم ابي حنيفه النعمان، تحقيق: خليل الميس (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، ٩٠٩- ٩٧٣هـ).

الملا عبد القادر، مولوي محمد ملا عبد القادر، عقود الجمان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، تحقيق: أحمد فهمي أبو سنة (السعودية- جدة: جامعة الملك عبد العزيز، ط١، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م).

ابن الملقن، عمر بن علي بن أحمد، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث (دمشق – سوريا: دار النوادر، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م).

المناوي، زين الدين محمد، فيض القدير شرح الجامع الصغير (مصر: المكتبة التجارية الكبرى، ط١، ١٣٥٦).

المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي، الترغيب والترهيب، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان (د.م، مكتبة المعارف، ط١، ١٤٢٤هـ).

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م).

النسائي، أحمد بن شعيب بن علي، سنن النسائي الصغرى (المجتبى من السنن) (السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، ط١، ١٤٢٠ – ١٩٩٩م).

النسائي، أحمد بن شعيب بن علي،(المجتبى من السنن)- السنن الصغرى للنسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة (حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط٢، ١٤٠٦ – ١٩٨٦م).

النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف علي (بيروت: دار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

أبو نعيم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ط، د.ت).

النووي، : يحي بن شرف الدين، بستان العارفين (د.م، دار الريان للتراث، د.ط، د.ت).

النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى، التبيان في آداب حملة القرآن، تحقيق: محمد الحجار (د.م، : دار ابن حزم، ط٤، ١٤١٧ – ١٩٩٦م).

النووي، محيي الدين يحيى، تهذيب الأسماء واللغات، تحقيق: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت).

النووي، يحيى بن شرف، روضة الطالبين وعمدة المفتين، تحقيق: زهير الشاويش (بيروت: المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤١٢هـ/١٩٩١م).

النووي، يحيى بن شرف، المجموع شرح المهذب (د.م، دار الفكر، د.ط، د.ت).

النووي، يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ).

الواحدي، علي بن أحمد بن محمد، التَّفْسِيرُ البَسِيْط، تحقيق: أصل تحقيقه في رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه (د.م، عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠ هـ).

أبو هُبَيْرَة، يحيى بن هُبَيْرَة، الإفصاح عن معاني الصحاح، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد (د.م، دار الوطن، د.ط، ١٤١٧هـ).

الهروي ، القاسم بن سلاّم، فضائل القرآن، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين (دمشق – بيروت: دار ابن كثير، ط١، ، ١٤١٥ هـ –١٩٩٥ م).

الهروي، علي بن سلطان محمد، شرح الشفا (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢١ هـ).

الهروي، أحمد بن يحيى، الدر النضيد من مجموعة الحفيد (بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٠هـ– 1980م).

الهمداني، محمد بن موسى بن عثمان، الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار (حيدر آباد، الدكن: دائرة المعارف العثمانية، ط٢، ١٣٥٩ هـ).

ابن الهمام، محمد بن عبد الواحد، فتح القدير (د.م، دار الفكر، د.ط، د.ت).

الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي (القاهرة: مكتبة القدسي، د.ط، ١٣٩٤هـ/١٩٩٤م).

الهيثمي، نور الدين الهيثمي، كشف الأستار عن زوائد البزار، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م).

الهتمي، أحمد بن محمد بن علي، الفتح المبين بشرح الأربعين، تحقيق: أحمد جاسم - قصي محمد نورس الحلاق - أبو حمزة أنور بن أبي بكر الشيخي (د.م، د.ن، د.ط، ١٤٢٨ - ٢٠٠٨م).

الواحدي، علي بن أحمد، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي (د.م، دار القلم - الدار الشامية، ط١، : ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).

أبو الوفاء القرشي، عبد القادر بن محمد بن محمد، الجواهر المضَّية في تراجم السادة الحنفية، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو (مصر: مطبعة عيسى البابي، د.ط، ١٣٩٨).

أبو يعلى، أحمد بن علي الموصلي، مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم (دمشق: دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

أبو يعلى، ، محمد بن محمد، طبقات الحنابلة، تحقيق: محمد حامد الفقي (بيروت: دار المعرفة، د.ط، د.ت).

ياقوت الحموي، عبد الله بن عبد الله الرومي، معجم البلدان (بيروت: دار صادر، ط٢، ١٩٩٥ م).

ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي، معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس (د.م، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٣م).

ابن يعيش، : يعيش بن علي بن يعيش، شرح المفصل للزمخشري (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م).